ابو ذر الغفاري

السبتي

عبد الله السبيتي



ابو ذر
الغفاري

عبد الله السبيتي

ابو ذر الغفاري

مطبعة صور الحديثة

هذا ابو ذر

◆ ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء من ذي لهجة اصدق اصدق من ابي ذر

◆ امرني ربي بحب اربعة واخبرني انه يحبهم علي وابو ذر والمقداد وسلمان

◆ ابوذر في امتي شبيه عيسى بن مريم في زهده

• من سره ان ينظر الى تواضع عيسى بن مريم فلينظر الى ابي ذر

رسول الله

◆ ابو ذر وعى علماً فعجز الناس عنه ثم اوكأ عليه ولم يخرج منه شيئاً

علي

• ابو ذر اول من تكلم في علم البقاء والفناء

ابو نعيم الاصبهاني

الاهداء

الى سيادة الاديب محمد قبازرد

اخي : لقد بذلت لطبع الجزء الثاني من اللمعة الدمشقية سبعماية وخمسين جنيها مصريا، ولقد ذهبت مع غيرها يوم الغت الحكومة المصرية القطع الكبيرة من البنك نوط المصرى ، ولم استطع يوم طبع الجزء الثاني ان اشير الى شيء من هذا للظروف الراهنة يومذاك ، والان اقدم لك هذا الكتاب اعترافا بجميلك واداء لشكرك مع الثناء العاطر وعسى ان تكون قدوه لغيرك ممن انعم الله عليهم

عبدالله السبيتى

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

في كل امة وفي كل مجتمع ، رجال عظام وقفوا في وجه الاستبداد

وفي الماضي عظماء تحدث عنهم التاريخ باعجاب واكبار وتحدث عن مآتيهم باحترام

وفي التاريخ - والتاريخ مجلي الذكريات - اعاظم لا تزال مآثرهم تمتد فتكون بواسق وتتغذى منها العقول فتكون مبادىء

هناك أعلام تغالبوا امع الموت فقهروه ، وتصارعوا مع الفناء فانتصروا عليه ، وساروا مع الزمن خالدين تمجدهم الانسانية ، وترفع لهم اعلام العظمة عاليا مرفرفا

في التاريخ مثاليون ناضلوا في سبيل الحق ، ووقفوا في وجه الظلم بعزيمة ثابتة ولم يطأطوا امام الباطل انتصاراً للحق

هذه العظمة هى قصه ابي ذر الذى عرفه اهل السماء اكثر مما عرفه اهل الارض والذى قال فيه رسول الله (ص) ما اظلت الخضراء ، ولا اقلت الغبراء أصدق لهجة من ابى ذر

هذه المثالية هي مضاء العزم والارادة الواعية الثابتة عند ابي ذر

هذه المآثر هي الجرأة في مواجهة الظالم والصبر على الاحداث

هذا ابو ذر الذي غالبه الموت فأنتصر عليه وغالبه الفناء فقهره

رحمك الله اراد المستبد ان يدفنك فارتفع صوتك مجلجلا في الاجـــواء واراد ان يحقرك فكنت عظيماً من العظماء

عبدالله السبيتي

تقـــــــديم

بقلم شيخنا الاعظم

حجة الاسلام الشيخ مرتضى آل يسن

☆ ☆ ☆

لصديقنا الاستاذ السبيتي قريحة خصبة بالفطرة ، يقوم على تغذيتها وتنميتها عاملان اثنان ، رغبه ملحة متمادية في البحث والدراسة وغيرة دينية بالغة تكاد تلتهب في نفسه ناراً

بهذ عرفت المؤلف منذ عرفته ، ومابرح دائباً في توجيه قريحته تلك الى عالم الانتاج يستوحيها البرهة بعد البرهة كلما سنح له موضوع من الموضوعات التى تتوافر عليها رغبته وغيرته حتى استطاع بعد لاي من الزمن ان يتحف المكتبة العربية بعدد من مؤلفاته الممتعة كان من اهمها اثراً وابعدها خبرا كتابه الذى اسماه « تحت راية الحق » في الرد على كتاب « فجر الاسلام » غير ان المقادير المحتمة لهذا الكتاب قضت عليه يومئذ وهو لايزال في مهده ، قبل ان يستطيع الحبو الى الاسواق فذهب « ويا للاسف » طعمة النار على مشهد من دائرة « الجمارك والمكوس » التي كان لايزال الكتاب في حوزتها ينتظر اذنها في الخروج الى ايدي القراء على ان هذه النار المقدرة له عمدالم تستطع ان تطغي

على مقدرات الكتاب من ناحية قيمه المعنوية مهما طغت عليه من ناحية المادة ، بل كان الامر بالعكس فما كاد يشيع نبأ احراقه بين الاوساط الادبية حتى لج القراء في طلبه ايما لجاج ، وكان من حسن الحظ ان استأثرت المطبعة منه بنسخ معدودات فما كادت تبدأ بنشرها حتى امتدت اليها الايدي تتلقفها من كل صوب ، واشرأبت اليها الاعناق تستشرفها من كل مكان

وهكذا شاءت الظروف القاسية يومذاك ان تعنف بمعاملة هذا الكتاب حتى يقضي نحبه شهيدا على مذبح النار إلا تلك النسخ القليلة التى كتب لها النجاة فتداولتها الايدي هنا وهناك

ثم لم يمض الزمن طويلاً حتى طلع علينا المؤلف بكتابه الثاني « سلمان الفارسي » فكان «والحق يقال » نموذجا صالحا من حياة ذلك الصحابي العظيم ، واثرا طيبا من آثار هذا المؤلف الكريم

وها هو اليوم يطلع على قراءه بعد ذينك الكتابين بكتابه الجديد الذى بين يديك ليعززهما بثالث، اوليعزز سلمان باخيه ابي ذر ، ولعل الصلة الوثيقة التى استحالت اخوة دينية بين هذين الصحابيين العظيمين ايام حياتهما هي التى حدت بالمؤلف الى اختصاصهما بالبحث والترجمة دون غيرهما من الصحابة الكثر ليكون وفيا لهما جميعا كما كان احدهما وفيا للآخر

وفي الحق ان لكل من هذين الصحابيين رضى الله عنهما » لشأنا من الشأن جديرا بالدعاية له والتشهير به بين ابناء الجيل الحاضر

والاجيال القادمة تنويها بالمثل العليا ، واشاعة للمزايا الانسانية الحقة التي لا مناص عن التوفر عليها لاي انسان يسعى سعيه لان يكون انساناً كما اراد الله تعالى ان يكون ، اذن فليس بدعاً من المؤلف اذا اختص هذين الصحابيين الكبيرين بجهوده وعنايته رغم العلم بوجود غيرهما من الصحابة الاماثل ممن لا تجهل شخصياتهم اللامعة

لقد تطلع المؤلف الى حياة « ابي ذر » ايام جاهليته فلم يجد لها ذكراً وافياً مشعبا بين صفحات السير والتاريخ ، فرثى وتوجع وقذف التاريخ العربي بالشح فيما يجب ان يكون سخيا فيه ، وبالاهمال فيما يجب ان يكون معنيا به ، والحقيقة ان « اباذر » رضى الله عنه لم يكن من الشخصيات النابهة قبل الاسلام ليستطيع التاريخ ان يلم بحياته الماما كافيا ، وان يعرض لها عرضا وافيا ، ومتى كان في امكان التاريخ ان يلم باحوال غير النابهين من الناس على انه لم يغفل ذكره اغفال الغامرين الذين لم يعرض لحياتهم بكثير ولا قليل ، بل عرض لذكره من حيث نبه فسجل له موهبة البسالة في مواقفه بين رجال قومه ، وذكر له ميزة التوحيد في العقيدة وميزة الصلاة لله تعالى قبل ظهور الاسلام بثلاث سنين

وما كان اغنى المؤلف بحياة « الغفاري » وهو صحابي مسلم عن الاهتمام بحياته وهو جاهلي مشرك لولا اضطلاعه بواجب

ترجمته الذي من شأنه ان يأخذه باستقصاء البحث عن حياته استقصاء لايغادر فيها صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وهو ما اهاب بالمؤلف الى قذف التاريخ بالشح حين رجع اليه فوجده ضنيناً باحوال « ابي ذر » في عهده الجاهلي لا يجود عليه الا بالطل منها دون الوابل ، واين الطل من غلة الباحث الظمآن الذي لا يرويه الا الفيض المتدفق يسح عليه سحاً او يغدق عليه اغداقاً

بيد ان شح التاريخ بالغاما بلغ ليس من شأنه ان يغض من كرامة الباحث ان هو اقتصر على ما اقتصر عليه التاريخ وليس من شأنه ان يسف بقيمة البحث ان هو وقف عند الحد الذي وقف عنده التاريخ ، فما الباحث إلا رائد امين ليس عليه الا ان يلم بما يعلم ، ثم له العذر كله في اهمال مالا يعلم ، ومايضير الباحث ان يكون التاريخ شحيحا او سخيا اذا هو شح حيث شح ، وسخا حيث يسخو كما صنع المؤلف في كتابه الذي بين يديك حيث اقتضب الحديث عن ابي ذر من حيث اقتضبه التاريخ ، وافاض من حيث افاض ، فجاء الكتاب كما ترى شحيحاً بتاريخه في العهد الجاهلي ، سخياً به في العهد الاسلامي ، وهو على كل حال صورة كاملة لحياة ابي ذر الصحابي العظيم لاتنبز بافراط ولا تفريط

فاليك ايها القارى « اباذر الغفاري » ماثلا أمام عينيك لا يستره عنك حائل ولا حجاب فاقرأه في جاهليته واسلامه ، في حسبه ونسبه ، في سيرته وسريرته في سره وعلانيته في علمه وعمله ، في زهده وتعبده في اخلاقه وخلائقه في كفاحه وجهاده في نصائحه وارشاده ، في اي

شيء شئت من اقواله وافعاله

اقرأه ماشئت أن تقرأه فصلا ، ففصـــلا ،وتصفحه ماشئت ان تتصفحه ظهر وبطنا ،فسوف لاتجده إلا انسانا من نور ، او نوراً على صورة انسان قد تجسد على وجه هذه الارض فكان «اباذر» لا اقل ولا اكثر

أرأيـــت الى ابى ذر حين جعل الالهة الهاً واحداً فوحده وعبده وقدسه ومجده ؟ يوم لم يكن من حوله إلا ظلمات الشـــرك يركب بعضها بعضا ، وغياهب الوثنية تذرع الجزيرة طولا وعرضاً ودياجير الجاهلية تملاء الافق سماء وارضا ، من وهب بصيرته تلك النظره ونفث في روعه هاتيك الفكره ؟ أشويهات ،غفار وغنيماتها ام لات قريش ومناتها ،ام هو ذلك النور الذي استحال اليه ابوذر؟ فكان به كما شاء الله ان يكون انساناً من نور ،اونوراً على صورة انسان

وهب ان الطبيعة بما فيها من بدايع التكوين هى التي وهبت ابا ذر عقيدة التوحيد التى طالما وهبتها غيره من البشر ،ممن فكر فيها وتدبر ، ونظر فابصر فمن ياترى هداه الى الصلاة يعبد بها ربه من قبل ان يصدع بالدين بثلاث سنين ،فهل في شئون الطبيعة ما يهدي الى الصلاة كما يهدي الى التوحيد ، كلا فما كان للطبيعة وهى مظهر من مظاهر التكوين ان تصبح يوما ما مصدراً من مصادر التشريع ، اذن فكيف صلى ابوذر ولما تشرع الصلاة ومن اين استوحاها ولما ينزل الوحى ؟

ان هدا والله لهو العجب العجاب الذي يملأ افاق النفس ثم لاتهتدي الى كشفه سبيلا ، وان هذا الهو السر المستسر الذي تنقطع عنده كل وسائل الفلسفة والتعليل مهما ذهبت بعيداً او قريباً، وان هذا هو اللغز المطلسم الذى لانكاد نجدله حلا إلا من ناحية الغفاري نفسه حين لانتصوره إلا كما تصورناه انساناً من نور او نوراً على صورة انسان

وحسبك للتعرف بهذا الانسان النورى، او النور الانساني ان تستقرى بعد هذا سيرته المشرفه منذ اليوم الذي بدء فيه اسلامه على يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى اليوم الذي فارق فيه هذه الحياة الدنيا فان له بين ذلك المبدأ أو هذا المنتهي حياة حافله قلما يضفر بمثلها انسان في هذه الحياة إلا ان يكون ذلك الانســـان انساناً ابذرياً (١) ونوراً من نوع ذلك النور المتجسد على وجه الارض وانى للانسان ان يضارع ابا ذر العظيم في سيرته المليئة بكل عظيم مالم يكن انساناغير هذا الانسان المادى الذي تغريه الدنيا ويفتنه النعيم ، النعيم الذي لوشاء ان ينال منه ابو ذر لنال منه اقصى ماناله هائج ثائر ولكن ابا ذر العبقيري ابى إلا ان يكون في زهده شبيه عيسى في امة محمد (ص) (٢) وابي إلا ان يلقى حبيبه المصطفى يوم القيامه كما فارقه في الدنيا (٣) ليس له ولاهله من القوت في كل يوم الاصاع واحد

«١» نسبة الى ابي ذر كقولهم عبشى نسبه الى عبدشمس وماشبه ـ

من التمر ، وابى بالنهاية إلا ان يثور على تلك الاثرة الاموية صارخا في وجههم في شوارع المدينة طوراً وفي شوارع الشام اخرى رافعاً عقيرته بقوله عز من قائل « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم »

بهذا ومثله صرخ ابو ذر في وجه الامويين واحزابهم حين دعاه الواجب الى الدعوة ضد الامويين واحزابهم كما صرخ من قبل صرخته في وجه الشرك يوم دعاه الواجب في فجر الدعوة الى الدعوة ضد الشرك ، وما برح كذلك صارخا في وجه الباطل اينما وجد الباطل، وذائدا عن الحق ما استطاع الذود عن الحق حتى ضاق به رجال الحكم ذرعا ، واستثقلوا اظله بين ظهرانيهم وخافوه على دنياهم ودولتهم ، فاجمعوا امرهم على ابعاده من حواضر الاسلام الى حيث لا يسمعون له ركزاً ولا همسا، فادلفوا به ارض « الربذة » منفيا ثم لم تمض عليه ثمة إلا ايام وايام حتى

ـذلك «٢» أشارة الى قول النبى «ص» في امتى ابوذر شبيه عيسى بن مريم في زهده « ٣» اشارة الى حديث مالك بن دينار ان النبي «ص» قال ايكم يلقاني على الحالة التي افارقه عليها؟ فقال ابو ذر إنا يارسول الله فقال النبي «ص» صدقت ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء من ذى لهجة اصدق من ابي ذر من سره ان ينظر الى زهد عيسى بن مريم فلينظر الى ابي ذر

نزل به القدر المحتوم فقضى نحبه في تلك الفلاة وحيدا في غربته بعيدا من دار هجرته ليس لديه من ذويه وغير ذويه الا زوجته الوحيدة وقيل ابنته قائمة عند راسه تندبه تارة وتستشرف الفلاة اخرى عسى ان تجد في افاقها الشاسعة من شذاذ الطريق من تستعينه على امره ، الى ان قيض الله لها نفرا من اهـــل العراق نزلوا اليه فسعدوا بتجهيزه ودفنه

وهكذا ختم لابي ذر الصديق في مفتتح العهد الاموي في الاسلام وليس له من ذنب يؤخذ به إلا انه كان مسلما كما يريد الاسلام ومؤمنا كما يجب ان يكون المؤمن ، ومخلصا كما يقتضيه واجب الاخلاص ، فهو لا يقر على الباطل مهما سلحته القوة ، ولا ينكص عن موازرة الحق مهما اعوزه السلاح ، ولو نظرت الى مواقفه الجريئة في المدينه والشام على عهد الامويين عثمان ومعاوية لرايت لها عناوين من اضخم مارايت من البطولة والجراة والاقدام على انه لم يكن لديه من الســـلاح مايطغي به على السلطان الاموي إلا لسانه الذى بين فكيه يديره بآى من القرآن او بما توراث من السنة فتنطلق من بين شدقيه كانها قذائف الصاروخ تنصب على هيا كل الباطل فتهزها هزا وتزلزلها زلزالا

وكم كان للسانه هذا من اثر فعال في توجيه الراي العام ضد الحزب الاموي الذى كان يؤلفه آل ابي معيط وآل مروان يوم استحوذوا على الخلامة الاسلاميه فسلكوا بها سبيلا غير سبيل الله وسبيل

رسوله حتى انتقض عليها المسلمون من قريب وبعيد فكان من نتائجها يوم الدار

ومن جراء هذا اللسان الذى كان قدنوه بصدقه لسان الصادق الامين حيث يقول : « ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبرا من ذى لهجة اصدق من ابى ذر » نزل بهذا الصحابى العظيم مانزل من انواع المحن والاضطهاد حتى ادى به الامر الى تلك المأسات التاريخية التى سوف تبقى لطخه في تاريخ بني اميه مابقى للتاريخ من اسم يذكر

مرتضى آل يس

٢٣ ربيع الثاني ١٣٦٤

ابو ذر قبل الاسلام

توطئة

لئن كان شيء من تاريخ رجال محمد صلى الله عليه وآله وسلم غامضاً ومحجوباً فلتكن حياة ابى ذر قبل الاسلام ، فان التاريخ لم يسمح لنا بالتحدث عنه قبل الاسلام ، ولم يفسح لنا مجالاً للتعرف عليه او على شيء من حياته في الجاهليه ، ولعل القارىء عبر الى الجزيرة العربية قبل الاسلام وقراء تاريخها فرأى الغموض ورأى الاهمال في كثير من النواحي التي تهم الباحث اليوم . ومن حقنا ان تأخذ هذه الظاهرة على التاريخ ، فانه لبث قروناً واحقاباً لا يحسب للامة حساباً ، ولا يقيم لها وزنا ، ولا يعبأ بحياة الانسان لا كثيراً ولا قليلا ولا يأبه بهذا المجتمع الزاخر ، وانما ملئت صفحاته بذكر الملوك والامراء ، وابنائهم وما يرافق حياتهم من كرم وشجاعة ، ولهو وخلاعة وما الى ذلك فكأن التاريخ كان وقفاً على الملوك والامراء وما يمت الى حياتهم بصلة ، او ان تاريخ الامة انما هو تاريخ هؤلاء الاشخاص ، وليس من شيء ادعى للاسف وابعث على الحسرة من انك اذا اردت

ان تتعرف على شخصية بازرة ، اوتلم بها المامةسريعة في حياتها الاولى ايام الطفولة او ايام الشباب اوفي مكانتها من الهيئة الاجتماعية وما يتصل بذلك فلا تظفر بشيء ولا تجد من يلبي ارادتك او يسمع نداءك ، وترى الطريق أمامك ملتوية كل الالتواء او هي مغلقه .

ان الباحث اليوم يقف مرتبكاً عند ما يصل الى هذه النقطة ، فلا يظفر بكلمة واحدةعن حياة طبقات الامة ،او حياة افرادهاالذين يرتفع بهم قدر الامة ويكونون حلقه من سلسلة العظماء في تاريخ البشرية ، ولشد مايكون مرتبكاً اذيشاهد النقص وتعوزه النصوص العلمية فلا يجد مايتوكأ عليه ولا يجد من القول ما يسد حاجته ، وكان من الطبيعي ان يأتي بحثه متردداً بين الكمال والنقصان .

ومن الحق ان نعتبر هذا الالتواء عثرة تغض من قدر التاريخ وتغض من قيمته ،ومن الحق ايضا ان نعتبر هذا جناية على الامةوعلى الافراد الافذاذ الذين ارتفع بهم الحظ الى منزلة سامية ، ورافقتهم العظمة الى مدى بعيد ،وتبوءوا امكاناً عالياً في الهيئة الاجتماعيةو كتبت اسمائهم في سجل الخلود على صفحة العباقرة

✡✡✡

والمؤرخ اليوم لا يقتنع بهذا النوع من البحث المشوه، يستمليه من بطون الكتب ناقصاً ويتعجل به الى الناس ، وانما يريد صورة صحيحة ومرأة صافية يرى منها البعيد بما فيه من خير وشر ، وحق وباطل وخطاء وصواب وسهولة والتواء ، وبالاخير يريد ان يتعرف الناس ما وراء هذه الصور ليتعمقوا في حقائقها وليقفوا على دقائق الحياة النفسية بما فيها من خير وشر وراحة واضطراب وسعادة وشقاء وصواب وخطاء

ولسنا نريد ان نقف هنا ولكن يجب ان نقف هنا راضخين او مكرهين !!

ولا نعذر ان تركنا التحدث عن حياة عظيم من عظماء المسلمين هو ابوذر في الجاهليه.. ولكن يجب على القارىء ان يعذرنا ، فانه على شدة ما عنينا في البحث والتنقيب في مضان البحث والتنقيب وعلى شدة ما راجعنا كتب السير والتاريخ والادب وجدناها خرساء كأنها لا تعرف اباذر الشجاع في الجاهلية وكأنها ما سمعت به وكأنها لم تعلم بان الله سبحانه قدر في مكنون علمه ان اباذر سيكون عظيماً في نفسه عظيماً في علمه عظيماً في مبادئه عظيماً في كل شيىء ولعلها علمت كل ذلك ولكن . . .

نعم — كل ما حدثتنا به تلك الكتب عن ابى ذر انه «كان رجلاً يصيب الطريق وكان شجاعاً ينفرد وحده يقطع الطريق ويغير الصرم

في عماية الصبح على ظهر فرسه او على قدميه كانه السبع فيطرق الحي ويأخذ ما اخذ ثم ان الله قذف في قلبه الاسلام » هذا كل ما حدثتنا به كتب السير ، ولقد دالني هذا الامر ــ ولعله هالك ايها القارىء ايضاً ــ واوجست خيفه من هذا الغموض في حياة رجل عرفته الجاهلية شجاعاً وعرفه الاسلام عظيماً وعرفته المبادىء صريحاً عبقرياً ، وهل لهذا الغموض والاهمال تعليل نستريح اليه ويستريح اليه القارىء ايضاً ؟

ان كتب السير والرجال غنيت بكثير من رجالات الصدر الاول عناية كبيرة وانا نعترف لهؤلاء بقيمتهم التاريخيه ولكنهم لم يكونوا اعلى قيمة من ابى ذر صاحب الشخصية الفذة العجيبه، اذن فما هذه الظاهره التي نقف عندها بكثير من الاحتياط والتحفظ آسفين ؟

انى احترم المؤرخين واقدر جهودهم واكبر عملهم ولا يعني هذا أنهم احسنوا في هذا الاهمال في اشخاص واصابوا الحقيقة بتلك العناية في اشخاص .. ولعل هذا النحو من الاهمال وذلك النحو من العناية يفتح باب الريب والشك في هذه العنايه ، ولعله من الهين الوقوف عند تلك العنايه التي عنيتها كتب الرجال في كثير من الاشخاص يقف عندها متعرضاً لها مقرباً ومبعداً ، فان الفلسفة التاريخيه جعلت الكاتب اكثر صراحة مما سبق ، وجعلته لا يتقيد بالنصوص لاسباب غير مجهوله والكاتب الصريح يأبى ان ينخدع ويأبى ان يترك عقله للعبث به ، وقلمه للاسترسال وراء كل شيء ولا يجوز ابداً ان تكون العقيدة

مصدراً تاريخياً تفسر وتأول وتصوب وتخطىء ولنقف هنا ونتدبر فان المجال لا يستتع

تأليه

ومهما يكن من شيء فان كتب السير حدثتنا عن شيء اخر من حياة ابى ذر في الجاهلية فقالت : « ان اباذر كان يتأله في الجاهلية : يقول : « لا اله الا الله » ففي حديث نجيح « كان ابو ذر يتأله في الجاهليه ويقول : « لا اله الا الله » ومن حديث عبدالله بن الصامت الغفارى عن ابى ذر « .. وقد صليت يا ابن اخي قبل ان القى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بثلاث سنين » فقلت لمن ؟ قال : لله فقلت اين توجه ؟ قال ، حيث يوجهنى الله اصلى عشاء حتى اذا كان من اخر السحر القيت كانى خفاء حتى تعلونى الشمس » ومن حديث ابى ليلى الاشعرى عن ابى ذر « .. فقلت ابيك يا ابا بكر . فقال هل كنت تتأله في الجاهلية ؟ قلت : نعم . لقد رأيتني اقوم عند الشمس فلا ازال مصلياً حتى يؤذيني حرها فأخر كأنى خفاء ، فقال لي : الى اين تتوجه ؟ فقلت : لا ادرى الا حيث وجهنى الله حتى ادخل عليّ الاسلام »

ليس من البدع ان يتأله ابو ذر وليس من الغريب ان ينفر من الوثنية الافنه فان هذا الوجود قد ملء ايات ، وفي الطبيعه نوافذ ترشد الى الحكيم القادر ، فخالق الانسان اكبر من الانسان ، وخالق هذا الكون اعظم من الكون ، واحق بالعباده من هذه الاحجار المزخرفة التي لا حول لها ولا سلطان

وليس من المبدع ان يرقى ابو ذر بغنوذ عقله عن اوهام الناس وبصفاء ذهنه عن اثام الوثنيه الزائفه ، وبقوة فطرته عن هذا العالم المكدود بفساد النظم الاجتماعية والاخلاقيه ، وعن الجاهلية الحمقاء التي افنت الاداب، وافسدت الاخلاق واماتت الاحساس والشعور بقوة الحق . وعظمة المبدع .وجلال المصور. وقدرة الخالق المهيمن، فما نصب قائمه. واحجار منحوته. واصنام منصوبة تلطخ بدماء القرابين المراقه امامها. ويطاف حولها??!! فانها لا تتصل بهذا الوجود بشيء ولا يتصل هذا الوجود منها بشيء فهي لا تبصر ولا تسمع ،ولا تضر ولا تنفع ، وان في جمال هذا الكون البديع ونظامه المتسق ليـــل ونهار وشمس وقمر ونجوم لامعة صيف وستاء مظهراً من مظـاهر الحق . وآية من ايات المبدع وجلالا من جلال المصور القادر وعظمة تستمد من قوة الحق وتتصل بهذا الوجود الكامل ،ولا تتصل بهذا النصب القائمه والتماثيل المرتفعة علي ظهر الكعبه ، وبين القبائل وفي البيوت، قد عكف عليها العرب يقدسونها ويظعمونها ويعبدونها من دون الله ، انهم غلطوا بذلك وانهم لفي ضلال مبين

ولشد ما يعجب القارىء - كما نعجب نحن - من هذه العقليـة الافنه، فان العربي دقيق الاحساس شديد الذكاء خصب الذهن سامي الفطره ، قد تذوق جمال الطبيعة وتنعم بمنظر الباديه الجميل، فما هذه

الآتية الغريبه المعوجه التي دخلت عليه فاعتنقها ديناً ؟؟ وما هذه التماثيل التي نحتها بيده واخذ يعبدها من دون الله العزيز الحكيم ؟؟ واية قيمة لحجر نحته الانسان بيده لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع لتجري من فوقه دم النحور ويطاف حوله ؟ لقد غلط العربي وسفل عقله واسف في هذا الضلال ، وان اباذر بطل سيرتنا ادرك هذه الظاهرة المخذوله من ضلال قومه وشاهد وثنية وضيعة توبق الروح ، ومجوسية أفنه تزهق العقل . وجاهلية حمقاء توثق الاحساس ورأى تفسخاً في الاخلاق ، وتدهوراً في الآداب العامة فانسل والى اين ؟

ومن يدري مدى الحيرة التي كانت تنتاب اباذر من هـــذه الفوضى التى كان عليها قومه ؟ حياة مرتبكه متشائمه ماجنه تبعث العقل على التفكير طويلاً ، فان الدين هو الخطوة الاولى للحياة الهادئة والسمو الاخلاقي ، واي عاقل لا يفكر ؟ واية نفس ساميه لا تفكر فان الناس ليسوا على شيء من الحق ، فما اساف وما نائله ؟ وما اللات وما العزى وما هذه الضوضاء التي ترتفع حولها ؟؟ انه لشيء عجاب . حيرة من ابى ذر المفكر وتشكيك في عبادة قومه ، وتبرم من هذه الوثنية الجافه الحمقاء ، فهو يريد الله ويتوجه الى الله ويطوف بعقله حول هذه الكائنات ليصل الى الله ، وهو يصلي لله وحده لا شريك له

وهنا تبدأ حياة جديدة وتفكير ملهم ، حياة روحيه قوية فيها شيء

من الجد اوهى كل الجد ، فيها شيء من الالهام اوهى كل الالهام تسرع به الى الحق المطلق، والى النور الساطع ، والفكرة ترشده الى جلال الله الى عظمه الله سبحانه ، والعقل الصحيح ينطقة بتوحيد الله «لا اله الا الله وحده لا شريك له » والايمان يرشده الى تمجيد الله والى عبادته وحده فيترك الاصنام ويترك الطواف حول الاصنام ويتوجه الى الله ويصلي له وحده لاشريك له في العشاء وفي السحر ، وعند طلوع الشمس وانخذلت تلك الطقوس الفاسقه امام هذه الروحيه العالية ، وخلع تلك التقاليد الباليه وترك قومه عاكفين على عبادة الاصنام وتوجه الى الله فاطر السموات والارض ، اله كل شيء بارىء النسمة ومبدع هذا الكون على اتم نظام وابدع تنسيق ، وبالاخير يكون رابع المسلمين والمثل الاسلامي الرائع

☆+☆

اسمه ونسبة وضفة

ليس من الهين تصفية النزاع في اسمه واسم ابيه ، وليس من الهين الجمع بين هذه الاقوال المتضاربة ، فان الاختلاف واقع في ذلك كثيراً بحيث لا يمكننا غربلة هـذا النزاع للوصول الى الحقيقة ، بل لعل ذلك من المتعسر علينا ، ذلك ان الخلاف في اسمه كالخلاف في سلسلة ابائه ، ولا يلذ لنا السير وراء هذا النزاع العقيم ، ولا نستطيع

ان نجزم بشيء مما يذكر في هذه الاصول ، وحسبنا ما اشتهر به ، جندب بن جناده الغفارى ، من قبيلة غفار ، وغفار قبيلة من القبائل العربيه الضاربه حول المدينة ، وكانت تحل الشهر الحرام وتحترف قطع الطريق واعتراض القوافل التى تمر من ارضها ، وامه رمله وهى غفاريه ايضاً وورد عنه : انا جندب وسمانى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عبد الله واخترت اسم رسول الله ، ولكن لم نر من اطلق عليه هذا الاسم ، وكان اسمراً طويلاً خفيف العارضين في ظهره حناء ، وفي الاصابة كان طويلا اسمر اللون نحيفا ، وعن احنف بن قيس رأيت اباذر رجلا طويلاآدم ابيض الرأس واللحيه (١) .

بدء أسلامه

كانت الحجاز عش العقائد المضطربه ووكراً للاديان المختلفة ، من وثنيه موبقه تفنن العرب في اقامة شعائرها وطقوسها وتفننوا في نحت الصور والاشكال للاصنام والنصب التى لاتقع تحت حصر الباحث واحاطته ، ونصرانيه متخاذله شلت وتزحلقت عن درجة الايمان الى الجدل في الصور والركوع لها ما يقربها من الوثنية الاثيمه ، ويهوديه خبيثه تستأثر بكل شىء وترى الحياة وقفا على الشعب الاسرائيلى

---

(١) آدم : بالمد اسمر اللون

وليس لسواه حق ان يتمتع بنصيب من الحياة ، ولادينية ابا حيه تنكر كل شيء حتى وجود البارى جل وعلا ، والنفس المتواضعة هى التى تخلد الى هذه العقائد الجافه المنكره ، والاخلاق الموبوءه الخليعه والشعور المنحط واما النفس الكامله المعالية فلا تسف في الحياة اسفافاً ولا ترهن العقل ، بموبقات الاثام ، ولا تضرع لقيود البيئة الوضيعة ، ولا تستطيع ان تسترسل مع الشهوات المنهومه التى يغذيها المجتمع الموبوء وانما تنزع بصاحبها دائما الى الكمال الروحى ، والى المثل العليا من الحياة والفضائل والاخلاق السامية ، وتتجه بصاحبها الى هذا الوجود المطلق الفياض بالخيرات والبركات ، ليتصل بها اتصالا صحيحاً بروحه وقلبه ، ولا تعوزنا المثل للتدليل على ذلك فان نظرة سريعه في تاريخ الامه العربيه تدلنا على مقدار لتزلزل من عبادة الاوثان ونكرانها والهزء بها والسخرية منها ، لقد تحنث جماعة من العرب وانعزلوا ناحية ساخرين من هذه العبادة الهزيله المسفة هازئين بهذا الخلق الاثيم ، ينكرون على الطائفين حول هذه الاصنام منكرين الاصنام نفسها يقولون : نما حجر تطيف به لايسمع ولا يضر ولاينفع ومن فوقه تجرى م النحور ؟ يا قوم التمسو غير هذا الدين الذى انتم عليه » لو تبصر الناس لهوان الحق لايحتاج الى كثير عناية ، ومزيد حث والفطرة تدفع صاحبها الى الصراط المستقيم ، كما قال

النبى صلى الله عليه واله وسلم كل مولود يولد على الفطره الا أن ابويه يهودانه او ينصرانه » وصاحب سيرتنا ابو ذر من اولئك الافذاذ قد وصل بقوة عقله وصفاء ذهنه الى الحقيقة وادرك ما عليه قومه من الجهل والانحطاط والشطط وسوء الاخلاق ، وتفكك عرى الاداب ، فانعزل بجسمه وروحه عن قومه ناحية واصاخ بسمعه وقلبه الى صرخة العقل المدوية ، واستظل تحت راية التوحيد ، واخلص لله تعالى بقلبه ، خلصت نفسه من شرور تلك العقائد التافهة والاديان الشاذة التى كانت تنخر عقول العرب كما ينخر السوس الخشب ، واطمأن الى اليقين من دينه والى الصحيح من عبادته وازال بعقله الغشاوة التى نسجتها عناكب الاوهام علي عينيه ، فاصبح مؤمنا بالله تعالى موحداً مفكر في آيات الله واية نفس سامية لاتتسع لتوحيد الله واية نفس سامية لاتفكر في آيات الله اواية نفس شاعرة لاتتنزه عن عبادة الاوثان ولاتخلص لعبادة الرحمان ؟ ؟

لم تصل الينا كيفية عبادته لله سبحانه وتعالى والظن انه كان يخلو بنفسه وينفرد عن الناس متفكراً في قدرة الله وكذلك احسب انه لم يكن له اتجاه خاص يتوجه اليه وايضا لم يصلنا شيىء من الطقوس الدينية التى كان يقوم بها متعبداً ، ولقد رأينا من قبل الرواية تقول انه كان يصلى في السحر وعند العشاء وليست هذه الصلاة دعاء قطعاً وغير بعيد على ابى ذر ان

يلهم كيفية الصلاة لو اجمالا فان في صلانه قياماً وسجوداً كما يظهر من الرواية .

وايضاً لم نعلم انه اتصل باحد من اهل الكتاب ليأخذ عنهم شعائر الدين اوبعض الشعائر التى يمكن للعقل ان يتقبلها على ان النصرانية واليهودية في عصره تزحلقت وهوت الى هوة سحيقة ، واستساغت الكثير من العقائد الوثنيه فكانت من جملة عقائدها وطقوسها واكبر الظن انه لم يتصل باحد من اهل الكتاب ،وانه لم يكن لعبادته شكل خاص ، وانما هى عبادة روحية قائمه على التفكير ، والتفكير بالوجود المطلق بأمداداتها والحقيقه العظمى التى تهدى باثارها التائهين وترشد بامداداتها الى الصراط المستقيم وبازليتها الى الفيض على هذه الموجودات لتعترف له بالوجود المطلق الكامل والدوام اللا نهائى ، ويفكر في هذا الكون وفي حركه هذا الكون القائمة على نظام متسق مستمر لاتحويل فيه ولاتبديل، وهكذا كان ابو ذر في الاسلام فانه يقضى النهار مفرداً مفكراً يقول الامام جعفر الصادق عليه السلام : « كان اكثر عبادة ابى ذر التفكر » ولقد رأيناه من قبل لبث أربع سنين يصلى في عتمة الليل وعند الصباح وفي وضح النهار

✡ ✡✡

لاعتناق الدين الاســـلامي سريعاً ، وهيأهما لمعرفة اله السموات والارض ومن فيهما ومابينهما ، فان اخاه انيساً كان يصحبه في رعيه الغنم في النهار ويرقد الى جنبه ويراه مفكر ويراه مصليا فيقول له :

ماتصنع ؟

ـ اصلى

لمن تصلى يا اباذر ؟ ـ اصلي لله

ـ اى اله تصلى له ؟واين عنك الألاه مناة إلاه القبيلة؟

ـ اف اى مناة هذ ؟ انا لا اصلى الى مناة ولا اعرف مناة ، وهل مناةا الا صخرة صماء نحتها الانسان بيده ؟ فهو لايعي ولا يرشد ولا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ، وهو عاجز لاحول له ولا طول .

ـ مالك ابك مس من الشيطان ام اصابك مناة فخذلك ؟ ؟ فان مناة الهنا واله ابائنا من قبل اتصلى لاله لا يرى ؟ وتترك مناة واساف ونائله واللات والعزى ان هذا لشيئ عجاب .

ـ مهلا يا انيس اصلى لله فاطر السموات والارض ومدبر الكون الذى خلقنا جميعاً بقدرته فأحسن خلقنا ، وميز بين الليل والنهار بحكمته ، وجعل لكل واحد منهما حداً بقوته وانا نراه بقلوبنا وبصائرنا وهذه الموجودات كلها دليل على وجوده وحسن تدبيره ، ومامناة واللات والعزى الا احجار منحوته ،

واصنام منصوبه لاحول لها ولاطول وما اساف ونائله الازائيان (١) ؟ ! انحب يا انيس ان اعبد زاتياً ؟ .

يا للشرف المخذول والانسانية المرهقة . فما اعجب ان تكون حياتنا كلها شروراً . واعجب من ذلك ان نتخذ من انفسنا عوناً على انتشار الشرور والفساد .

انيس ــ عجباً أتسفه آلهتنا وتسفه عقولنا وعقول آبائنا؟ــ ما هــــذا ؟ اني اخاف عليك غضب مناة ارجع الى صوابك قبل ان يتسامع الناس بك فتخزى وتغضب علينا الالهة .

ابو ذر ــ يغضب مناة تغضب الالهة ؟ ! ان هذا لشيىء عجاب، كيف تغضب صخور صماء لاتسمع ولاتبصر ، ولاتعى ولا ترشد ؟ واية قيمة لغضب صخور نحن نحتناها بايدينا ونحن وضعناها في امكنتها ؟ وهى لاتضر ولا تنفع ، وما ذنب ابي ذر اذا كان اباؤنا لايفقهون ، واذا كانوا جهلاء يتيهون في

---

(١) روى ان اسافا ونائله يمنيان وكان اساف يحب نائله وفي بعض السنين اقبلا الى بيت الحرام حاجين فدخلا الكعبة على غفله من الناس فوجداها خلوا من كل احد ففجر بها فمسخا فاصبح الحجاج فوجدوهما مسخين فوضعوهما الى جانب ليتعظ بهما الناس لئلا يتكرر هذا العمل القبيح المشين في البيت الحرام فمرت عليهما ايام وعبدت الاصنام وعبد معها اساف ونائله هذه هى الهة العرب .

ضلال مبين ؟ ! وان هذا الهيكل الانساني الذي نراه خاويا يكابد عوامل البلى ، وصائراً الى الانحلال اذا لم يصغ بسمعه الى صرخة العقل الداويه ، والى صوت الحقيقة التى تتجلى في كل شيىء من الموجودات في هذا الكون ، فاستجمع يا انيس رشدك واصغ الى صوت عقلك .

انيس - حسبي كدت اركن اليك وكدت اشكك في الهتنا

ابو ذر - اريدك ان تشكك ، ان هذا القلب الذي تتوالى دقاته في صدرك قد تلون بالتقاليد الباليه ، وقد آن للانسان ان يتجرد من هذا التقليد الاعمى ، فلوجلوت صداء قلبك واستمعت الى صوت العقل لتركت ما كان عليه اباؤك من عبادة هذه الاوثان والتماثيل التي لا قوة لها ، واتجهت بروحك وعقلك الي عبادة اله واحد لا اله غيره ، ولا شريك له هو خالق كل شيىء ومدبر هذه الكائنات ، وان من اعجب الاشياء ان يتصاغر الانسان امام هياكل جامده صنعها بيده .

من الحق ان يكون قد وقع مثل هذا الحوار ، ومن الحق هذا التخاصم . فان بوادر هذا الانحلال والتفكيك في عرى الانسانية المتخاذلة في عصر الجاهليه اخذت تظهر بشكل واضح بين الامم ، وبنوع خاص بين العرب ، والوضع كان مرتبكا على اشد مايكون من الارتباك ، ومنحلا على اشد مايكون من الانحلال ، واخذت التنبؤات بقرب ظهور نبى من العرب

تظهر من الاديرة والبيع على السنة الرهبان والكهنه من اهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وشاع ذلك بين العرب ، حتى ان اميــــة بن الصلت كان يرجوا ان يكون هو ذلك النبي الذي سيظهر ، وقد كان الشوق يشتد ببعضهم ان يمتد به العمر حتى يدرك ذلك النبى ، ومن المعقول جداً ان نعتقد ان اباذر كان شديد النهم لاستماع هذا النوع من حديث النبوه ، فان في هذا الحديث الغذاء الروحي للاجسام المنهوكة من هذه الفوضى الاخلاقية والاجتماعية وهذا التفكير العميق وفيه اشاع النفس المألومة ، وصيحة ، الرجولة الكاملة وصوت الانسانية الصحيحة ، وصرخة الايمان وقوة العقيده .

☆★☆

لم يطل زمن هذا الصراع الاليم فقد اظل اباذر زمان نبى يبعث بالشريعه السهله السمحاء دين ابراهيم الحنيف ، ودقت الســـاعة ودوت صرخة « لااله الا الله » وظهر النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم يدعوا الناس الى الشهادتين « اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله » وماكان اعظم سرور ابي ذر حينما مر به رجل من مكه فقال له : « يا ابا ذر ان رجلا بمكه يقول مثلما تقول : لااله إلا الله» يزعم انه نبي » .

ابوذر ـ ممن هو ؟

الرجل ـ من قريش

ابوذر ـ من اى قريش ؟

الرجل - من بني هاشم سنام الفخر

ابوذر - مافعلت قريش ؟

الرجل - كذبوه وآذوه وهم وهو في صراع عنيف وقد منعوا الناس عنه وحذروهم منه

ابوذر - ماذا يقول لهم ؟ والى اى شيىء يدعوهم ؟

الرجل - قد جعل الالهة الهاً واحداً ويدعوهم الى عبادة الله ونبذ الاصنام

ابوذر - وقد خرج الرجل - يقبض بيده لحيته ويطرق مفكراً كأنه يرجع الى شيىء في قرارة نفسه ليتبين المشاكلة بين ما هو عليه وبين رجل مكة - صاحب الدعوة الاسلامية - ويقول لنفسه: جعل الالهة الهاً واحداً ويدعو الناس الى اله واحد ، اية غرابة في هذه الدعوة؟ اليست دعوة الى الحقيقة؟ اليس فيما نرى ان هذا الكون يسير بظواهره وبكل ما فيه على قوانين مرسومة سيراً متزنا لاتبديل فيه ولا تحويل ، وسيسير على هذا القانون الى اللانهاية ؟ وهل تسيره اللات والعزى ومناة هذه النصب الجامدة ؟ اوهو العدل الالهى وحكمة اله السموات والارض هى التي تسير كل شيىء ؟ لاشك ان مبدع هذه الاشياء ولا شك ان خالقها اعظم منها ، ولاشك ان هذه الاحجار المنحوته لاتدفع عن نفسها شراً ولا تستطيع ان تجلب نفعا ، حقيقة راهنة انكارها ضرب من غش النفس وتخاذل العقل ، والحياة شر كلها

مادام هذا الانسان مخذولا في تفكيره ، مخذولا في عقله ، والحياة شر كلها مادام هذا الانسان طائشا جهولا يتضرع الى هذه الصخور الجامده ، ويركع امامها وينحر لها ، والحياة شر كلها مادام الانسان بعيداً عن الله قريبا من هذه العقائد الجافة ولا بد لهذا العالم من مصلح قبل ان يتزلق قدمه به الى الهاوية .

ثم يلتفت الى اخيه انيس ويقول له :

« انيس اركب الى هذا الوادى من مكة ، فاعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم انه نبى يأتيه الخبر من السماء ، واسمع من قوله ثم آتني بخبره » .

يذهب انيس الى مكة ويدخلها ويطوف بالبيت على عادة العرب ويرى جماعة

احدهم - يقول . . هذا الصابئي يتكلم

الثاني - انه ساحر كذاب لا تدنو منه

ثالث - انه كاهن ، رابع انه مجنون

خامس - انه شاعر

سادس - دعوه يتكلم بماشاء الان يأتى عمه ابو طالب شيخ الابطح فيغضب لتجمهركم عليه دعوه وشانه

انيس - يتقدم الى القوم من هذا ؟ وماذا تقولون فيه ؟

احدهم - هذا الصابئي يدعو الناس الى دينه الجديد

انيس ـ ماهو دينه الجديد ؟

احدهم ـ جعل الالهة الهاً واحداً

يتقدم انيس ليسمع مايقوله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

رسول الله ـ ايها الناس قد جئتكم بخير الدنيا والاخرة قولوا لا اله الا الله تفلحوا اني رسول الله اليكم وانا لكم نذير بين يدي عذاب يوم عظيم ، لاينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم ، ايها الناس اتقوا الله يرحمكم الله ، لقد ضل اباؤكم في عبادة هذه الاصنام ، فانها لاتضر ولا تنفع ولا تعي ولا ترشد .

رأى انيس النبي وسمع منه ، فاعجبه حلاوة كلامه وفصاحته وداخل قلبه شيء من حبه ثم رجع الى اخيه .

ابوذر ـ مارأيت يا انيس ؟

انيس ـ رأيت رجلا يأمر بالخير وينهى عن الشر يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويدعو الى اله واحد

ابوذر ـ مايقول عنه قومه ؟

انيس ـ يقولون ساحر مجنون كاهن كذاب شاعر وقد رأيت السحرة وسحرهم ونفثهم وعقدهم وليس منهم ولاهو كاهن وقد رأيت الكهنه وسمعت زمزمتهم وسجعهم وليس هو منهم ولا هو شاعر وقد وضعت كلامة على اقراء الشعر واوزانهم فليس هو منهم .

ابوذر ـ ماذا كان يفعل ؟

انيس ـ رايتة يصلى عندالبيت ويصلى الى جانبه غلام صبيح الوجه لم يبلغ الحلم، قيل هو ابن عمه على بن ابي طالـــب (ع) ويصلى خافه امرأة جليله قيل لى هي زوجته خديجه

ابوذر ـ (لم تشفن من الخبر) سأذهب بنفسى انظر اليه واسمع منه

☆☆☆

كانت السنة مجدبه والناس في ضنك من العيش فدخل ابو ذر على امه وقال : « قد انحبس عنا الغيث واجدبت الارض ، واصابتنا السنة ، وما لنا من وجه نذهب الى خالنا ؟ ـ وكان في نجد ».

الوالده ـ افعل كل ما تريد فليس لى رغبة عن كل ماتراه يا بني » .

خرج ابوذر وانيس وامهما يستحثون مطاياهم وابو ذرساهم سادر لايفكر في شيء إلا فيما يراه حوله، فيرى فيه عظمة الخالق وقدرة المصور وجلال الحق ، ويفكر في هذا الرجل الذى يزعم انه نبي وانه يأتيه الخبر من السماء، ويقول لا اله الا الله ونزلوا على الرحب والسعة من خالهم ، واكرم وفادتهم واحسن ضيافتهم ، وحدب عليهم ، ولكن جماعة من الحى ثقل عليهم هذا العطف والحنان على ابي ذر واخيه والانسان حسود بطبعه وعزموا ان يكيدوا لهما كيداً ليخرجوهما من القبيلة ، وقد بدأو عدتهم واجمعوا امرهم

واعتزموا الحيلة ودبروا المكيدة ، واختاروا رجلا منهم لينفذها

الرجل . . . يدخل على خال ابي ذر مقطباً حاجبيه مكفهراً مرتعشا كأن الشر يعدو خلفه

الخال ـ ماعندك هل نزل بالحي نازلة ؟

الرجل ـ متصنعاً الالم : لا ليس في الحى انما داخل خبائك ، ويجرؤنا على هذه المصارحة حبنا لك واكبارنا اياك

الخال ـ افصح فاني لا اعلم داخل خبائى الا العفاف والشرف

الرجل ـ انيس ـ ماأصاب انيسا ؟

الرجل ـ لم يصبه شيىء « وانما يخالفك الى اهلك اذا خرجت ويجلس اليهم » شرف مطعون وكرامة مداسة ، واحسان قوبل بالاسائة ، فحنق في قلبه ، وتغيرت معاملته لهم وهو واجم

ابوذر ـ يرى خاله قد تغير عليهم وهو دائم الفكر فقال له : مالي اراك مفكراً ؟

خاله ـ لاشيء انصرف الى عملك !

ابوذر لاعمل لي اذهب اليه واراك كئيبا واراك تبكي فما سبب بكائك فلعلى اشاطرك ؟

خاله ـ انيس . انيس

ابوذر ـ اية جناية ارتكبها انيس

خاله ـ انه يخالفني الى اهلى ويجلس اليهم ! !

ابوذر — غاضباً « كلمة تملأ الفم . انا نخشى الفاحشة ، ونخشى الله ، وان كان الزمان اخل بنا ولقد كدرت علينا صفو ما ابتدأتنا به ، من معروفك ولا سبيل الى الاجتماع بك واحتمل ابوذر امه واخاه وتوجه الى حيث يقصد الى مكة الى الرجل الذي يزعم انه نبي يأتيه الخبر من السماء ، وهذا ما حدا به الى الخروج من قبيلته وهذه الاماني العذاب هي التى دفعته الى ذلك

دخل مكة وطاف بالبيت ، واخذ يبحث عن طلبته وعمن يرشده اليه اذا استرشده ، وهل يأمن كيد اعدائه وغائلة معارضيه اذا سأل؟ اذن يجلس في المسجد الحرام ويتصفح الوجوه ويسترق السمع ، لعله يقع نظره عليه ، او يرى من يرشده اليه .

جلس ابوذر داخل المسجد يفكر في امه واخيه الذين تركهم خارج مكة ، ويفكر في طريق يوصله الى النبي (ص) والشمس تسرع في انحدارها عن افق مكة ، حتى توارت وارخى الليل سدوله ، ومد اردیته السوداء على مكة وشعابها وخيم الظلام إلا من مصباح هناك في زاوية من المسجد ، يرسل اشعة ضئيلة يهتدى بها المتخلفون ليطوفوا بالبيت وما يطوف به في ذلك الوقت غير قليل فان قريشا في هذا الوقت تلجأ الى سمرها وخلاعتها وفسقها ، ومر علي بن ابي طالب عليه السلام ليطوف بالبيت = وكان قد فرغ من صلاته خلف النبي = فتراءى له شبح في احدى جوانب المسجد فاقبل نحوه فرأى رجلا جالسا فقال له:

كأن الرجل غريب ؟

ابوذر ـ نعم

علي ـ معى الى المنزل وانطلق علي (ع) ومشى ابو ذر خلفه ، وسارا صامتين لا يسأله علي عن شيىء ، وابوذر لا يسأل علياً شيئا وبات ابوذر ليلته ، ولما اصبح الصباح خرج الى المسجد لعله يقف على خبر النبى وطعامه من ماء زمزم ، واقبل الليل ولم يتصل به خبر النبى ، واقبل علي على عادته فرأى سواد الشبح فتقدم اليه وقال :

«اما آن للغريب ان يعرف منزله بعد؟

ابوذر « لا »

علي - «انطلق معى الى المنزل » قام ابوذر يمشى خلف علي (ع) وقد ارتاحت نفسه اليه ، وهم ان يسأله عن النبي ، ولكنه تراجع وكيف يسأله ؟ فأنه يخاف على نفسه في هذا الليل البهيم .

علي ـ « اراك مفكراً ففيم تفكر ، وما أمرك وما اقدمك هذا البلد

ابوذر ـ « ان كتمت عليّ اخبرك »

علي ـ « اكتم عليك ان شاء الله » انبسطت اسرة ابي ذر وارتاحت نفسه « حيث يسمع ذكر الله ، وداخله سرور عظيم لانه يمشى خلف شاب يذكر الله ، ويؤمن بمشيئة الله وايةعناية

لالهي بان هداني الى من يحب الله ، ويعتصم بـالله،ويعلق اموره بمشيئة الله ؟

ابوذر ـ «بلغنا انه قدخرج هنا رجل يزعم انه نبي فارسلت اخي ليكلمه فرجع ولم يشفني من الخبر فاردت ان القاه »

علي ـ «اما انك قد رشدت هذا وجهي اليه فاتبعني ادخل حيث ادخل ، فاني ان رأيت احداً اخافه عليك قمت الى الحائط كأني اصلح نعلي فامض انت »

ابوذر ولماذا ؟ !

علي ـ ان اهل هذا البلد فقدوا رشدهم ، وران الفجور على قلوبهم واستولت عليهم غاشية الكفر ، واتخذوا سبيل الشيطان سبيلا لهم ،وجعلوا اصابعهم في اذانهم عن سماع دعوة الله و استكبروا استكباراً فانهم الاخسرون .

اهتز ابوذر فرحاً حينما سمع كلام علي (ع) وعرف انه ذاهب النبي (ص) واحس بجاذب يجذبه اليه ،يا لعظمة الحق يا لجلال الحقيقة ، لقد وقعت على صفى من اصفياء النبي ، ولعله علي الذى اخبرنى عنه انيـــس وانه يصلي خلف ابن عمـــه ، ان سماته تفصح عن سموه، وكلامه يعرب عن قدس نفسه وسمو عقله ،وارى نفسه ترتفع عن هذه النفوس التى رايتها تطوف حول البيت ، واراها قد ارتفعت عن اوهام قريش ، انه مرشدى الى محمد حيث شاء الله لى الرشد والهداية .

مضى علي ومشى خلفه ابوذر ، ودخل على النبي (ص) ودخل معه ابوذر فما ان رأى النبي قال : السلام عليك (١) .

النبى ـ وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ممن الرجل ؟

من غفار ـ فرفع النبى بيده ووضع اصابعه على جبهته فقلت في نفسي كأنه كره ان انتميت الى غفار لانها كانت تقطع الطريق ؟

النبى ـ ماتريد ؟

ابوذر ـ اعرض عليّ الاسلام

النبى ـ الاسلام إن تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله

ابوذر – وماذا بعد ؟

النبي ـ ان تنتهي عن الفحشاء والمنكر وتأمر بالمعروف ومكارم الاخلاق وتتجافى هذه الاصنام التى عكف عليها الناس فان عبادتها من عمل الشيطان ..

وماذا بعد ؟

ان لا تشرك بالله ولا تزني ولا تسرق ولا تظلم وادفع بالتي هي احسن

ابوذر ـ اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله تقول حقاً وتنطق بالصدق ، رضيت بالله ربا وبك نبيا ، يارسول الله من هذا الشاب الذي ارشدنى اليك ؟

رسول الله ـ هو ابن عمي واخي علي ابن ابي طالب

---

(١) اتفقت الروايات انه عندما راى النبي قال السلام عليك

والذي بعثك لاصرخن بها

يلفت نظرنا من ابي ذر هذه الظاهرة من حياته وهى الصراحة وقد تدهشنا هذه الصراحة التي تدفعه الى المعترك الهائج وحيداً فريداً ، وبالاخير طريداً مشرداً عن دار هجرته الى فلاة من الارض ليس فيها احد من الناس ، ويظهر من مجموعة حياته ان الصراحة عنده لم تكن نظرية تتسع للجدل والمناقشة ، وانما هى مبدأ اساسي نشأ عليه فلا يفارقه ، وهو حساس دقيق من هذه الناحية الى اقصى حد وابعد غاية ، لاتأخذه فيما يريد ان يقول لومة لائم ، لا يجاري عدواً ، ولا يماشي صديقا ، يندفع وراء مبدئـــه في اشد الساعات واحرج الاوقات ، ولا نريد ان ننكر عليه هذا المبدأ وهذه الصراحة ، فلقد كان لذلك اثر بعيد ادى الى الغاية التي كان يرمي اليها ابوذر في صراحته وقد كشف الستار عنها في بدء اسلامه وفي نهاية حياته .

شهد ابوذر الشهادتين وآمن باليوم الآخر وبكل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له النبى (ص) :

ياابا ذر اكتم هذا الامر وارجع الى بلادك فقد رفعت الى ارض ذات مال ولا احسبها الا تهامة ، فاخرج الى قومك ، فادعهم الى ما دخلت فيه ، وفي طبقات ابن سعد وجهت الى ارض ذات نخل ولا احسبها إلا يثرب ، فهل إنت مبلغ قومك عسى الله ان ينفعهم ويا جرك فيهم ؟ !!

ولكن اباذر - على مبدئه - لم يشاء ان يكتم ايمانه ويخلد الى السكينة وكأنه علم ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انما قال له اكتم هذا الامر رأفة به واشفاقا عليه من طغاه قريش وعتاتها وليس الامر الزاميا .

وقد يخيل لقصار النظر ، ان رسول الله (ص) احوج الى بقاء ابي ذر في مكة ، ليكون له عونا على مشركي قريش ، فانه رجل شجاع ذو سطوة . ولكن هنا يكمن سر الدعوة وسر التوجيه اليها ، فان لكل دعوة مهما كانت نقطة انطلاق تنفذ منها الى الميادين الاخرى ، وهناك ظاهرة بنظر النبي (ص) تعتبر حماية للدعوه الاسلامية هي انفع من بقاء ابي ذر في مكة ، هي مكان غفار الاستراتيجي والاكثر نفعا للدعوة ، فان مر قريش في احدى رحلاتها على غفار .

ورسول الله (ص) يريد امتداد الدعوة ، ولن يتحقق هذا بين القبائل اذا لم يكن تخطيط كامل شامل لاظهارها وخروجها من بين جدران مكة ، ليتسرب الخوف الي نفوسهم ، والرعب الى قلوبهم وفي سبيل الوصول الى هذه الغاية الشريفة يأمر رسول الله (ص) اباذر بالخروج الى قومه لبث الدعوة من جهة ، وللاحتفاظ بقوتها في مكة من جهة اخرى فيما اذا اسلمت غفار او اسلم نفر منها وابوذر خير عون على تحقيق هذه الاغراض النبيلة لما فيه من صراحة وشجاعة ولمكان قبيلته التي تتركز

عليها حركة قريش في رحلة الصيف . ولذلك قرر ابو ذر ان يبدأ حركته في مكه نفسها بان يعلن لقريش ان نور الاسلام قد انبثق وارسل اشعته الى خارج مكة فما هى صانعة ؟ فيقول لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم بلغة المعتز بدينه المنتصر له .

« والذي بعثك بالحق نبيا لاصرخن بها بين اظهرهم ولتصنع قريش ماهي صانعة » .

خرج ابوذر الى المسجد والايمان يعمر قلبه والاسلام ملء سمعه وبصره فلما اجتمعت قريش صرخ ابوذر باعلى صوته قائلا ! .

يامعشر قريش اني اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله ، صرخة دوى منها الحرم ، واخترقت مسامع قريش ، وانها لصرخة دوت كالرعدة القاصفة اجفلت منها قريش ، فان لهذه الصرخه قيمة في نفوسم ، ولها قيمتها في التمهيد للاسلام ، صوت يتحدى قريشا الغاضبة الصاخبة ويغزوها في عقر دارها له قيمته في بث الدعوة الاسلامية وهذا هو صوت الجرىء الباسل الذي يهاجم اللات والعزى في عاصمتها واستخف بها وحقر شأنها

ويجب ان نلاحظ ان هذه الصرخة التى دوت في الحرم واخترقت ادمغة الجمهور القرشي هى باكورة الصيحات المدوية التى كان يجب على قريش ان تحسب لها الف حساب وحساب ، ومما لاشك فيه ان قريشا اوجست خيفة من هذا الصوت المرتفع

امام هبل ، ولقد علمت ان هبلا قد انخذ ل امام هذا الصوت العالى ، وتحطمت قوائمه وتلاشت عظمته ، وانهدم عزه ومجده فسوف لا يعبد بعد اليوم فان هذا الصوت المعالن تجاوز حدود مكة وتعدى الى جوانب جزيرة العرب ، وهو اول فأس قاطع ضرب هبلا على رأسه ، واول طعنة نجلاء اصابت قريشا في الصميم وقد اطالوا التفكير في هذه الصرخة المدوية تخترق اسماعهم وتمزق نفوسهم .

وهل يسكت المجتمعون في المسجد والطائفون حول البيت عن ابي ذر ، وقد حقر آلهتهم ، وتحداهم وطعن في دينهم ؟ كلا لقد مالوا عليه . وصاحوا اصابئي . صائبي «وضربوه حتى كاد ان يموت وخر مغشيا عليه ، واقبل العباس بن عبد المطلب فاكب عليه وقال :

« ويلكم يامعشر قريش تقتلون رجلا من غفار ومتجركم وممركم على غفار أفلا تخافون قومه ؟ فاقلعوا عنه وارتفع - ابوذر - فاتى زمزم وشرب من مائها وغسل عنه الدماء وخرج من المسجد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم فقال له - اين كنت ؟

ابوذر - «في المسجد لقد صرخت بها بين اظهرهم فقال رسول الله - من اين اكلت ؟

ابو ذر ـ » من ماء زمزم !

رسول الله (ص) «انه لظعام طعم »

ابوذر لم يكتف بهذا الصوت ، وان رغبته كانت شديدة وملحة في ان يصرخ بها ثانية ، ليفهم قريشا ان الشعور الانساني قد ارتفع عن هذه الاوهام المنحطة ، والانسان الكامل الايمان يستعذب الالم في سبيل الله ، ويستطيب العذاب في سبيل الدعوة الى الدين الصحيح ، وتضطرم في نفسه العزائم فلا تؤثر فيه هذه الضربات إلا عزماً وتصميماً ، ولذلك خرج ابوذر من عند النبي (ص) وهو عازم على الجهر بالشهادتين ثانياً

دخل المسجد وقريش متكتلة كتلا تشتور في دفع الخطر الداهم ، فان صوت الغفارى ينذر بالخطر على الهتهم ، واذا بصارخ يصرخ باعلى صوته يامعشر قريش :

« اشهد ان لااله الا الله وحده لاشريك له واشهد ان محمداً رسول الله »

المجتمعون ـ مدهوشين الغفارى الصابئي يتحدانا ويطعن في الهتنا ويمس كرامتنا اقتلوه » فمالوا عليه يضربونه حتى كاد ان يموت وخر مغشياً عليه وادركه العباس فاكب عليه ، واقبل علي قريش وقال :

ويلكم يامعشر قريش اتقتلون رجلامن غفار ومتجركم

ومر كم على غفار أفلا تخافون ؟ فاقلعوا عنه وتركوه كانه نصب احمر ، وافاق من غشيته واتى زمزم فشرب من مائها وغسل عنه الدماء وخرج من المسجد ، وقد بلغ غايته فان قريشاً قد فهمت ان صوت الاسلام ارتفع في الفضاء واخترق الاذان

صرخة ابى ذر في مجتمع كمجتمع قريش الغاضب على الدعوة المحمدية ، هى الصرخة الحقيقية للعقيدة والعقديين الذين آمنوا بعقيدتهم ، ولا مجـــال لايراد الحوادث في الصراع العقيدى ، وابو ذر من اولئك الافـذاذ الذين لا يهابون شيئا في سبيل عقيدتهم ، ويقدمون على المخاطر برباطة جاش وصبر وثبات للوصول الى غاياتهم السامية التي يؤمنون بها ، وموقفه من قريش الصاخبة على محمد (ص) ظاهرة نفسيه معهودة بالطبائع التى تتقبل كل صدمة ، مهما كانت في سبيل العقيدة والمبدأ ، ولا تتعرف على حدود المجازفة .

لقد اسلم ابو ذر وشهد لله بالواحدنية ولمحمد (ص) بالرسالة وما ان تم ذلك حتى استبسل في سبيل عقيدته ، وانقلب انقلابا عجيباً ، وجعلت منه رجلا غير ذلك الرجل الذى دخل مكـة خائفاً بمـا ظهر منه من روائع الايمان واليقين والصبر والشجاعة وخوارق العمل مما يحير العقل والفلسفة ، ومهما حاولنا تفسير هذه الظاهرة ، فلا نستطيع تفسيرها باكثر من انها سر من اسرار الاسلام ، وارتباطه بالقلوب والنفوس ، ولسنا نفهم من هذه

الصرخة في هذا المجتمع الهائج إلا ذلك الارتباط ، وتلك العقيدة التى جرت في شرايين جسمه جريان الدم .

وهذه الصفحات من حياة ابي ذر تبرز صورة من هذه العقيدة التى لم تحن رأسها لغير الله ابدا ، وهانت امامها وجوه الولات فكان ينظر اليهم كما ينظر الناس الى الدمى لابسة ملابس الانسان ، والى مظاهر العظمة كماينظر الى الكلب مطوقاً بالذهب وهذا موقف لابى ذر مؤكد مجسد بسلوكه مع هؤلاء الولاة ولا يغيب عن بالنا ان مواقفه معهم كانت افصاحاً عن العقيدة العميقة تمزج بالدم والروح .

صاح ابوذر صيحته الخالدة في مجتمع قريش ولهذه الصيحة مكانها الملحوظ في الاسلام ، ولها مكانها الملحوظ في نفوس القرشيين ، ثم خرج من المسجد يسير الى محمد ، ودخل عليه فسأله النبي (ص) اين كنت ؟

ابو ذر ـ كنت في البيت ، ولقد صرخت بها ثانية في قريش

النبي ـ يا ابا ذر « ارجع الى قومك فان ابن عم لك مات وترك مالا فخذه وانتفع به واستعن به على الدعوة الى ما دخلت فيه ، واني قد وجهت الى ذات نخل فلا احسبها إلا يثرب

ابوذر ـ سأذهب ، وسأدعوا قومي الى الاسلام ، واما قريش فلا ادعهم حتى اثأر منهم فأنهم ضربوني .

خرج والايمان بالله ورســـوله يعمر جوانب قلبه والاسلام ملء سمعه وبصره ، ولقد خلص من الخواطر الجائشة والافكار المضطربة ، وهو فرح مسرور بما فتح الله عليه ، ان هداه للدين الحنيف الذي ترضاه النفوس الطاهره ، وترشد اليه الفطرة المستقيمة ويقبله العقل السليم ، وما كان ليهتدي لولا ان هداه الله ، ومـا كان ليرشـد لولا ان ارشده الله

خرج من مكة وهو يمعن تفكيراً في هذا وامثاله، ويفكر فيما مر به من احداث ، وما لاقاه من ايذاء قريش له لانه اسلم وكيف خلص من الموت ؟ يفكر في ذلك وابتسامة الفرح ترتسم على شفتيه ، ووجهه يشرق سروراً وقلبه قد عمر بالايمان بعظمة الله تعالى ، وقدس رسول الله (ص) وامتلأ بعواطف جياشة اهمها نشر الدعوة الاسلامية بين قبيلته غفار، وحلفائها أسلم والانتقام من قريش ، فانهم ضربوه حتى كاد ان يموت لولا ان تداركه العباس وممـر قريـــش في متجرها على غفار .

وصل الى امه واخيه واستقبله انيس وقال : لقد ابطأت علينا ماصنعت ؟

اسلمت لما ان رأيت محمداً صلى الله عليه واله وسلم ، وقد علمني اصول الاسلام وقواعد الايمان ، افلا تؤمن يا انيس وتترك عبادة هـذه التماثيل الجامدة ؟

انيس ـ يفكر قليلا كأنه يجمع تلك الشوارد التي مرت عليه

يوم جاء الى مكة ، وسمع تلك الكلمات العذبة التى سمعها من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ، فانتفض كمن كان في سكرة وقال : « وانا مابي رغبة عن دينك فانى قد صدقت وآمنت » اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله هيا بنا الى امنا .

يتوجهان الى العجوز الجالسة بفناء البيت ، تنتظر ولدها فقد طالت غيبته ، وهي قلقة مضطربة ، تظن الظنون وتتخبط في الاوهام ، والافكار الغريبة ، والاخيلة المتمادية ، وقد استولى عليها جمود شل حركتها وهى في هذه الافكار الهائجة يدخل عليها ابوذر .

ابا ذر . بنى تقدمت بي السن وخانتني قواى ، ولا استطيع تحمل غيابك عنى ، وكانت خواطري تكنظ رأسى بدوار لم اعرفه من قبل ، وبمقدار صعود هذه الخواطر وهبوطها يدنو منى شبح الموت ولقد اقلقتنى

ابوذر - اماه صفحا لم يكن هذا التأخير عن قصد

الام - ماذا صنعت وماذا رأيت في مكة

ابوذر - اماه اسلمت وصدقت محمداً فأنه رسول الله حقاً رأيت رجلا سماه اعداؤه الصادق الامين ، النور يتصاعد من جبينه ، والصدق يخرج من لسانه ، والحق يصدر عن برهانه ، يقول حقاً وينطق صدقاً ، ويحكم عدلا ، الحكمة تفور من

من جوانبه ، والايمان يفيض عن لسانه ، يأمر بالمعروف وينهى عن الفحشاء والمنكر ، يدعوا الى الله فاطر السموات والارض ومدبر هذا الكون الزاخر بعجائب قدرته ، فاسلمت وهذا اخي قد اسلم فاقر لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه واله وسلم بالرسالة .

الام - وانا مابي رغبة عن دينكما فاني صدقت وآمنت اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله .

آمنت العجوز وانفتح صدرها للاسلام ، دين الرحمة دين الله الذي لا يريد من عباده غيره ، وكذلك اسلم انيس فتألف خارج مكة عائلة كريمة مباركة هى اول عائلة آمنت بالله تعالى واقرت لمحمد (ص) بالرسالة ، وبشرت بالدين الاسلامي ودعت اليه وجاهدت في سبيله .

وقد يتساءل القارىء عن هذه الظاهرة الغريبة من حياة ابي ذر ، ويستغرب هذا الانتقال السريع وقبوله الدعوة الاسلامية بهذه السرعة ، فانه ما ان رأى النبى (ص) وعرض عليه الاسلام حتى صدق وآمن وخشع قلبه خشوع الزاهد المتعبد ، وحياه بتحية الاسلام ، واعلن اسلامه في مجتمع قريش الغاضب الصاخب ، واحتقر الهتهم وسفه احلامهم ، وقد تزداد دهشتنا انه لم يكن لامه العجوز التي افنت عمرها وهى عاكفه على عبادة الاصنام

رغبةً عن دينه ، وامنت حقاً وكذلك اخوه انيس الشاب المتحمس لمناة لم يكن له رغبة عن دينه ، فقد لبيا الدعوة طائعين ونطقا بالشهادتين مخلصين ، وآمنا بالله موحدين ، وبرسوله معظمين .

وقد يتساءل ايضاً كيف انمحت تعاليم الجاهلية ونزعاتها بمجرد دخولهم في الاسلام واعتناقهم الدين الجديد وكيف وصل الدين الى اعماق قلوبهم ، وفهموا الاسلام كما يريد الاسلام ؟ وهذا يأباه علم النفس كل الاباء ، ولا يسمح لهم إن يفهموا الاسلام الا بمقدار ماتسمح لهم به جاهليتهم التي نشأوا فيها وشبوا عليها .

هذا جد في صورته هزل في حقيقته ، وانا لست من الملمين بعلم النفس واحس من نفسي عجزاً في هذه العجالة عن معالجة هذا الجد والهزل ، وقد حاولت ان اوفق بين الحقيقة والنظرية ، واجهدت فكري وسلكت في تفكيري شتى الطرق ، وعجبت من نفسي اذ وجدتها في كل هذه الطرق ترجع الى غاية واحده ويسلمها البحث الى شيء واحد هو انكار النظرية ، فان الحقيقة تتجلى امامي وهى تخالف النظرية بشكلها وواقعها ، والنظرية لاقيمة لها عندي اذا كانت لا تنطبق على الواقع فهى على الاقل ليست صحيحة ، وليس من اليسير تفسير المقدرة العقلية .

وفي الحق ان هذه الاحكام يتعجل بها اصحابها ويرسلونها

الى الناس ارسالا على غير هدى ، وبدون تحقيق وتأمل ، ومن المستصوب ان لانسترسل مع هذه الاحكام .

واكبر الظن ان هذة القواعد التى قررها علماء النفس ليست قواعد عامة شاملة ، وان من الممكن ان يشذ عنها افراد خصهم الله بمواهب خاصة وعقل كبير وبصائر نافذة امثال سلمان وعمار وهذه العائلة التى تألفت خارج مكة ، ممن وصل الدين الى اعماق قلوبهم بمجرد ان دخلوا في الاسلام

واذن فمن الخطأ الواضح الاسترسال مع هذه الاحكام ومن الخطأ ان يقودنا علم النفس وعلماؤه قيادة عمياء ، الى هدم حقيقة راهنة والى الطعن في اكابر الصحابة ، فان جمهرة المهاجرين الاولين من اكابر الصحابة ـــ اذا استثنينا امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) ـ قد نشأوا وشبوا وترعرعوا عاكفين على عبادة الاصنام يطوفون حولها وينحرون لها ويعظمونها ، وربما كان بعضهم يقر لها بالعبودية ، وينسب نفسه اليها مفتخرا ، فلو كان علم النفس يأبى عليهم ان يفهموا الاسلام كما يريد الاسلام ويابى عليهم ان تنمحى من نفوسهم التعاليم الجاهلية كانت الطعنة نجلاء والضربة قاسية ولا اظن ان باحثا يتحمل مثل هذه المسـئولية نتيجة لاقرار احكام قد يفرضها علماء النفس فرضـاً

على ان نرى ان علم النفس غير خاضع لقواعد واحدة في

في غرائز الانسان فالملاحظ ان الشيوعية لها قواعد وللرأسمالية قواعد في علم النفس تختلف بحسب الميول والمبادىء وتأثرت بحسب وجهات النظر ، فعلم نفس شيوعي وعلم نفس رأس مالي يختلفان باختلاف الدولار والروبــل واختلفت وجهات النظر في قواعده باختلاف الشيوعية والرأسمالية ومن الواضح المعلوم ان تركيب الانسان الشيوعي لا يختلف عن تركيب الانسان الرأسمالي وهما لا يختلفان عن الانسان الاخر . وهنا نتسائل كيف اختلفت قواعده ، والانسان في غرائزه وعواطفه واحد لا يختلف الغربي عن الشرقى ؟ ! وكيف ابتني علم النفس على الشيوعية والرأسمالية ? ومايدرينا ان يقوم في هذا العالم المضطرب مبدأ آخر ويضرب تلك القواعد النفسية ليقعد قواعد اخرى تتصل بمبدئه وقد يتطور علم النفس فيؤسس على البيأت ويتعدد علم النفس بتعدد البيأت .

ومهما يكن من شيىء فأنى لا اريد ان امنع القارىء من التمسك بقواعد علم النفس . ان كان مؤمنا بعلم النفس وبقواعد علم النفس ، فلعله يجد منفذاً من القول في كثير من الصحابة ، ولعله يجد الشواهد والادلة على ذلك ، ولعله يجد من يؤمن بهذه القواعد ويطبقها ، ولكنى لا ارى له مجالا في صاحب سيرتنا ابي ذر ذلك ان في حديث الرواة الثقات صورة صحيحة صادقة ، تدفعنا

الى الايمان القوي بان ابا ذر التهم الاسلام يوم اعتنق الاسلام متمشيا في عروقه مخالطا دمه وفهم الاسلام كما يريد الاسلام يومئذ ، ولم يبق في نفسه آية نزعة جاهلية وكان مثلا اسلامياً اعلا ، ذلك انه في اول اسلامه صرخ معلنا بين تلك الجمهرة الطاغية الهائجة من قريش ، واى اسلام اعلا من هذا الاسلام ؟ على انه يمكن ان نتفق مع علماء النفس في ابى ذر ، ذلك انا رأيناه من قبل تنكر من الاصنام وسفاذهنه فتحلل من الاصنام ونبذها ظهرياً ، وانعزل ناحية متخلصا من الوثنية الا فنه الوضيعة وكان من اشد الناس نفوراً من هذه الوثنية التي عليها قومه ،وكان من اشدما يكون ميلا الى هذه الروحية التى يتحدث بها الصالحون من الرهبان واهل الاديرة واهل البيع من اليهود والنصارى ،فمال الى التحنث وعبدالله ونزهه عن الشركاء والامثال ، ولا شك بان الاسلام ضرب على الوتر الحساس من قلبه وابصر منفذاً الى ضميره ، ووجد المشاكلة القوية بين ما كانت نفسه قد اطمأنت اليه من التوحد بين هذه الدعوة ، ولذلك تقبل الاسلام بطمأنينية وراحة ، ومن السهل اذن ان نتصور الاثر الذي احدثته العقائد الاسلامية في نفس ابي ذر ،والروعة التي تركها كلام رسول الله (ص) في نفسه .

وجماع القول انا نتمنى ان ينصفنا القارىء وان نخرج واياه من هذا البحث الدقيق بخير وعافية ، بما وفقنا الله له من معرفة

السلف الصالح الذين صدقوا بماعاهدوا الله تعالى عليه ، وليسمح لنا القارى الكريم ان كنا لا نجاريه ولا نماشيه في تطبيق قواعد علم النفس ، ولا اريد ان ادخل معه في هذا الجدل العنيف فاعثر العثرة التى لا تقال . وازل الزلة المنكرة واريد ان اترك - في هذه السيرة - تاريخ الاراء والاديان ، ونظرية علماء النفس واتحلل منها ، واريد الحقيقة الراهنة التى لا جدال فيها ، والحقيقة التي ارى انكارها ضرب من غش النفس . والجناية على التاريخ وخيانته . فان اباذر قد اسلم وجهه لله تعالى . وانشرح صدره للاســلام واخلص في ايمانه . وكان من الســابقين الاولين وهو رابع المسلمين قوى العقيدة . راسخ اليقين ثابت القدم في الايمان . والامان يعمر فؤاده . والاسلام ملء سمعه وبصره من اول يوم اعتنق الدين الاسلامي

وليس معنى هذا انه ليس هناك علم نفس ، وعلماء نفس بل كل هذا موجود . وانما اريد ان اقول : ان نظرية علم النفس لا تنطبق على نفس ابى ذر لا قليلا ولا كثيرا . بل ولا على جماعة آخرين ممن اعتنقوا الدين الاسلامى . واخلصوا لله ولرسوله في الســر والعــلانية . امثال المقداد وعمار . وهذا التاريخ يحمل لهؤلاء وامثالهم شارة الخلود . ويرفع لهم لواء العظمة . والتاريخ لا يسمح لاحد ان يقول : انهم لم يفهموا الاسلام كما يريد الاسلام . فان الاسلام لم يكن يوما منافيا

منافياً للعقل والفطرة التي طبع عليها الانسان ، وليس فيه ماينافي القدرة والعقلية ، فهو يساير العقل وهو الذى يعرف الانسان ماهية نفسه ، . ومن عرف نفسه فقد عرف ربه .

✡✡✡

لم يبق لأبي ذر - بعد ان اسلم واسلم اخوه وامه - من حاجة الى الأقامة في مكة اوضواحيها فان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قد اخبره انه ، رفعت اليه ارض ذات نخل وانها يثرب » وقد امره ان يدعو قومه للاسلام « فهو مؤمن كل الايمان بان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم سيهاجر من مكة الى المدينة وهو مؤمن بانه سيطيعه الكثير من قومه ، ذلك ان سول الله لا ينطق عن الهوى . ان هو الاوحي يوحى » ركب راحلته ومعه امه واخوه واتجه الى جهة يثرب يغذ السير ويستحث راحلته ، وانيس يحدو للرواحل وابو ذر في معزل عن حدائه ، فانه يفكر في الاسلام ، وفي رسول الله مع قريش الهائجة ، ويفكر فيما سيواجه من سادات قبيلة غفار اذا انكر عليهم عبادة مناة وسخرمنه ، وكيف يدعوهم الى الاسلام ، والاسلام دين جديد لا يتصل بعقائدهم ولا بشيء من اخلاقهم ، وان هذه الاصنام التى عكفت غفار والقبائل العربية على عبادتها تسيطر على كل مظهر من مظاهر حياتها ، فلا تترك مجالا لاية دعوة ولو كانت حقا

على طبق العقل فكيف يدعوها وهل يجد عندها اذناً صاغية ؟ وماذاسيواجه ؟ خطرت له كل هذه الخواطر ، ثم هو يعتدل على راحلته ولا يدع مجالا لهذه المخاوف ، ولا طريقا للتردد في نفسه ، ولا يترك سبيلا للشك يدخل الى قلبه ، فانه سيدعو غفاراً الى الاسلام ، وسينشر الدعوه بين افراد القبيلة مهما كانت الدعوة خطيرة ومهما وقعت من نفوسهم ، ومهما واجه من خطر ، وسيجادلهم ما جادلوه ، ويناقشهم ما ناقشوه ، فانه على يقين من دينه ، وبينة من ربة

ألم يقدم لمناة اللبن المقدس فجاءه الثعلب واكله ثم رأه بال على مناة ؟ فقال .

أرب يبول الثعلبان برأسه ؟ لقد ذل من بالت عليه الثعالب
فلو كان رباً كان يمنع نفسه ولا خير في رب نأته المطالب
برئت من الاصنام فالكل باطل وآمنت بالله الذى هو غالب (١)

المناظرة

وصل ابو ذر الى قومه ؛ وحط رحاله وضرب خباءه وآوت العجوز الى الخباء وقد اعياها السير وتعبت من السفر ، وكذلك ابو ذر فانه اجهد نفسه كثيراً ، والح عليه التعب ، فهو اشدما يكون حاجة الى النوم ، فان الليل

(١ ذكر ذلك الشيخ عبد الرحمان الصوفرى الشافعى صفحه ٢٤ من الجزء الاول من كتابه نزهة المجالس ومنتخب النفائس .

ارخى سدوله على الحى ، وها هم بين سامر وبين مضطجع قداوى الى فراشه ، وهناك جماعة يرجعون باحاديثهم الى ذكريات بعيدة ، وذكريات قريبة .

احدهم ـ هذه ايام مرت لم نر فيها ابا ذر فارس الحى

ثاني ـ وكذلك لم نر انيسا شاعر الحى

ثالث ـ ان ابا ذر كان يتباعد عن مناة ، ورأيت منه حركات لم نعهدها منه من قبل ، وسمعت منه جدالا مع اخيه حول مناة لم افهمه

الاول ـ ان ابا ذر كان يتأله ، وقد بلغه ان رجلا بمكة يتأله مثله يزعم انه نبي يأتيه الخبر من السماء ، ويدعو الى دين جديد ، فرحل اليه بامه واخيه .

الرابع - لقد سمعت انه رجع ومعه امه واخوه ، فاني رايت خباءاً يضرب الى الطرف الغربي من الحى ، فسألت عنه فقيل لى ان ابا ذر جاء ومعه اهله .

الثالث - هيا بنا الى ابي ذر لنرى ما عنده واين كان ؟ فانا في شوق شديد الى فارس حينا والى شاعرنا انيس .

يتوجهون الى مكان ابي ذر .

ابو ذر ـ وهو مضطجع يريد النوم يقول لأنيس :

انى اسمع وقع اقدام واصوات تقترب منا انظر من هؤلاء ؟

يخرج أنيس خارج الخباء ثم يعود .

هؤلاء جماعة من شبابنا جاءوا ليسلموا علينا حيث علموا انا رجعنا من سفرنا هذا

ابو ذر ـ اهلا بهم ، ادعوهم فليدخلوا فاني في شوق لسمرهم وحديثهم ، ولعلنا نرشدهم الى ربنا ، فهذا وقت الجهاد في سبيل الله .

يدخلون جميعاً انعم مساء يا ابا ذر ويعانقه الجميع ثم يجلسون

احدهم ـ لقد مرت علينا ايام سوداء وايام جميلة ، كنت في جميعها مدار حديثنا وكذلك انيس ، فاهلا بكما واهلا بك يا فارسنا . ابو ذر ـ انى احمل لكم في قلبى اعظم العواطف ، واخلص حب وانتم بين سمعي وبصري دائما .

احدهم ـ اين كنتم طوال هذه المدة التى غبتم فيها عن الحى ؟ ابو ذر ـ كنا في مكة .

ثاني ـ في مكة . . بخ بخ . . حججت وطفت بالبيت العتيق
ثالث ـ نحرت قربان السلامة امام هبل ، من هذه السنة المجدبة ، وسجدت للات والعزى . . وهذه نعمة عظمى لا ينالها الاذو حظ عظيم ومن كان للالهة فيه العناية الكبرى .

ابو ذر ـ بصوت هادىء ناعم ونغمة ظافرة ساخرة هبل اللات العزى الآلهة نصب قائمة لا تملك شيئا من الحياة ولا تملك ضراً ولا نفعاً . . لا . . لا . . لم اقدم قرباناً ، ولن اقدم ولم اهرق دماً ولن اهريق . . ولا سجدت لصنم منذ سنين ولن

اسجد ، واني انقدم بافعالى وسائر اموري الى الله تعالى الى الله وحده لاشريك له ، واسجد لله الذى لااله الا هو خالق كل شيء ربى وربكم .

يجفلون جمعا مما يسمعونه وترتعد فرائصهم جميعا ويأخذهم مثل الافكل

احدهم ـ ما هذا يا ابا ذر ، أتجعل الالهة الهاً واحداً ؟ ثم تنكر ما صدر عنها من ايات ؟ !

آخر ـ انعبد الهاً لم تره ؟ وتترك الهتنا وآلهة ابائنا

ابو ذر ـ هو ما اقوله لكم . . وان لم اره ببصري فقد رأيته ببصيرتى ، في نفسى وفي كل شيء ، وان هذه الخوارق التي تمر علينا ، والايات التي نشاهدها في كل يوم انما مصدرها الله سبحانه الذى هو مصدر كل شيء ورب كل شيء ، وهذه الاصنام التي نطوف حولها انما هى احجار منحوته ، واخشاب مسنده ، صنعها الانسان بيده وهل ، من الصحيح ان ما يصنعه الانسان بيده يكون الها له يعبده ويطوف حوله وينحر له ويطلب منه حاجاته ، وهو لايملك شيئاً من امره ولا يدفع عن نفسه شراً ، ولايجلب لها نفعاً : واذا ذهبنا الان الى مناة ونقلناه من مكانه فهل يستطيع ان يمنعنا من ذلك ؟ بل اذا اعملنا فيه فؤوسنا تكسيراً وتهديماً فهل يدفع عن نفسه : او هل يحس بالم أليس هذا اسفافاً في العقيدة ، وانزالا للعقل الى مستوى منخفض

ومنحط.

لقد غلط آباؤنا في تعظيمهم لهذه الصخور الصماء، وزلت عقولهم اذنزلوها الى مستوى وضيع بتعظيمهم هذه الجمادات، وحادوا عن الحقيقة اذتخيلو انها تشفع لنا او تقربنا من الله زلفى وتقضي حوائج المحتاجين.

احدهم - لقد اخبرتكم انه بلغه عن رجل في مكة من قريش يقول بمقالته ويدعو الناس الى آله واحد، وهو في نزاع عنيف مع قومه، وقريش اخصام الدعوة من اشد الناس عداوة لهذا الهاشمي المتنبيء وهم الب واحد عليه، ومن اشد الناس تحريضاً للناس عليه، وعلمت انه سخر من اللات والعزى، وحقر الالهه، وشيخ الابطح ابو طالب عمه هو الذي يحميه من عدوان قريش وولده علي يدفع عنه اذى اطفالهم وهذا ابو ذر على دينه.

ثاني - قوموا نذهب الى خفاف، فاني اخاف ان يعالن الحي بهذه الدعوة، ويفسد علينا عيشنا الهادى.

ابو ذر - مهلا. ان الرجل الذى خرج في مكة هو نبي حقيقة، لقد ارسله الله الى الناس كافة، يدعو اليه بالحكمة والموعظة الحسنة، يدعوهم الى الله خالق كل شيء، ومبدع هذا الكون بما فيه من سماء صافية. وشمس لامعة ونجوم مضيئة، وقمر منير. ليل ونهار، صيف وشتاء، حر وقر، كلها شارات في السماء،

وآيات في الارض ، تدل علي قدرة الصانع ، الحكيم ، ولا تتصل بهذه الاحجار المنحوتة ، والخشب المسندة ، والنصب القائمة ، وانه يدعو لى التحرر من هذه العبادة المنكرة الى ترك عبادة هذه الاحجار الصماء العمياء .

آخر - اتقول عنها احجار صماء عمياء ؟ اتسخر من الهتنا ، وتسفه عقولنا وعقول آبائنا ! ! . . قوموا لنذهب الى خفاف

الجميع - الى خفاف . . الى خفاف . .

ابو ذر - يتمتم - كانه يريد ان يقول شيئاً - ولكن .

احدهم - ولكن ماذا ؟ .

ابو ذر - انا معكم الى خفاف . فانه رئيس الحى ، وهو راجح العقل ثقيل الحصاة صاحب روية واناة ، ولا اراه إلا متافقاً من هذه الاحجار المنحوتة ، واراه قد خلصت نفسه من هذه الاوهام ، وارتفع بقلبه يلتمس الحقيقة العليا ، ولا شك انه يكبر بعقله عن هده الاصوات الناعقة ، فاني سمعته مرة يتحدث عن امية بن الصلت وعن ورقة بن نوفل ، وعن اشخاص آخرين تأففوا من الطواف حول هذه الهيا كل المجسمة ويتحدث عن النبوة

انيس - لا . . لا . . لا ادعك تذهب في هذا الليل . . هو سيدعوك اليه .

يخرج الجميع ويذهبون الى خفاف سيد القبيلة .

ويقول احدهم وهم في طريقهم الى خفاف .

هذا ـ اول الشر

اخر ـ من العار علينا ان نسمح لأبي ذر ان يسخر بديننا وألهتنا .

ثالث ـ يجب علينا ان نطرده من الحى قبل ان يفسد علينا شبابنا ونساءنا وعبيدنا .

رابع ـ من يطرده وهو فارس الحى ? وكأني ارى انيساً على دينه .

احدهم ـ يطرده خفاف واشراف الحى .

اخر ـ وكان يصغى الى حديث ابي ذر ، وقد رأى فيه حديثاً شهياً . مهلا لا بأس عليكم لا اظنه يزعج احداً ولعله يتراجع او يكشف عن هذه الحقيقة، ويوضح لنا هذا الدين ولقد رأيت في حديثه طلاء . ها قد وصلنا الى خفاف .

يدخلو جميعاً على خفاف .

الجميع ـ انعم مساء وانعم صباحاً

خفاف يعتدل في مجلسه ويلم اطرافه . . فانه كان في ابتذال السمر . . اهلا بكم . . انعمتم مساء اين كنتم بجمعكم في عتمة هذا الليل البهيم ?

الجميع ـ عند ابي ذر .

ـ هل عاد ابو ذر ?

احدهم ـ جاء بام العجائب وفاتحة المصائب جاء والشر

عالق باذياله .

اخر - رأونا منه عجباً وسمعنا شططاً .

خفاف - مذهولا مضطرباً . . ان الألهة تدفع عنكم كل شر . . خيراً رأيتم وخيراً سمعتم

رجل - ان ابا ذر يتصابىء ، وهو يسخر من الالهة ويسفه احلامنا ، ويهجن ديننا ، ويدعو الى اله واحد ويزعم انه خرج بمكة نبي يدعو الناس الى عبادة اله واحد، وقد آمن بهذا النبى ويريد ان يدعو الناس الى هذا الدين الجديد ، ولقد ضللنا اذن وضل اباؤنا من قبل ان نحن تركنا آلهتنا الى هذا الاله الذى لانراه

اخر - وهو الذى كان يصغى لحديث ابي ذر وقد مال اليه - انه يدعو الى اله واحد ، يدعي انه فاطر السموات والارض وفي حديثه حلاوة يقرب ذلك الى الاذهان تقريباً جميلا يكاد ان يجذب اليه النفوس والاسماع والابصار ، واني لارجو من سيدنا خفاف ان يتأمل ، وان لايضطرب ويتحتم علينا ان ننظر في امره متربصين ، وان لاتأخذنا العصبية الهوجاء فنتدافع مع ابي ذر ويدفع بعضنا بعضاً ، فيفسد علينا امرنا ويشتت شملنا ، ونحن محاطون باخصام من اليهود وغيرهم فنكون عرضة للاخطار

رجل - لقد قلت لكم ان هذا اول الشر .

خفاف - يتصنع القلق والاضطراب ، ابو ذر يدعو الى اله واحد ، ويعبد الهاً واحداً ويترك الالهة ، ان هذا لشيء عجاب ،

شر ياله من شر ليس هذا وقته ، انها كلمة نكراء سوف تضطرب لها غفار ، وتشغل افكارنا سأعمل الفكر في هذا الامر ، وننظر في كلام ابي ذر وفي دعواه ، وانكم تعلمون ان اباذر قد شق له طريقا في هذه الحياة ، فهو يعيش وحده ويذهب وحده ولا يتشيع للدين ولم اره من سنين مضت سجد لصنم وكل ماأراه منه انه ينفرد لوحده مفكراً ، اما انه يتظاهر بنكران الآلهة ، ويدعو الى دين جديد والى اله واحد لا اله غيره فهذا يجب ان ننظر فيه ، واني ارجو من الالهة ان توفقنا لدفع هذا الشر الداهم ثم يتحرك من مكانه كأنه يريد شيئاً ثم يتراجع قائلا هذه النجوم قد غارت ومالت الى الصفرة ، وانها تأذن بانتهاء الليل وانا نقترب من الصباح ، والى الصباح ننظر وتنظرون ، ولكن عسى ان يكون الحي هادئاً والقبيلة كذلك هادئة

يتفرق الجميع ويذهب كل الى خبائه وهو يفكر فيما رأى وفيما سمع وينظر الى الشبح الاتي فيراه مخيفاً .

خفاف ـ حائراً مرتبكا قد خارت قواه مما سمع ، وهو يحاول ان يفهم هذا الذى يدور في خلده مما خلفه حديث القوم ، فان فيه جلالا وفيه عظمة وفيه شراً وسيولد الشر :

. يقول لنفسه ـ : ابو ذر يعود من مكه ، ويقول باله واحد ويدعو لاله واحد وينكر الالهة ، ماهذا .. ومن هو هذا الاله الذى لا يرى ، لعل فيما يقوله شيئاً من الحق . . لعله باطل . .

لعل فيه مساً . . ان ابا ذر فارس شجاع يسطو كأنه الليث . . لا . . لقد رأيته من قبل سنين لا يسجد الى مناة ولا يذكر الالهة . . الافكار تدفعه الى الحقيقة : ان هذه الالهة احجار منحوتة وخشب مسندة ، لا اثر لها في هذا المجتمع ، ولا تجلب نفعاً ولا تدفع شراً . . يتقلب على فراشه لعله يتحول عن هذه الافكار بطبق اجفانه ، قد تزحلقت الى الهاوية اريد ان انام . . ولكن هذا حكيم العرب قس بن ساعده في سوق عكاظ راكباً جمله الاحمر يقول :

ايها الناس اسمعوا وعوا من عاش مات ، ومن مات فات ، ومن فات ليس بآت ، ان في السماء لخبراً ، وان في الارض لعبراً ، ليل داج وسماء ذات ابراج ، وبحار ذات امواج سقف مرفوع ، ومهاد موضوع ، ونجوم تمور ، وليل يدور ، يحلف قس ماهو بلعب والناس تلعب وان من وراء هذا العجبا ، اقسم قس قسما لا حانثاً فيه ولا اثماً ان لله ديناً هو احب اليه من دينكم الذى انتم عليه ، ونبياً قد حان حينه واظلكم اوانه ، وادرككم زمانه ، فطوبى لمن ادركه فآمن به وهداه ، وويل لمن خالفه وعصاه ، اواه هذه اصوات مزعجة تتماوج في اذنى اصوات تتدفق من الافق البعيد كامواج البحر هذه اصوات ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو وعثمان ابن الحويرث وعبد الله بن جحش تتماوج في اذني يقول بعضهم لبعض : « تعلمون والله ما قومكم على شيء ، وانهم لفى ضلال

مبين فما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع ومن فوقه يجري دم المنحور ، ياقوم التمسوا لكم ديناً غير هذا الدين الذي انتم عليه «أليس هذا انكاراً للالهة اني احسب ان اباذر على حق ، نعم ليس به مس هو على حق ، ويدعو الى حق ساتبعه ولا تهمني غفار ، ولا بد ان ادعوها الى هذه الالاه

يخرج الى خارج الخباء هؤلاء اهل الحي في سبات عميق ، يغطون في نومهم ، من سلط عليهم النوم ؟ وهذا الليل يكمد لونه وهذا البدر المنير يريد ان يخترق هذا الافق ، ويرحل الى مكان آخر الى اين ؟ وهذا النهار يهاجم الليل ويدافعه وسيدحره . ما هذا الذى اراه في صفحة السماء نجوم لامعة وهاهى شاحبة اللون تصفر وتريدان تغور الى اين ؟ وهذا الصباح ابتداء يهاجم الليل والقمر والنجوم ولا شك انها ستنهزم ولا شك ان القمر والنجوم ستختفى وتولى منهزمة فالى اين ؟ وبعد قليل ستأتي الشمس بنورها الساطع ، فما هذا التدافع وما هذه الحرب السجال ؟ محارات الى محارات وايات تلوايات ، وتدافع بين هذه الموجودات من اسأل عنها ؟ ان هذه الصوامت من حولى لاتجيب ، وهى لاتسمع ولاتبصر ، أفلا يجب ان اسأل ؟ أفلا يجب ان اعرف هل تسيرها مناة وهبل واللات والعزى ؟ ؟ لا . . لا . كلها اكبر من مناة كلها اعظم من هذه الاصنام البلهاء لا بد لها من مدبر اخر غير هذه الهياكل التى نقدسها ، هو اولى بالعبادة

والتقديس منها .

ان هذا جهل استولى على العقول والانفس ، فملك عليها تفكيرها وملك عليها انفاسها ، نحن في غفلة نحن في سبات عن المدبر الكبير ، الذى له الوجود التام وبيده تدبير هذه العوالم . . ساترك حيرتي ، سأرجع الى عقلي ، ان ابا ذر على حق ، ان حكيم العرب لم يخطأ ، لا بد لهذا العالم من مصلح لا بد من الاه يدبر هذه الموجودات غير هذه الهياكل الجامدة والخشب المسندة يا اله ابى ذر ارشدني . . انقذني من هذا الضلال . .

ينهض الحى من رقدته ويلتفت اهله الى جهة مناة حانين رؤسهم تعظيما له تبزغ الشمس من مشرقها وينتشر الخبر في الحى بسرعة البرق الخاطف . . جاء ابو ذر واخوه وامهما وهم يعبدون الها واحداً . . وينكرون مناة

اصوات . . يكثر اللغط ويرتفع الهرج . . أنترك الهتنا؟ . أنعبد الها لا نراه ؟ ؟ ان مناة يشفى مرضانا ان مناة يدر علينا ارزاقنا ! ! ان الآلهة تحفظنا من بين ايدينا ومن خلفنا ومن جميع نواحيها ان ابا ذر يدعونا الى اله لا نراه يريد ان يفسد علينا شبابنا ونساءنا وعبيدنا . انه كذاب . انها دعوة باطلة . .

اطردوه من بيننا . . لالا . . انه فارس شجاع . .

اجتمع امجاد غفار وسادتها حول خفاف واحاطوا به احاطة السوار بالمعصم .

الجميع ـ أسمعت بما يقول ابو ذر ؟

خفاف ـ سمعت البارحة عنه مقالة عظيمة ـ وفي تصنع ـ انه اشر مستطير يجب ان ندفعه

الجميع ـ نعم يجب ان نقاومه ، انه يسفه احلامنا ، ويسخر من ألهتنا : انه كذاب مجنون ، لقد سحره هذا الذى يدعى النبوة في مكة

خفاف ـ لا تقولوا ذلك قبل ان نستمع منه . . الآن نرسل اليه ليأتينا . . عليّ بابي ذر

الدعوة الى الاسلام

يذهب الخادم الى ابي ذر واخيه ويقول لهما ان سيدنا خفاف يدعوكما اليه

ابو ذر ـ انا في الاثر

ثم يتقلد سيفه ويخرج ومعه أخوه متوجهين الى خفاف

انيس ـ لابى ذر ما اظن بخفاف اني ارى الامر تفاقم واني اسمع لغطا في القبيلة

ابو ذر ـ لا اظن إلا خيراً فاني اعرف خفافاً رجلاً عاقلاً حكيماً مفكراً مكتمل العقل ، وعضواً نافعاً في مجتمع غفار ، وطالما رأيته يتعض من هذه العبادة ويتأفف من هذه الهياكل التى تقدس ولا اراه إلا منصفاً

انيس ـ اني اخاف ان يخشن لنا بالكلام ، أفلا ترى هذا الهياج ؟ وانا عازم على المقاومة .

ابوذر ـ لالا ، لا نقاوم احداً فان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لم يأمرنا بذلك ، وانما ندعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة فان قبلوا دعوتنا فهذا من فضل الله ، وان لم يقبلوا نعتزلهم وما يعبدون ، لهم دينهم ولنادينا ، يا انيس ان الحق ابلج ساطع وأراني مطمئنا بان دعوتنا سوف تلاقي آذانا صاغية وقلوباً واعية ، والامور بيد الله

يدخل ابو ذر وانيس على خفاف فيريان امجاد غفار حافين حوله ملتفين به كالحلقة المفرغة

ابو ذر ـ سلام عليكم ويعانق خفاف

الجميع ـ هياج واضطراب . . ماهذه التحية التي لم نسمعها من احد ان هذا تحد من ابي ذر

اخر ـ انه لمنطق خاسر

ثاني ـ انه شر خطير ـ والى آخر بجانبه ـ الا تراه متقلداً سيفه . . لا بأس في ذلك ان الفارس لا يترك سلاحه

ابوذر ـ لا . لا . . لااريد ان اتحداكم ، وكيف اتحداكم وانتم سادة غفار وامجادها فقرة الظهر وناموس الفخر ؟ وانما هي تحية الاسلام الذي ادين الله به ، وهي التحية التي حييت بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما رأيته

ثم يجلس ويجلس اخوه الى جانبه

خفاف ـ لابي ذر بعنف ممزوج برحمة ، كلمة نكراء بلغتني عنك لم تحسب لها اي حساب ولعلك لم تقدر عواطف قومك ، وهؤلاء امجاد

غفار في نقمه شديدة ، يقدحون زناد الغيظ وهذه القبيلة في لغط صارخ وهياج مقلق، ألم تفكر في مقدار الانخذال الذى يصيبك من هذه الدعوى ، وكيف نعبد الهاً لا نراه ، ونترك ما كان عليه اباؤنا الى هذه الاوهام الفاسدة ؟ ! وكأنك لا تعلم الاثر السيء الذى تحمله الينا مع هذا الحدث الذى فاجآت به قومك لتفسد عليهم دينهم واخلاقهم ، وتفسد شبابهم ، وتفقدهم وجودهم المعنوى بين العرب ، وتحملنا عار الايزول بمرور الايام

انا لا اشك بان شجاعتك ستنهزم امام هؤلاء الامجاد ، ولا نستطيع ان نسمعك تسفه احلامنا وتسخر من ديننا والهتنا ، واراك محطم القلب امام ناموس هبل العظيم وقدس مناة، ولذلك ارى لك ان ترجع الى دينك ودين ابائك من قبل

ومن الحق ان نفسح لك المجال لتكشف لنا عن حقيقة هذا الدين الجديد الذى تعتنقه ، فان انت استطعت ان تلمسنا حقاً كأنا نسمعه ونراه، وبرهنت عن دين صالح هو خير مما نحن عليه فانا نتبعك لان الدين هو الغذاء الروحى لهذه الاجسام المنهوكة من فوضى الحياة ، والقوة الحاكمة التي تسيطر على الانسان الشرير بطبعه ، وتكفل له حياة ناعمة هادئة ، والدين هو الذى يدفع الشرور والاثام والجرائم ، وهو القانون الذى يحفظ الحقوق بين الناس فيعيش الابناء في ظل ابائهم والقبيلة بهناء وصفاء ورغد من العيش ، فاعرض علينا هذا الدين الجديد وحدثنا عن هذا

الرجل الذى تزعم انه نبى يأتيه الخبر من السماء فانا نعرف فيك الصدق والامانه والاخلاص لقومك

ابوذر - انصف القارة من راماها، ولقد انصفني سيدنا وانصفني قومي اذ ان رائدنا جميعاً هو الحقيقة

نحن مهما فتشنا فيما حولنا ، ومهما بالغنا في التفتيش ، فسوف لانشعر بشىء تحس به هذه النفوس المرهقة باعباء الحياة إلا مانعانيه من اضطرابات نفسيه ، وتفكك في عرى الاخلاق ، وتفسخ في الآداب العامه فنحن في فوضى اجتماعية وارتباك خلقى ليس لاحد مناحق على الاخر ، ولا يرتبط احدنا مع غيره بنظام ولا يفهم معنى للحق إلا بمقدار ما تقصر عنه قوته وقدرته ، وقد جعلنا انفسنا مسيرة لماتمليه شهواتنا المنهومة ، وليس على الفرداي مسؤلية ، والضعيف مسير للقوى افلا ترون ان الجرائم تتفشى في مجتمعنا ولا مسؤلية عليها ؟ ونحن لانرى الخير خيراً ولاالشر شراً إلا بمقدار ماتحدده لنا حياتنا وغرائزنا المتخاذله امام شهواتنا المنهومة ، وأرى ان الحياة شر كلها مادام هذا الانسان طائشاً جهولا ، لا يرتبط بنظام خلقى يقوم على اساس صحيح ، وترتبط به الافراد ليدحروا هذا السوء الذى يسيطر على روح الافراد والجماعات ، والحياة شر كلها مادامت هذه الجرائم النفسية بين افراد الامة مسيطرة على عقل الانسان ، وتجعله شراً مستطيراً وعضواً اشلا ، فتفنى قبيلة وتحيا اخرى ، وتزهق انفس وتسترق

اخرى، وتراق دماء وتهتك اعراض، وتسلب اموال ، وليس هناك نظام اجتماعى يحفظ الانفس ، ويصون الاعراض والاموال ، وقافلة الحياة تسير الى الهاوية مادمنا لا نميز بين الخير والشر، ومادام الخير والشر نسبيين يرتبطان بميولنا وشهواتنا، والانسان شرير مادام بعيداً عن الله تعالى ، مرتبطاً بهذه الاحجار ، يعبدها ويقدسها ، ويطوف حولها ويعتقد انها تجاب له الخير وتدفع عنه الشر وهى خرساء بكماء عمياء صماء

أفرأيتم لو ان احداً ذهب الى مناة وحطمه هل يدفع عن نفسه هذا الالم او يحس به ، او هل يدفع هذا الضيم ؟ ولقد قدمت مرة اللبن الى مناة ووضعته امامه فجاء الثعلب فشربه ثم بال على مناة وانا اشاهد ذلك فقلت

أرب يبول الثعلبان برأسه   لقد ذل من بالت عليه الثعالب
فلو كان رباً كان يمنع نفسه   ولا خير في رب نأته المطالب

ان هذا الوجود يزدحم بالحوادث الخطيرة ، والمفاجآت اليومية وهو يسير على نظام بديع متزن لا تبديل فيه ولا تحويل ، فمن كوّن هذا الكون ؟ ومن سن له هذه النواميس التي يسير عليها ؟ من يستطيع ان يدرك عظمته او يقف على نهايته؟ وهل تعتقدون انه يتصل بهذه النصب الجامدة او انها هى التى تسيره على هذا النظام بهذا الشكل من السير والدوران : أفلا ترون ان هذا ضرب من غش النفوس وكبت العقول وخديعتها ؟ ان الحقيقة

العظمى هى من وراء هذه الاشياء ، وهذه الاشياء كلها دليل على الحقيقة العظمى والوجود المطلق

ونحن اذا ازحنا هذا الغشاء عن ابصارنا وقلوبنا لابصرنا مع المبصرين ، وشاهدنا مع المشاهدين ووصلنا مع الواصلين الي هذه الحقيقه وعلمنا انها هى وحدها التي تهدينا باثرها ، وتفيض على هذه الموجودات بامداداتها ، فهذه الموجودات تتصل بالقوة الالاهية ، وتستمد من فيوضها ولا تتصل بهذه الجوامد التى نقدسها ونعبدها من دون الله القادر الحكيم

لاشك بان خالق الارض اكبر من الارض وخالق السماء اكبر من السماء ، وخالق هذه الموجودات اكبر من هذه الموجودات كلها واكبر من مناة واللات والعزى ، فلا يصح عقلا ان تكون مناة هى التي تسيرها ، واما ان مناة تقربنا من الله زلفى فهذا منطق خاسر ، فهى لا تدفع شراً عن نفسها ، ولا تجلب لها نفعاً فكيف تقربنا الى الله زلفى وفاقد الشىء لا يعطيه

ليس من المنطق ولا من الصواب ان نقدس هذه الاصنام ، ولا من الصحيح ان نطوف حولها وننحر لها ، وخالقنا وخالق هذه الموجودات احق بالعباده ، واجدر بنا ان نتوجه اليه بقلوبنا وحاجاتنا

ولقد رأيت محمداً رسول الله حقاً بعث للناس كافة ، يأمر بالخير وينهى عن الشر ، يدعو الى عبادة الله وحده لاشريك له وينهى

عن عبادة الاوثان ، وهو نبى ينزل عليه الوحى من الله يقول حقا وينطق صدقاً صادعاً بامر الله معرضاً عن الدنيا وما فيها ، يأمر بالمعروف وينهى عن الفحشاء والمنكر ، ويدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنه ، ويجادل بالتي هى احسن ، رؤف عطوف ، رحيم بار يتصاعد النور من جبينه قد سماه اعداؤه الصادق الامين

اصوات مختلفة ــ ما اجمل هذا الحديث . . انه شهى

. . نعم مناة حجر اصم . . ابو ذر افسد علينا ديننا . . انه سخر بألهتنا . . انه صوت حق . . ليخرج من بيننا

صوت انه كلام اجوف

ثاني ــ هذا كلام ساحر فقد سحره رجل مكة

صوت ــ انه كلام حكيم انه حق والحق احق ان يتبع

صوت ــ مارأيت رجلاً جاء قومه بافضل مما جاءنا به ابو ذر ، فلا بد للعرب من مصلح ولا بد من نظام خلقي يدفع عنا شر هذه الفوضى الماحقة قبل ان تبيد الامة العربية كما بادت امم من قبل

صوت ــ كلام مشفق على قومه

رجل بصوت عال رن في الاسماع ــ يااباذر انا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله

خفاف ــ بعد تأمل وتفكير يلتفت الي من حوله :

يجب ان ننظر في كلام ابى ذر ونتأمله ويجب أن نفكر فيه ؟ واراه كلاما عذبا أفلا ترونه حقاً ؟ و كلكم يعلم ان الاخلاق الفضيلة قد انهزمت من مجتمعنا ، وتفككت عرى الاداب وكثرت الجرائم بين العرب فالناس في هرج ، ومرج ، القوى يأكل الضعيف وميزان الخير والشر بيد القوة الغاشمة ، ولقد ذكرني كلام ابى ذر بكلام حكيم العرب ابن ساعده ، ولابد انكم رأيتموه في عكاظ وسمعتموه يقول : « ان في السما لخبراً وفي الارض لعبراً يحلف قس ما هو بلعب والناس تلعب وان من وراء هذا لعجباً . . يحلف قس يمينا غير كاذبة ان لله دنيا هو خير من هذا الدين الذى انتم عليه ، ونبياً قد حان وقته واظلكم اوانه»

ولا اكتمكم اني طالما جلست الى نفسى مفكرا في مصيرنا ان دام الوضع على هذا الحال الذى نحن عليه ولم تتداركنا السماء بمصلح يرشدنا الى الخير ، ويربطنا بنظام اجتماعى اخلاقى يربط الافراد بالجماعات ، والقبائل بعضها ببعض ، ويجعل منا وحدة متراصه يأمر بالخير وينهى عن المنكر والفحشاء الشائعين بين العرب فان العرب الى زوال واحسب ان الزمان قرب لظهور هذا المصلح الانساني الذى يصلح العرب ، ويرفع كلمتهم وهذه الرهبان تلهج بذكر نبى يخرج من العرب ، انا لست شاكا بان ابا ذر صادق فيما يقول ومن الخير لنا ان نوافقه على دينه فاني اشهد ان لا اله إلا الله واشهد ان محمدا رسول الله ، فمن شاء منكم

ان يصدق بما صدقت ويؤمن بما امنت فله مالنا وعليه ما علينا ومن لم يشاء ذلك فهو في حل

اصرأت . لغط . هرج اسلم خفاف اسلم خفاف وقد تابعه اكثر غفار فاسلموا ، وتجاوزت صرخة الاسلام من غفار الى أسلم ، فاسلم منهم جماعة وارتفعت الاصوات بتمجيد الله واهتزت القلوب بذكر محمد

☆☆☆

نصر عظيم احرزه ابو ذر ، فقد اسلم خفاف سيد غفار واسلمت غفار إلا القليل منهم واقام ابو ذر بين قومه فرحا بهذا النصر العظيم والفوز المبين مغتبطا حيث لم يلق عناء في دعوته ولم يسفك دماً ، وليست الدعوة الاسلاميه مما يتعاصى على العقول ادراكها او يقف العقل عندها حائراً مرتبكاً ، وكل ماهنالك ان تتنبه العقول الى النظر فيما حولها من آيات هي بصائر للناس ، فمن ابصر فلنفسه ، ومن عمى فعليها ، والمشاهدة والتفكير هما اكبر وسائط المعرفة ، وليس على طالب المعرفه إلا ان يرجع الى عقله مفكراً في آيات الله تعالى ، ولقد كان هذا هو شأن ابى ذر في دعوته الى الله ، وهذا هو كل ماحاوله ولقد كان نجاحه عظيما وفتحه مبيناً

وانصرف ابو ذر في تفكيره الى نصرة الدين الاسلامى والانتقام من قريش ، وهذه غفار اسلمت وانقادت له وهو الفارس

الشجاع ، فاى مانع يمنعه ان يقود النخبة الممتازة من قومه ليثأر لنفسه ؟ فان قريشا عدت عليه وضربته حتى كاد ان يموت لولا ان تداركه العباس بن عبد المطلب ، ولم يكن له ذنب عندها إلا انه صدق محمداً صلى الله عليه واله وسلم وآمن برسالته ، واعلن هذا الايمان ، وابو ذر يرى من اعجب العجب ان يكون ايمانه ذنباً يستحق عليه هذه البادرة الجريئة من قريش ، وممرها في متجرها على غفار ، وها قد دقت ساعة الانتقام ، وواتته الظروف وشباب غفار ايضاً غاضبه على قريش لانها عدت على صاحبها ، ولانها لاتزال مستمرة في ايذائها لمحمد نبيها ، وهذا وحده يكفى لان يكون مبرراً لها فيما اذا قطعوا الطريق عليها ، يقول ابن سعد في طبقاته . . . جاء ابو ذر الى النبى صلى الله عليه واله وسلم وقال يارسول الله اما قريش فلا ادعهم حتى اثأر منهم فانهم ضربوني »

وهكذا كان فانه خرج بجماعة من رجاله واقام بعسفان ، وكلما اقبلت عير قريش تحمل الطعام ينفر بهم على ثنية الغزال ، ويلقي احمالها ويقول لارد لكم منها شيئاً حتى تشهدوا ان لااله إلا الله وان محمدا رسول الله فان فعلوا رد عليهم ، وان لم يفعلوا لم يرد عليهم شيئا ، وكان على ذلك حتى هاجر النبى صلى الله عليه واله وسلم الى المدينة

غفار غفر الله لها

اقام رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بعد خروج ابى ذر في مكة يدعو قريشاً الى دين الله ويجد في الدعوة ، ولكن قريشاً تصامت عن سماع دعوته حتى كأن في اذانها وقراً ، وعتت عن امر ربها ، وامعنت في ايذاء رسول الله (ص) ، وكان الأمويون اكثر الناس خصومة واشدهم عداوة لله ولرسوله وتحريضا للناس على ايذائه ، فاذوه بما استطاعوا وتحمل اذاهم بما استطاع حتى اذن الله له بالهجرة الى يثرب

امر وزيره - كما سماه - امير المؤمنين علي بن ابى طالب عليه السلام ان ينام على فراشه لئلا تشعر قريش بخلو مكانه وخروجه فيدركونه ، وامره ان يرد الامانات التى عنده الى اهلها ثم يوفي دينه ويلحقه بالفواطم ، وخرج رسول الله عليه وآله السلام ليلا فرأى ابا بكر في طريقه فصحبه معه الى الغار

مرت الايام بطيئة متثاقلة على ابى ذر وهو ينتظر قدوم رسول الله الى يثرب ، فانه اخبره «انه رفعت اليه ارض ذات نخل وانها يثرب ، وانه مهاجر اليها » وهو الصادق الامين ، فلا بد انه مهاجر ، ولكن متى يكون ذلك فهذا لايعلمه ، ولذلك كان قلقاً مضطرباً يحسب لتأخيره الف حساب وحساب ، وكان ابوذر يكثر من السؤال عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فيخبره الناس عن امعان قريش في ايذائه ، وكانت هواجسه تتعاظم وتتلاطم كلما سمع خبراً او حديثاً من هذا القبيل ، بيد انه

لا يستطيع ان يقوم بنصرته، فهو يهم ان يذهب لمكة ثم يتراجع لانه وعده انه سيهاجر من مكه فيبسم له الامل بان محمداً صلى الله عليه واله وسلم في حصن حصين من اذى قريش مهما تضافرت على ايذائه، وان الله سبحانه سينصر محمداً ويغلب قريشاً مهما كانت عدتها وعددها، وكان ابو ذر بين هذين الصراعين يغالب عقله وارادته، وكانت حرب عوان بين عواطفه الجياشة وعقله الراسخ

ولقد شائت الصدفة ان يعلم بخروج رسول الله صلى واله سلم من مكة فتهلل وجه فرحاً واشرق نوراً لهذه البشرى، وانتشر الخبر بين قبيلة غفار، واخذوا يراقبون الطريق الاعظم لان يمره عليهم، وما اشد فرح ابى ذر اذ يشاهد رسول الله ونوره يسعى بين يديه ويدل عليه، فهرول مسرعاً واخذ بزمام الناقة مستبشراً فرحاً، واخبره بان غفاراً اسلمت ولم يبق منهم إلا القليل ينتظرون قدوم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وانتشر الخبر بين القبيلة فاقبلو على رسول الله وقالوا: « يارسول الله ان ابا ذر علمنا ما علمته فاسلمنا وشهدنا انك رسول الله » واسلم الباقون لما شاهدوا رسول الله والنور يتصاعد من جبينه، وتقدمت اسلم فقالوا انا قد اسلمنا ودخلنا فيما دخل فيه اخواننا وحلفاؤنا، فقال رسول الله: غفار غفر الله لها واسلم سالمها الله (١) ثم ارتحل

(١) عقد كل من البخاري ومسلم لكل من غفار واسلم بابا في الدعاء

رسول الله الى المدينة واقام ابو ذر في قومه حتى مضت بدر -
والاحزاب ، وليس بين مضارب غفار وبين المدينة مسافة بعيدة
فانه كما رأينا من قبل ان غفار ضاربة حول المدينة ، وكلما
حاولنا ان نعرف اسباب تأخر ابي ذر بين قومه وعدم لحوقه
بالنبي صلى الله عليه واله وسلم فلم نعثر على شيء يكشف لنا اسباب
التأخير والله ورسوله اعلم .

حياته في الاسلام

لانشك بان الاديان جميعها تتجه بالبشرية الى تمجيد الله سبحانه
وتعالى مهما تغايرت طرقها ، واختلفت طقوسها ، وتباينت نزعاتها
ولكن ليس فيها جميعها ما يساير العقل والفطرة كالدين الاسلامي
فان الاسلام يسايرها في ادق الميول واجلها على اختلاف الامم ،
في مختلف البيأت وفي مختلف الازمان . يقول الاستاذ جيلمان
« . ان الاسلام كثير البساطة حقا ، فهو لا يعدو الايمان
بالله لااله إلا الله هو الواحد الاحد ، وان محمدا صلى الله عليه واله وسلم
عبده ورسوله ، واقامة الصلاة . وايتاء الزكاة . والصدق في المعاملة
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والاسلام في خصائصه
دين عملي ليس له مثيل بين الاديان جميعها ، بسيط في عقائده جميعا
خفيف في اوامره ، جميل في فروعه » بهذا يعلن الاستاذ جيلمان
وبهذا يصارح قومه ، وانها كلمة مختصرة ارسلها الى المستشرقين
المتمردين على الحقيقه وطعنوا في الاسلام تعصبا .

حقا ان الاسلام اكثر الاديان بساطة واسهلها واسمحها ، ليس فيه ما يقيد العقل ويوبق الروح ، وبهذا امتاز على سائر الاديان السماوية وليس - فيما ارى - دين يضارع الاسلام في هذه المميزات البارزة ، وليس هناك دين يساير العقل كالدين الأسلامى ، فانه حيك على احسن منوال ، وفك العقل من القيود الثقيلة التي كانت ترهقه بها الاديان الاخرى ، فالعقل يساير الدين والدين يساير العقل ، وهو دين اجتماعي اخلاقي جمع كل ما يحتاجه الانسان ببساطة وسماحة ، والتشريع الاسلامي ضمن للناس كافة حقوقهم فيما بينهم ، والناس بنظر الاسلام سواء لا فرق بين ابيضهم واسودهم وكل انسان واجد ميوله ورغباته فيه ، فمن اراد الروح فانه يجد المتسع فيما يتصل بصلاحها وتهذيبها على اكمل وجه ، حتى يعرج بها الى الملاء الاعلى ، متجردة عن كل مادة ترهق الروح وتوبقها ، ومن اراد الجسم وجد في الاسلام وتعاليمه مايضمن له خير الدنيا وسعادة الحياة . ومع ذلك لا يعدم حياة اخروية تلحقه بالابرار من عباد الله الصالحين .

والتشريع الاسلامي هو المنبع الفياض الذي يستقى منه علماء التشريع ، ولا يزال كذلك بدوام هذا الانسان ، وما دام في هذا الوجود عقل وقلب ، وما دامت الشمس تسبح في هذا الفضاء

وبعد - فانا نرى اباذر قد تكونت عناصر حياته في الاسلام من هذه الانسانية الكاملة المشبوبة لم تمسها ضراوة الغرائز الجامحة

ولا شهوات النفس المنهومة، وابو ذر هو الرجل الذي وجه حياته توجيها كاملا في دور الانتقال من دين الى دين، فما دخل في الاسلام حتى اصبح كأنه قطعة انفصلت من جسم الاسلام لتعطي الاخرى صورة مثالية صحيحة عن الاسلام، فكأنه خلق في الاسلام على احسن صبغة، وانمحت من نفسه كل عقيدة كان يحملها في جاهليته واخلص لله في عمله، وللمسلمين بالمواساة والمحبة، فكان من اورع الناس وازهد الناس، واعبد الناس، واصدق الناس واقواهم ايمانا، واكثرهم اتكالا على الله، ولقد كان قوته على عهد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم «صاعا من تمر فلم يزد عليه حتى مات» وكان من اصرح الناس حتى قال، «ما زلت في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى ما ترك لي الحق صديقا»

هذا ولم نر في سيرته مأخذاً جاهلياً ولا يهوديا ولا نصرانيا او ما ينافي العقل، حقا انه كان مثلا عاليا للاخلاق الاسلامية، وعبقريا امتاز بفضله ونبله وسمو مبادئه، حتى قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: «ابو ذر منا هل البيت» وهذا شرف تفرد به سلمان الفارسي وابوذر الغفاري سلام الله عليهما.

قال ابو نعيم في حليته: «.. العابد الزهيد، القانت الوحيد رابع الاسلام، ورافض الازلام قبل نزول الشرع والاحكام تعبد قبل الدعوة بالشهور والاعوام، ولا تغزعه سطوة الولاة والحكام، اول من تكلم في علم البقاء والفناء، وثبت على المشقة

والعناء، وحفظ العهود والوصايا وصبر على المحن والرزايا، واعتزل مخالطة البرايا الى ان حل بساحته المنايا ابو ذر الغفارى رضى الله عنه، خدم الرسول، وتعلم الاصول ونبذ الفضول . . وكان لرسول الله صلى الله عليه ـ واله ـ وسلم ملازما وجليسا وعلى مسألته والاقتباس منه حريصا، والقيام على ما استفاد منه انيسا، وسأله عن الاصول والفروع وسأله عن الايمان والاحسان، وسأله عن رؤية ربه تعالى، وسأله عن احب الكلام الي الله تعالى وسأله عن كل شيء حتى عن مس الحصا في الصلاة، تخلى عن الدنيا وتشمر للعقبى، وعانق البلوى الى ان لحق بالمولى » وكان رضوان الله عليه احد الحوار يين الذين مضو على منهاج رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ووفوا بما عاهدوا الله عليه، وتابعه في سيره يقتفى اثره ويتبع سنته، ولازم امير المؤمنين على عليه السلام، ولم ينفك عنه، يسير بسيرته ويقتدى به ويتبع اثره ويقتبس من نور علمه ».

وذكر غير واحد من اهل السير ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال : « في امتى ابو ذر شبيه عيسى بن مريم في زهده » وفي رواية من سره ان ينظر الى تواضع عيسى بن مريم فلينظر الى ابي ذر وفي عيون الصدوق عن الرضا عليه السلام عن اباته عليهم السلام قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : ابو ذر صديق هذه الامه.

الحديث ماورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن امير المؤمنين علي عليه السلام والمعصومين من ذريته ، وللحديث قيمة كبرى في التشريع الاسلامي لا تقل عن قيمة القرآن المجيد ، ذلك ان الاوامر القرآنية مطلقة او عامة او مجملة لم يبين فيها تفصيل الاحكام والوقائع ، فجاء ، الحديث وقيد المطلق وخصص العام وبين المجمل وفصل احكام الوقائع ، فهو مصدر من مصادر التشريع ونشر والثقافة الاسلامية ، مصدر التفكير في كثير من الامور العقليه والفلسفية والتاريخيه ، بل في السياسيات ايضا ، وجماع القول ان الحديث منبع فياض يستقى منه الفقيه والفيلسوف والمؤرخ والاخلاقي والسياسي والقصصي على السواء ، ولم يدون شيء من الحديث في عصر النبي صلى الله عليه واله وسلم في كتاب خاص واعتمد الصحابة على الحفظ والذاكره فنشاء عن ذلك الخبط والارتباك وقد تعمد بعض المنافقين وضع الحديث ونسبته الى النبي صلى الله عليه واله وسلم فاختلط الامر

ولقد تلمح وانت تقراء كتب الحديث والاثار النبوية احاديث كثيرة نسبت الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ولا تشك ، ونحن نقرؤها ، بانها موضوعة اخذت عن اليهوديه والنصرانية كالذى تقراء جانباً منه في حديث ابي هريره ، وهناك احاديث كثيرة كانت تمليها السياسة المتلونه حسب الميول والاغراض والظروف

الخاصه وتنسبها بسند صحيح صريح الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كالذى رواه عمرو بن العاص ان رسول الله (ص) قال آل ابى طالب ليسوا لى باولياء .. وكالخبر الذي روى ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال في معاوية " اللهم قه العذاب والحساب وعلمه الكتاب الحديث ، الى كثير من امثال هذه الاحاديث من مختلقات السياسه ، فترسلها الى الناس بطريق واضحة ، وتفرضها عليهم فرضاً بسند صحيح لتخدعهم عن دينهم ، وتصرفهم عن اهل بيت نبيهم عليهم الصلاة والسلام

وبعض من صحب النبى صلى الله عليه واله وسلم كان يجلس في مهب الريح السياسية يستطلع ارادتها تحت مساومة معلومة : فهو يضع الحديث ويزجه بين احاديث رسول الله ولا يجد حرجاً ولا يشعر بمسؤلية امام الله عز سلطانه

وعلى الاجمال يظهر لمن تتبع كتب الجرح والتعديل ان بعضهم كان يتعمد وضع الحديث ، ولا يرى حريجة في ذلك او مسؤلية ، بعد ان كانت السياسة تفرض عليه ذلك ، ولا يرى بأساً في هدا الوضع منها كان نوع الوضع ، وكتب الحديث مشحونة بهذا النحو من الموضوعات ، فارجع لايها شئت وقد الف العلامه السيوطى في ذلك كتاباً ضخماً اسماه اللألى المصنوعه في الاحاديث الموضوعه

واما ابا ذر فقد كان ابر واتقى من ان يفتري على رسول

الله صلى الله عليه واله وسلم، من ان يتعمد الكذب عليه، فيروي عنه مالم يقله، وانت اذا قلبت الصحاح وغيرها، وقلبت ما ورد من حديث ابى ذر حديثا فحديثا، فلاتجد له ماخذاً يهوديا ولانصرانيا ولاجاهلياً، ولاتجد حديثاً صح عنه هو مفترى على رسول الله والسياسة لم تخدعه ولم تتخذه اداة لاغراضها المسفة، ولم تسخره لشهواتها المنهومة

ولقد كان ابو ذر من الحزب العلوى وكان من المجاهدين في الدعاية لامير المؤمنين علىّ عليه السلام، وكان من رجال المؤامرة ضد مؤتمر السقيفة، ولقد عدت السياسة عليه فاضطهدته وشردته عن عقر داره ومهاجر نبيه، ولقد اكلت لحم فخذيه، وبالاخير اماتته في ابغض بقاع الارض عليه الربذه، وما ادراكم ما الربذه ومثل هذا الانغماس الحزبى يكون على الاكثر مدعاة لوضع الحديث

وفي علىّ عليه السلام نواح جليله تسمح للواضع ان يضع، وللمحدث ان يحدث وتسمح لابى ذر ان يسير في هذه الطريق المتفسخة الملتوية، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن، فانه كما قال رسول الله ما اقلت الخضراء ولا اظلت الغبراء اصدق لهجه من ابى ذر» لم يفتر حديثاً ولم يضع ولم يسلك هذه الطريق الوعرة الجافة، ولم يحدث عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم إلا ماسمعه وحدث به، ولم يروعنه إلا كل فضيلة هى المثل الاعلى

للاخلاق السامية ، فهو يروى لنا وصيته الكبرى ذلك القانون الاخلاقى الاجتماعى ، ويروى لنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امثال قولة

«١» ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ولاينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم

قلت : يارسول الله : من هم ؟ فقد خسروا الدنيا والاخرة فقال المنان والمسبل «١» والمنفق سلعته بالحلف الفاجره

«٢» امرنى خليلى صلى الله عليه واله وسلم بسبع : امرني بحب المساكين والدنو منهم . وامرني ان انظر الى من هو دونى ولا انظر الى من هو فوقي ، وامرني ان اصل الرحم وان ادبرت ، وامرني ان لا اسأل احداً شيئاً ، وامرني ان اقول الحق ولو كان مراً ، وامرني ان لا اخاف في الله لومة لائم ، وامرني ان اكثر من قول لاحول ولاقوة إلا بالله فانهن كنز تحت العرش

«٣» خرج رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال

اتدرون اى الاعمال احب الى الله عز وجل : قال قائل الصلاه والزكاة . وقال قائل : الجهاد قال - يعنى رسول الله «ص» احب الاعمال الى الله عزوجل الحب في الله والبغض في الله

«٤» قد افلح من اخلص قلبه للايمان وجعل قلبه سليماً ولسانه

---

(١) فى النهاية : المسبل هو الذى يطول ثوبه ويرسله الي الارض اذا مشى وانما يفعل ذلك كبراً واختيالا

صادقاً ونفسه مطمئنة وخليقته مستقيمة وجعل اذنه مستمعه وعينه ناظره

«٥» لاتزال امتى بخير ما عجلوا الافطار واخروا السحور

«٦» ما يسرني ان لى مثل احد ذهباً اموت يوم اموت وعندى منه دينار او نصفه إلا ان ارصده لغريم «٧» ايها الناس لو صمتم حتى تكونوا كالاوتار وصليتم حتى تكونوا كالحنايا، وعبدتم حتى تقطعوا ارباً ثم ابغضتم على ابن ابى طالب اكبكم الله في النار . .
ياعلى ان الله اختارنى واياك من شجرة انا اصلها وانت فرعها ، فمن قطع فرعها اكبه الله على وجهه في النار ، على سيد المسلمين وامام المتقين يقتل الناكثين والمارقين والجاحدين على منى بمنزلة هارون من موسى إلا انه لانبي بعدى

«٨» . . على قائد البرره وقاتل الكفره منصور من نصره مخذول من خذله

هذه الاحاديث هى نموذج صغير مما يرويه ابو ذر عن رسول الله «ص» ، ولم نجد فيما تتبعناه وعنينا به من البحث اتجاهاً يشذ به عن حدود التشريع الاسلامى ، او مأخذاً غير اسلامي ، ولعل فيما قدمناه ومما يأتى يتبين القارى الكريم عناية ابى ذر بالناحية الاخلاقية ، حتى كاد ان يقصر حديثة على هذه الناحيه وكذلك كان هذا الصحابى الجليل مثلا عالياً في الاخلاق حتى كأنه قد تخصص لهذه الناحيه ، ولعله لايفوت القارى

قيمة هذا الاتجاه ؛ ونحن نعلم ان الاخلاق السامية هى الغذاء الروحي للأنسانية جمعاء في تعاقب عصورها

ومن الحق ان نقول ان هذه الناحيه كانت بنظر الرسول الاعظم «ص» من اهم النواحي التى يجب ان يعالجها معالجة صحيحة، ذلك ان الصحابة خرجوا من جاهلية حمقاء تفسخت فيها الاخلاق وتفككت عراها ، ولذلك كان النبى «ص» يوجه الكثير من عنايته الى الناحية الاخلاقية ، ويغذى هذه الروح في اصحابه الذين يعلم منهم القدرة على تطبيقها علمياً وعملياً واستخدامها في الظروف المناسبة ، وكان من اظهر اصحابه تغذية لهذه الروح وانجحهم فيها دراسة وتطبيقا صاحب سيرتنا ابو ذر سلام الله عليه ، ولشدما نلمح هذه الظاهرة من حديثه وسيرته ، ومن الوصية الكبرى التى اوصاه بها النبى صلى الله عليه واله وسلم ـ حيث طلب ابو ذر ذلك ـ فكانت القانون الاساسى الذى يسير عليه في كل ادوار حياته ، وسنقدمها بين يدي القارى في خاتمة هذه السيره ان شاء الله تعالى

علمه

لم يكن للامه العربية ـ كما لجارتيها الفرس والرومان ـ حضارة واسعة تنبعث منها الحركة العلمية ، فان الحضارة هى مصدر هذه الحركه ونحن اذا تتبعنا حياة العرب قبل الاسلام لرأينا الامية

كانت متفشية بين افراد الامة ، وجاء الاسلام ولم يكن هناك حركة علمية بالمعنى المعروف اليوم ، وانت جد عليم بان الامة العربية كانت منصرفة عن هذه الناحية من الحياة تتلهى بالتجارة والغزو وما الى ذلك من الحياة الجافة ، التي تفرضها البيئة وطبيعة الصحراء ، وقد يطول بنا الحديث ثم نخرج عن موضوعنا فيما لو اردنا شرح ذلك ، وبيان حال الامة العربية قبل الاسلام أو أردنا مقايستها مع غيرها من الامم المجاورة لها ، وليس معنى هذا ان العرب كانوا بمعزل تام عن الثقافة ، كيف وقد كان منهم من ضرب بقسط من العلم ، وتغذى افذاذ من العرب يومذاك بثقافة اليونان والرومان والفرس ،

ان الحركة العلمية دخلت على الامة العربية مع الاسلام ، والاسلام هو المؤسس لهذه الحركة ، وكان لهذه الحركة اتجاهات ثلاث : حركة دينية . حركة تاريخية . حركة فلسفية ، ولا نعنى بهذا انها كانت حركات واسعة وعلوما منظمة ، ذات معاهد ومدارس تضم بين جدرانها رواد العلم ، وانما نعني النواة التى تكونت حولها هذه العلوم (١) والحركة الدينية كانت اوسع تلك الحركات نطاقاً ، وذلك لاقبال الصحابة على تفهم القرآن والحديث ، فانهما كما رأينا من قبل كانا مصدر التشريع ، وكان المشرع الاعظم يحض اصحابه على تعلم الدين الاسلامي الجديد ، ويرغبهم فيه

(١) عن فجر الاسلام بتصرف منا

بانواع الترغيبات ، ويحضهم على التفكير ليصل بهم الى جوهر الدين وماهية الاسلام ، ثم هو يتوسل الى ذلك بشتى الوسائل

والحق ان الصحابة اختلفت درجاتهم العلمية اختلافاً كثيراً نتلمسه من ارائهم المبثوثة في الكتب الموثوق بها ، ومن المعقول جداً هذا التفاوت العلمي ، لاختلافهم في المواهب والتفكير وفي ملازمة المشرع الاقدس آنئذن النبي صلى الله عليه واله وسلم ، ولانريد الان بيان ايهم افضل ؟ وايهم اعلم ؟ وقد يكون ليس من الهين البحث في هذه الافضلية والاعلمية ، فان ذلك يحتاج الى دراسة خاصة دقيقة نحتاج معها الى التثبت العلمي الصحيح والجرأة الكافية فان السياسة دخلت على الصحابة حتى من هذه الناحية ، والذى نريد ان نقوله الآن : ان ابا ذر كان من اعلام الطبقة الاولى ، ومن الذين امتازوا بفضلهم وغزارة علمهم ، وكان من الملازمين لرسوله صلى الله عليه واله وسلم ، لم يشغله الصفق في الاسواق ، قال صاحب الدرجات الرفيعة : ... وكان من اكابر العلماء والزهاد كبير الشأن .. ومن اعاظم الصحابة وكبرائهم الذين وفوا بما عاهدوا الله عليه ، وهو احد الاركان الاربعة ، وفي حلية الاولياء ، ابو ذر اول من تكلم في علم البقاء والفناء وتعلم الاصول والفروع ، وابو ذر يقول . تركنا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علماً

ويلوح لنا انه كان يتصدى للفتيا بين الناس فقد روى الحافظ في حليته بسنده عن ابى ذر : ان رجلا اتاه فقال : ان مصدقي(١) عثمان ازادوا علينا أنغيب عنهم بقدر ما ازادوا علينا ؟ فقال لا اقف مالك وقل لهم : ما كان لكم من حق فحذوه ؟ وما كان باطلا فذروه فما تعد وا عليك جعل في ميزانك يوم القيامة ، وكان واقفاً على رأسه فتى من قريش فقال . أما نهاك امير المؤمنين عن الفتيا؟ فقال له : أرقيب على انت ؟ فوا الذى نفسي بيده لو وضعتم الصمصامة هنا - واشار الى عنقه - ثم ظننت انى منفذ كلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل ان تحزوا لانفذتها » واذا اخذنا في سبر هذه النادرة بمسبار الحقيقة من الناحيتين : ناحية الزيادة من الجباة . وناحية الضغط الشديد على ابى ذر لعلمنا ان هناك امورا تحاك في البلاط الاموى ودسائس تتشعب على الملك والخلافة وتعتمد بمأرب الاحزاب والافراد، تريد ان توجه السياسة توجيهاً خاصاً تريد ان تزحزح الزعامة الاسلامية الحقة لتركز الزعامة الاموية على اساس رصين من الملك والرياسة المطلقة

وعلى كل حال فان هذه الرواية تدلنا بصراحة على ان ابا ذر كان ممنوعاً من الفتيا وانه كان عليه رقابة سديدة من السلطان ، ونهي شديد عن مجالسته سواء أكان في المدينة ام في الشام ، قال

الواقدى - كما في شرح النهج - : ثم ان عثمان حضر على الناس ان يقاعدوا ابا ذر ويكلموه كذلك اياماً ، قال الاحنف بن قيس اتيت المدينة ثم اتيت الشام فجمعت ، فاذا انا برجل لاينتهى الى ساريه إلا اخر يصلى ويخف صلاته جلست اليه فقلت له : ياعبد الله من أنت ؟ فقال ابو ذر من انت ؟ قلت : انا الاحنف بن قيس قال : قم عنى لااعدك بشر . قلت كيف تعدنى بشر ؟

قال : ان هذا - يعنى معاويه - نادى منادية الايجالسني احد

وعلى كل حال فقد كان ابو ذر من علية الصحابة الذين امتازوا بفضلهم وغزارة علمهم ، وسمو مداركهم ، وكان له الميزة على كثير من الصحابة وقد تشاجر هو وعثمان في مسألة من مسائل الزكاة فتحاكما الى رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم فحكم لابي ذر على عثمان ، ، ونظن انه لوتشاجر مع آخرين منهم لحكم له ، وهذه القصه وغيرها تفسر لنا بوضوح ميزته العلميه ومواضع كفايته الشخصيه .

وحسبنا في التدليل علي ذلك ماورد عن امير المؤمنين علي عليه السلام - وقد سئل عن ابى ذر - فقال « ذاك رجل وعى علماً فعجز عنه الناس ، ثم اوكاء عليه ولم يخرج منه شيئاً » وفي هذه الرواية صورة من ميزته العلمية ، وهي تعبر لنا بوضوح عن

مكانته في المجتمع العلمي ، وفيها دراسة عن العلم الذي اكتنهه ابو ذر وعجز عنه غيره ، وفيهم كبار الصحابه وشيوخهم وساستهم

والرواية تشق لنا طريقاً واسعاً للبحث في هذه الناحية من حياته يجب ان نستفيدها من الرواية نفسها ، والرواية تعطينا صورة صحيحة وامثولة عن حياة ابي ذر العلمية فلا نحتاج معها الى تجشم الطرق في الاستدلال وهي صريحة ان عند ابي ذر علماً عجز الناس عنه او ضعفت عقولهم عن ادراكه ، او ان السياسة الراهنة - وطالما اخذت السياسة بالخناق - حالت بين الجم الغفير من اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وبين تعلم هذا العلم الذي اكب ابو ذر على تعلمه ، وتركه غيره ، اللهم إلا اولئك الذين وفوا بما عاهدوا الله عليه ، وتمسكوا بالعروة الوثقى من ولاء اهل بيت النبوه ، سفن النجاة وباب حطة وامان اهل الارض ولم يرتدوا على اعقابهم ، فكانوا من الفائزين برضى الله ورسوله والمؤمنين

بقي للقارى حق التساؤل عن هذا العلم الذي علمه ابو ذر وعجز عنه الناس ، واي شيء هو حتى اعجز الناس ؛ وهل عجزوا عنه حقيقة ؟ ! فلم تساعدهم افهامهم على تعلمه ، اوانهم لم يعجزوا عنه وانما لم يشاؤه ، فان السياسة الارتجاليه لها منحى خاص غير ما يريده رسول الله صلى الله عليه واله وسلم

المعلم الاكبر ، وهذا ماسيطالبنا بة القارى الكريم ، بعد ان رأى للروايه نظرة عامة شاملة ، ورأها تشق الطريق ، واسعاً سهلاً منبسطا لاالتواء فيه ، وقد تكون الرواية اكثر صراحة مما يخالجنا ويخالجه من الحقيقة ، لان السياسة ايضاً لها اثرها على وصولنا الى الحقيقة .

حق للقارى ان يقف هنا ، وحق له ان يسأل سوألا ملحاً فان للصراحة صورة في نفوس الناس اليوم غير الصوره التى كانوا عليها قبل قرون ، والمجال اليوم اوسع منه بالامس ، ذلك ان الاعتبارات الاجتماعية تبدلت تبعاً للتغيرات السياسية وتحول كل شيء بتحول النظم الاجتماعية

نعم - وكان من حقنا ان نتوغل في حياة ابى ذر ونبحثها من جميع نواحيها السياسية والاجتماعية بحثا دقيقاً ، ونقف عند هذه الرواية لنتبين ما ترمي اليه ونشرحه مفصلا ولكن ليس من مصلحة الاسلام اليوم الاندفاع في هذا المهيع الافيح ، ذلك انه سوف لا يشك القارى بانا سنصطدم بشيء غير قليل من الاعتراضات الملتوية المسفة ، وسوف يضيق التاريخ ذرعا بهذه الهجمات الباسلة وسوف لانقف عند هذا النزاع الصارخ المتمرد ، ولايكفينا الوقوف عند هذا العلم الذى تعلمه ابو ذر ، بل لابد ان ننحدر عنه الى شيء آخر من التصرفات العامه التي وقعت بعد لحوق النبى صلى الله عليه واله وسلم بالرفيق الاعلى ، وكذلك لايكفينا بيان

القليل من الخصومة مع امير المؤمنين على عليه السلام صاحب الحق الشرعى فيما دلت عليه الادلة القطعية وإلا فالعلم ملك مشاع ، ومرفق مباح لا يمكن ان يعجز عنه الناس فكيف بالمهاجرين الاولين ولا يصح ذلك ابداً

واذن فلا نعدو الصواب اذا قلنا ان الساسة - والسياسه لها اثرها في التفكير - هى التى اعجزتهم عن تعلم هذا العلم ، وايضاً يلوح لنا ان هذا العلم ، الذى تفرد به ابو ذر ونفر قليل من حواري رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كان يدور حول الخلافة ، وحول اهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فان المبدأ الذى كان عليه ابو ذر يسمح له بكثير من اليسر ان يعلم كيف ينحدر عن على عليه السلام السيل ولا يرقى اليه الطير الذى يحلق في الجو ، ويسمح له مبدؤه السامى الصريح ان يعلم كيف سيمنى الناس بخبط وشماس وتلون واعتراض

وبعد هذا - فانه يمكننا ان نقيم كلا منا في علم ابى ذر على ناحيتين

« ١ » ناحية الخلافة الاسلاميه وما يتصل بها من صفات الخليفة ، والشروط التى يجب ان تجتمع به ، من عصمة واعامية وافضلية وما الى ذلك من المباحث التى نسميها اليوم - المباحث الكلاميه - - وهذه الناحية هى التى عجز عنها الناس ، ولم تسمح لهم

السياسة المحلية ان يفهموها من ابي ذر ، ونحن نترك التحدث عنه من هذه الناحية كما تركه هو نفسه ذلك ، والجمته السياسية وكمت فاه ، وبالاخير شردته عن عقر داره ، ومحل هجرته ، حتى لفظ نفسه الإخير ، ونستنزف دمعة جارة على علم ابى ذر الذى دفن معه ، وعلى ابى ذر نفسه ، ونقول كما قال الاشتر رحمه الله حينما فرغ من دافنه ووقف على قبره يؤبنه

«اللهم هذا ابو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عبدك في العابدين ، وجاهد فيك المشركين ، ولم يغير ولم يبدل ، ولكنه رأى منكراً افغيره بلسانه وقلبه ، حتى جفي ونفي وحرم ثم مات وحيداً غريباً ، اللهم فاقصم من حرمه ، ونفاه من مهاجره وحرم رسولك»

«٢» ناحية الاحكام الفرعية التكليفية ، وهو ما نسميه ـ علم الفقه ـ وهو في هذه الناحية من البارزين بين اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وتفوق تفوقاً جعله من اكابر العلماء ، ومصدراً من مصادر الفتيا ، ومرجعاً يرجع اليه ، ووعاء من اوعية العلم وحملة الحديث ، ولانريد الافاضة في هذه الثروة القيمة التي تملكها ابوذر ، وليس على القارى إلا ان يرجع الى كتب السنن والمسانيد ليفهمه فهما صحيحا من هذه الناحيه .

والى جانب هذا نراه برع في ناحية اخرى ، هى الناحية الاخلاقية اوما نسميه ـ علم الاخلاق ـ فانه اوشك ان يكون

المثل الاعلى بين اصحاب النبي صلى الله عليه واله وسلم ، والدرة اللامعة في التاج الاسلامي ، فان اباذر حرص الحرص كله على تنفيذ الاحكام الاخلاقيه وطبقها تطبيقا عاما على مقدار بواعثها من طباع الناس في عصره ومن قوانين الاجتماع ، وفي مناسباتها الخاصة ، عندما شاهد الفساد يسرع الى القلوب والنفوس ، وعندما شاهد الترف تفشى بين الناس ، ورأى ان المصلحة الشخصيه تتمثل امام عين كل شخص له مسؤلية في الدولة ، والاسلام واحكامه منبوذان ظهريا ، وعندما رأى ان اموال المسلمين تجرف الى خزائن بني امية فكان صوتا مدويا في المدينة وفي الشام ، وكان مثلا من الامثال الرائعة حتى سئم منه عثمان في المدينة ومعاوية في الشام ، ولانريد الان الافاضة في شيء من ذلك فان له مكانه الطبيعي من هذه السيره

ويجب ان لا يفوتنا ان نشير الى ناحية اخرى ، فان ابا ذر لم يقتصر في مسألة النبي صلى الله عليه واله وسلم عن الاصول والفروع فحسب ، بل يوجد الى جانب ذلك الناحية التاريخية فانه سأله عن الانبياء والرسل وعددهم ، وعن خلق الدنيا وما الى ذلك مما يتصل بالتاريخ اتصالا اكيداً واذن فهو فقيه اصولي متكلم اخلاقي قصصي تاريخي وسياسي ايضا فان له خطبة طويلة يشرح بها الاحوال بعد النبي ونحن نسوق الك ماذكره أبو نعيم الحافظ الاصبهاني للتدليل على ما ذاهبنا اليه

قال ابو ذر - كما في الحليه - دخلت المسجد واذا برسول الله صلى الله عليه واله وسلم جالس في المسجد وحده فجلست اليه فقال ياابا ذر ان للمسجد تحية وان تحيته ركعتان قم فاركعهما قال : فقمت فركعتهما ثم عدت فجلست اليه

فقلت يارسول الله انك امرتني بالصلاة فما الصلاة ؟

خير موضوع استكثر او استقل

- يارسول الله فاى الاعمال افضل ؟

- ايمان بالله عزوجل وجهاد في سبيل الله

- فاى المؤمنين اكملهم ايمانا ؟

- احسنهم خلقاً

- يارسول الله فاى المؤمنين اسلم ؟

- من سلم الناس من لسانه ويده

- يارسول الله فاى الهجرة افضل ؟

- من - هجر السيئات

- يارسول الله فاى الصلاة افضل ؟

- طول القنوت

يارسول الله فما الصيام ؟

فرض مجزى وعند الله اضعاف كثيرة

- يارسول الله فاى الجهاد افضل ؟

- من عقر جواده واهريق دمه

يا رسول الله فاى الرقاب افضل ؟

ـ اغلاها ثمناً وانفسها عند ربها

يارسول الله اى الصدفة ؟افضل ـ جهد من مقل يسير الى فقير

ـ يارسول الله فاى آية مما انزل الله اعظم ؟

ـ آية الكرسى يا ابا ذر ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بارض فلاة ، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقه

ـ يارسول الله كم الانبياء؟

ـ مائة الف واربعة وعشرون الفاً

ـ يارسول الله كم الرسل ؟

ـ ثلاثمائة وثلاثة عشر جما عفيراً

ـ كثير طيب

ـ من كان اولهم ؟

ـ ادم

ـيارسول اللهأنبي مرسل؟

ـ نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه قبلا ياابا ذر اربعة سريانيون : آدم وشيث وخنوخ ـ ادريس ـ وهو اول من خط بالقلم ونوح واربعه من العرب : هود . وصالح . وشعيب . ونبيك يا ابا ذر

ـ يارسول الله كم كتاب لله تعالى

- مائة كتاب واربعة كتب انزل على شيث خمسون صحيفة وانزل على خنوخ ثلاثون صحيفة وانزل على ابراهيم عشر صحائف وانزل على موسى قبل التورات عشر صحائف وانزل التورات والانجيل والزبور والفرقان

يارسول الله فما كانت صحف ابراهيم عليه السلام ؟

- امثالا كلها : ايها الملك المسلط المبتلى المغرور ، فانني لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم ، فاني لا اردها ولو كانت من كافر ، وكان فيها امثال : على العاقل مالم يكن مغلوباً على عقله ان تكون له ساعات ، ساعة يناجي فيها ربه عز وجل وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفكر فيها في صنع الله عز وجل وساعة يخلو فيها بحاجته من المطعم والمشرب ، وعلى العاقل ان لا يكون صانعاً إلا لثلاث : تزود لمعاد وفرقة لمعاش ، او لذة في غير محرم ، وعلى العاقل ان يكون بصيراً لزمانه مقبلا على شأنه حافظاً للسانه ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه

- يارسول الله فما كانت صحف موسى عليه السلام ؟

كانت عبراً كلها : عجبت لمن ايقن بالموت ثم هو يفرح عجبت لمن ايقن بالنار ثم هو يضحك ، عجبت لمن ايقن بالقدر ثم هو ينصب ، عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها باهلها ثم اطمأن اليها عجبت لمن ايقن بالحساب غداً ثم لا يعمل

- يارسول الله اوصني

- اوصيك بتقوى الله فانه رأس الامر كله

- يارسول الله زدني

- عليك بتلاوة القرآن فهو نور لك في الارض وذكر لك في السماء

- يارسول الله زدنى

- اياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب ويذهب بنور الوجه

- يا رسول الله زدنى

- عليك بالصمت إلا من خير فانه مطردة للشيطان عنك وعون لك على امر دينك، يارسول الله زدنى - حب المساكين وجالسهم

- يارسول الله زدنى

- انظر الى من تحتك ولاتنظر الى من هو فوقك فانه اجدر ان لاتزدرى نعمة الله عندك ، يارسول الله زدنى - عليك بالجهاد فانه رهبانية امتى

- يارسول الله زدنى

- صل قرابتك وان قطعوك

- يا رسول الله زدني - لا تخش في الله لومة لائم

- يارسول الله زدنى

- قل الحق ولو كان مراً

يارسول الله زدنى

- يردك عن الناس ماتعرف من نفسك ، ولاتجد عليهم فيما تأتي وكفى به عيباً ان تعرف من الناس ما تجهل من نفسك او تجد عليهم فيما تأتي

قال ابو ذر ثم ضرب بيده علي صدري وقال:

يااباذر لاعقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولاحسن كحسن الخلق

ومما رواه عن النبى صلى الله عليه والة وسلم انه قال له :

أعبدالله كأنك تراه ، فان كنت لاتراه فانه يراك ، اول عبادة الله المعرفة به ، ان الله الاول قبل كل شيء فلا شيء قبله ، والفرد فلا ثانى له ، والباقي لاالى غاية ، فاطر السموات والارض وما بينهما

حسب القارىء ان تكون هذه التعاليم هى سجل حياته وهى التى تعطينا صورة صادقة عن شخصية ابي ذر لانها اشتركت في تكوينه وتحريكه نحو غاياته السامية

ان هذه المرويات التى رواها ووعاها صدره الكبير كنوزاً وذخائر هى التى نفخت في قلبه من روحها فانارته ، وهى تجلو لنا نفسيته التى ارتفعت به في مدارج الكمالات ، والمثل العليا ، فكان في الرعيل الاول من السابقين الاولين من صحابة محمد (ص) ثاقب النظر رابط الجأش امام الكوارث التى تحل بمثله مؤمنا برسالته الاخلاقية ، حريصا على ان لايفوته شيء منها مهما وقفت في طريقه العقبات

وما هذه الحياة ؟ وماذا فيها ؟ غير هذه الاخلاق السامية ، والتعاليم الرفيعة التى هى نعمة الله على الانسان يشع نورها فيضيء له طريق الحياة ، ويهديه سبيل الرشاد ، وبالاخير يكون خالداً مع الخالدين

على ان قاريء سوف يقف في المباحث الاتية على الشيء الكثير مما يوضح لنا شخصيتة الفذة ومكانته من العلوم الاسلامية ومركزه المرموق بين الصحابة

سيرته

من العبث ان نحاول التحدث عن سيرة ابى ذر في الجاهلية ، وليس من العدل ان يطالبنا القارى بشيء من ذلك ، ذلك انه لو وقف معنا على الكتب التى عنيت باحوال اصحاب النبى صلى الله عليه واله وسلم لرأى الاهمال شائعا في احوال الكثير من كبار صحابته من نواح عديدة ، ولرأى انها لم تسمح للباحث بشيء يتشبث به في نواح مهمة جداً ، فهى تطنب في نواح قد لايكون لها اى قيمة ، وتهمل نواحى لها قيمتها بنظر الباحث اليوم ، وقد تنشط في صحابي وتفتر في آخر ، ولقد رأينا القارى من قبل انا انكرنا على كتب السير هذا الاهمال وذلك النشاط

ولعله من المعقول القول بان اهل السير والمؤرخين لم يوفقوا الى اقامة التاريخ على ميزان منطقي ، وقاعدة نقديه تهيء ظروف التاريخ وعوامله ، وتبين اتجاهاته الخاصة والعامة ، وتوضح

نواحيه المختلفة، ليتسنى للباحث المتأخر زماناً ان يعلم باوضاع كل زمان تقدمه ، واتجاه الجماعات والافراد من المناسبات التى تتصل بجوهر العصر ، اوتكون على الهامش ، وان من واجب المؤرخ ان يحيط بكل المناسبات والاتجاهات التي هى علة سرد الحوادث العامة والخاصة، ولكنه رغم ذلك طالما سخر واهمل ، وتسامح في الشيء الكثير من هذه الشئون القيمة المهمة كما اسف كثيراً في الحديث عن الحوادث التاريخية النابية ليست هى من مهمات التاريخ ولا من مهمات المؤرخ ولا هى من الحقيقه بشيء

ولقد رأيت من قبل ما وصل الينا عن ابي ذر في الجاهلية وايضا حدثنا عن شيء آخر يتصل بسيرته في الجاهليه وانه كان يقول : « كنا في جاهليتنا قبل ان ينزل علينا الكتاب ويبعث فينا رسول الله (ص) نوفي بالعهد، ونصدق الحديث ونحسن الجوار ونقري الضيف ، ونواسي الفقير » وهذه الصفات النبيلة مصدر كل خير ونبل وعبقرية ، تدفع صاحبها الى الذروة العالية من المجد ، والى المكان الاسمى من النبل والى المثل العليا من الخير والصلاح ، وتحشره في زمرة النبلاء العباقره ، لكنها لاتعين الباحث ، ولاتكون مصدراً لتسيير دفة الحوادث التاريخية ، واذن نرجو ان يوسعنا القارى عذراً اذا ما اهملنا هذه الناحية من حياه ابى ذر

واماسيرته في الاسلام فحسب القارىء ان تكون هذه الفصول

التى نكتبها والتى يقرؤها القاري هى سيرة ابي ذر واحسب هذه الفصول انها تبحث عن سيرته في سائر ادوار حياته وتكوينه الاسلامي العجيب وليست سيرة الانسان الاوضاعه الخاصة به ومبادءه التى ترتكز عليها ميوله الخاصة والعامة ، وانسانيته الكامله والناقصة ، ومناهجه في الحياة الجدية او الساخرة ، وتصرفاته من خير او شر على ضفتى هذا الوجود الجبار ، من اول يوم تشبث بهذه الحياة الى اخر ساعة تفلت من يديه وتدفعه الى الحياة الثانيه ، وهذه الفصول قد عنيت بذلك عناية تامة على قدر ماتساعدها النصوص الثابته ، وبمقدار ما وصل اليه عامنا عن طريق تلك النصوص الصحيحة

وبعد ـ فان كان ولابد من هذا العنوان بفصل مستقل نتعرف فيه على سيرة ابى ذر على ضوء النصوص التى ندرس فيها نفسيته الملائكيه وتعطينا عنها صورة صحيحة مثالية صادقة سمت به الى اعلى مثل تربوى ، فليس من الصحيح ان نترك القلم يذهب يمنة ويسره ويتبع مبادىء القبيلة او العقيدة ، او شيئا من شواذ ذلك العصر ، بل الخير كله ان نستوحى ذلك من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ، ومن أمير المؤمنين على عليه السلام ومن معاصريه

وان من وقف معنا على كل ما وقفنا عليه عند مطالعتنا فانه يقف على المثل العليا التربوية ، والزهادة المقدسة التى اخذ بها

ابوذرنفسه، ونرى انه كان مثلا رفيعاً من المثل الاسلامية الرفيعة » وكان خير مثال للتربية النبوية الساحرة ويجب ان نقتصد في النقل

قال رسول الله (ص) : في امتي ابو ذر شبيه عيسى بن مريم في زهده وقال : ابو ذر صديق هذه الامة ، وقال : ابو ذر يمشي على ألارض في زهد عيسى بن مريم ومن حديث مالك بن دينار ان النبي صلى الله عليه واله وسلم قال : أيكم يلقاني على الحال التي افارقه عليها ، قال ابو ذر : انايا رسول الله فقال صلى الله عليه واله وسلم : صدق ما اضلت الخضراء ولا اقلت الغبراء على ذي لهجة اصدق من ابي ذر ، من سره ان ينظر الى زهد عيسى بن مريم فلينطر الي ابي ذر وعن على علیه السلام لم يبق اليوم احدلا يبالي في الله لومة لائم غير ابي ذر وعن ابي - الحسن الرضا عن ابائه عليهم السلام ان ابا ذر بكي من خشية الله حتى اشتكى عينيه ، فخافوا عليهما فقيل له يا اباذر لو دعوت الله في عينيك فقال : اني عنهما لمشغول وما عناني اكثر فقيل له :

وما يشغلك عنهما ؟ قال

العظيمتان الجنه والنار

وكان يقول من جزى الله عنه الدنيا خيراً فجزاها الله عني مذمة بعد رغيفي شعير اتغدى باحدهما واتعشى بالاخر ،وبعد شملتي صوف أتزر باحداهما وارتدى بالاخرى ، ومن حديث

عطا بن ابي مروان رأيت ابا ذر وعليه نمرة مؤتزراً بها قائماً يصلى فقلت يا اباذر أمالك ثوب غير هذه النمرة ، فقال لو كان لى لرأيته علىّ فقلت انى رأيت عليك منذ ايام ثوبين فقال : ياابن اخى اعطيتهما من هو احوج اليهما مني ، قلت والله انك لمحتاج اليهما ، قال : اللهم غفراً انك لمعظم الدنيا أليس ترى على هذه البردة ولى اخرى للمسجد ؟ ولي اعنز نحتلبها ، ولي احمر نحتمل عليها ميرتنا وعندنا من يخدمنا ويكفينا مهمة طعامنا ، فاى نعمه افضل مما نحن فيه ؟ وفي ذيل رواية ابي شعبة اني اخاف ان احاسب بالفضل وابو ذر يقول : ذو الدرهمين اشد حساباً من ذى الدرهم ، ويقول كان قوتي على عهد رسول الله (ص) صاعاً من تمر فلا ازيد عليه : ومر بابي الدرادء وهو يبني بيتاً فقال له : لقد حملت الصخور على عواتق الرجال ، فقال : انما هو بيت ابنيه ، فقال ابو ذر مثل ذلك - اى اعاد كلام ابي الدرداء منكراً عليه فقال

يا اخي لعلك وجدت على في نفسك من ذلك ؟

قال : لو مررت عليك وانت في عذرة اهلك كان احب الى مما رأيتك فيه . .

✡✡✡

نعم — والى جانب هذه العناصر القوية التي تكونت منها سيرة ابي ذر نرى ظاهرة اخرى خطيرة جداً لها اثرها في حياته المرتبكه وفي تنقلاته من المدينة الى الشام ، ثم منها الى المدينة ثم الى المنفى

القاحل الوضيع «الربذة» حيث لفظ نفسه الاخير ، ولاشك بان هذه الظاهرة كانت تحمل نصيباً كبيراً من الشدة والعنف ، ذلك ان تصرفات السلطة الزمنية في آخريات عهد ابي ذر لم تكن منطبقة مع حياة الاسلام ومع المبادى الاسلامية ، ولم تكن لتتصل مع سماحة الاسلام ، ولا بتصرفات العاهلين الذين تقدما عثمان ، ولا هي متزنة ولا رشيدة ، وانما قامت على اسس قبلية ، وعناصر جاهلية لها طابعها الاموي الذي كان يعمل ضد الهاشميين قبل الاسلام وبعد الاسلام ، يقول ابو ذر : « والله حدثت اعمال ما اعرفها ، والله ماهي في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه واله وسلم ، والله اني لارى حقا يطفاء وباطلا يحيا . وصادقاً مكذباً ، واثرة بغير تقوى ، وصالحاً مستأثراً عليه » هذه الاثرة وهذه الباطل وغيرهما » هي التي كانت تهيج ابا ذر فيثأر للحق بعنف ولهجة شديدة يقول المؤرخون : ان ابا ذر كان يقول بين الناس وفي الشوارع والطرقات : « وبشر الكافرين بعذاب اليم ، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم » فرفع ذلك الى عثمان فارسل اليه ان انته عما يبلغني عنك فقال ابو ذر : أينهاني عثمان عن قرائة كتاب الله تعالى ، وقال عثمان يوماً والناس حوله : ايجوز للامام ان ياخذ من المال شيئا قرضاً فاذا ايسير قضى؟ فقال كعب الاحبار : لا بأس بذلك ! ! فقال ابو ذر يا ابن اليهوديين أتعلمنا معالم ديننا ، وقال عثمان لكعب الاحبار

وكان يقسم اموال عبد الرحمن بن عوف ، ما تقول فيمن جمع هذا المال فكان يتصدق منه ويفعل الخير؟ قال كعب : اني لارجو له خيراً ، فغضب ابو ذر - وكان حاضرا - ورفع العصا على كعب الاحبار وقال: وما يدريك يا ابن اليهودية : يود صاحب هذا يوم القيامة لو كانت عقارب تلسع السويداء من قلبه ، ويقول لعثمان مرة : اعتزموا دنياكم ودعونا وربنا وديننا ، والحق ان هذه صراحة عنيفة من ابى ذر ولكن ماذا نقول : والصراحة لها صورة بارزة في حياته فهو لايعرف صديقا يماشيه ، ولا عدواً قويا يجاريه ولا يراعى الاعتبارات الخاصه ، ولا يعبأ برضى من رضي لا بغضب من غضب ، فلا تأخذه فيما يراه حقا لومة لائم وانما يخضع للمبدأ الذى نشأ عليه .

لم يكن من قصدنا ان نتعرض لهذه الظاهرة الآن ، وانما لها محلها الطبيعي من هذا الكتاب ، وهناك نبدي رأينا فيها وانما اوردناها هنا الان لها مساساً بسيرة ابى ذر ، وعلى ضوئها يمكن للقارى ان يتعرف على سيرته فان الخشونة في ذات الله وفي نقطة الارتكاز المبدئى كان لها صورة بارزة في حياة ابى ذر ، ولذلك مررنا بها ليكون القارى على علم ومعرفة تامة من سيرته بجميع اتجاهاتها

الى هنا واحسب ان ما نقلناه يكفى للقارى ان يلم بسيرته ، ولا يعنينا في هذا الفصل إلا ان نتلمس ابا ذر بالسمع والبصر ، وما

اوردناه يلمسنا ذلك ، ويصل بنا الى حقيقة حاسمة تحمل له شارة الخلود والعظمة وتدفعنا الى الايمان بمعجزة الجهاد النفسى الاقدس ، واكبار المثل العليا من الزهادة ، والامثولة الرائعة من صميم التربية الاسلامية العالمية التى اخذ ابو ذر بها ، وعاهد نفسه على السير ورائها يحذو حذو مصلح البشرية الاعظم صلى الله عليه واله وسلم وحقاً كان كما شاء له رسول الله صورة صادقة ، فيها روعة الاسلام وجلال التربية الاسلامية .

فسلام عليك حيا وميتاً ابا ذر ورحمة الله

اخوه في الاسلام

لم تكن فكرة المواخاة بين المسلمين نظرة سريعة او سياسية هزيلة جائت على هامش الحياة الهادئة ، فان كل من القى نظرة عامة على مكة وضواحيها يرى السحب القاتمة تحلق في سمائها ، ويرى الجو مكفهرا متكهربا بسياسة مكة التقليدية ، القائمة على الصراع العنيف بين الاسلام الجميل والوثنية الآفنة الحمقاء ، ويرى المؤامرة ضد محمد صلى الله علعه واله وسلم وهذا النفر اليسير الذين اعتنقوا الدين الاسلامى تعقد تباعا بين رجالات مكة تتلمس الرأى لدفع الخطر الداهم ، وتشتور في هذا الاضطراب الداخلى والصراع العنيف ، وفي المناهج التى يجب اتباعها لتستقسيم لهم وتنميتهم ، فان محمدا صلى الله عليه واله وسلم سخر منها ، وسخر من آلهتهم واستخف باصنامهم ، ونال من اللات والعزى وهبل ومن كل

صنم و كل وثن ، وقريش تخشى ان يتعاظم الاسلام ، ويفسد عليهم هؤلاء المستضعفين الذين في اطراف مكة ولعل مواليهم يعتنقون دين الاسلام ويتمردون عليهم ، ولعل شبانهم ايضا ينقسمون عليهم ويميلون الى النبى (ص) فان صوت الاسلام دوى في اطراف مكه وفي الحجاز وتسامع الناس بالاسلام وجماله وبمحمد وفصاحته

هذا ما تفكر فيه قريش وتحسب له كل حساب ، ورسول الله صلى الله عليه واله وسلم لا يملك يومئذ اية قوة لدفع خطر قريش الهائجه الغاضبه ، وقريش من هذه الناحية كانت متمادية في ضلالها متمردة الى حد بعيد ، ولاشك بان هذه الاوضاع المرتجلة في مكة كانت تدعوا الى كثير من القلق ، وتدعو الى التفكير الجدى الحاسم ، لما لها من شأن كبير في حياة المسلمين الدينية والسياسية ولما لها من دلالات عميقة في توجيه الاسلام والمسلمين ، فان سياسة مكة الداخليه طغت وامتدت الى الخارج بعد اعلان الدعوة ودعوة العشيرة الاقربين ، وانقلبت الى بركان هائج يريد ان يلتهم محمداً ومن تابعه ، وهذه ظاهرة خطيرة الاثر على الدعوة الاسلامية ، ولها اثرها في مستقبل الحياة الاسلامية وفي توجيه المسلمين سياسيا .

دور سياسى خطير ، وازمة سياسية جامحة تحتاج الى دراسة عميقة وتفكير جدى ، فان الموقف خطير تحوطه مشاكل اجتماعيه لها اثرها في المجتمع الاسلامى في اول ادوار تكوينه ، وسياسة

مرهقه تسف الى طعن الروحية الهادئة التي تريدان تقلب صفحة جديدة من التاريخ البشرى ، فيها كل خير وصلاح للبشرية المعذبه ، سيفتحها محمد صلى الله علهة واله وسلم المصلح العالمى ، والسياسى المحنك ، والقائد العسكرى الفاتح ، الذى يجاهد في سبيل الله وفي سبيل اعلا كلمة « لااله إلا الله » وفي سبل نصرة الحق وتخليص الانسانية من الوثنية الافنة ، والتثليث المرتبك ، واليهودية اللئيمة .

في هذه الساعة الحرجة والدور المرتبك كان محمد صلى الله عليه واله وسلم يفكر عن كثب ، ويرقب وضع قريش الشاذ ، وهياجها المتمرد ، وعنفها الزائد بقلق عظيم على هذا النفر اليسير ، من بين هذا الطغيان الحاقد والاضطراب المتزايد ، دقت الساعه واوحي الى رسول الله «ص» بالمواخاة بين افراد المسلمين ، ليجعل منهم وحده متراصه يشد بعضهم بعضاً ويوأزر بعضهم بعضا ، كأنهم بنيان مرصوص ، يرف عليهم علم الوحدة والاخوة ، ومشى الرسول الاعظم صلى الله عليه واله وسلم الى المسلمين حاملا الفكرة السامية على كفه ، في طريق من الحق الواضح ، ودعاهم ليتأخوا في الله عز سلطانه اخوين اخوين ، فدعى مسلمى مكة واخى بينهم واختص من بينهم بوزيره - كما سماه - وخليفته ووصية - كما نص على ذلك يوم الدار - يعسوب الدين على امير المؤمنين عليه السلام ، ولم يكن ابو ذر في مكة فانه كما

رأينا من قبل انه رجع الى قومه فور اسلامه بامر من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ليكون داعياً ومرشداً لقبيلته غفار ومن اليها .

ولشدما ندهش للحادث الاليم الذى نزل بساحة المسلمين وداهم النبى صلى الله عليه والهوسلم وبدل جلال الصوره وروعتها الى حزن عميق فى الساعه الحرجة . فقد مات ابو طالب عم النبى عليه السلام وماتت خديجة زوجه عليها السلام نصراء رسول الله بالمال والجاه في سنة راحدة ، فالتاع النبى صلى الله عليه واله وسلم وغم وحز الالم في قلبه وسماه « عام الاحزان » وابتهجت قريس لهذا الحادث المزعج وحسبت ذلك فوزاً عظيماً ، ونصراً مبينا ، للات والعزى ، وتنمرت في سبيل وثنيتها ، واسترسلت في الاذى الدامي ، وتمادت في المأساة المروعة ، وتنكرت مكة لابنها البار ايما تنكر حتى ضاق النبي (ص) ذرعاً بمكة ورجال مكة ، حتى نسائها وصبيانها ، فقد مات ابو طالب الذى كان يدفع عنه كل اذى وعادية ، وكان نصيره فلا يجسر عليه احد من قريش ان يناله بسوء ، فلما مات تمادت قريش في غيها واذوه بكل انواع الاذى ، وصبر حتى لم يبق للصبر منزع وارتبك لذلك ارتباكا عظيما

ولا يصح في عرف السياسة الصحيحة ان يقف سلبياً حذراً امام هذا الهياج الشديد ، وليس للاسلام - بعد - في مكة قوة

تقف في وجه قريش الغاضبة الساخطة الهائجة بل ولم يبق لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم امل في تبليغ رسالته ونشر الدعوة فقد تغيرت الوجوه ، وتغير عليه بعض الذين تابعوه ، ممن صغرت نفوسهم ، فلم يتذوقوا غايات الاسلام النبيلة ، فامره ربه بالهجرة الى المدينة ، فهاجر اليها وتبعه مسلمو مكة .

وسبب آخر للهجره :

لاشك بان رسول الله (ص) يريد انطلاق الدعوة الاسلامية ، وواقع الامر ان مكة تجهمت لرسول الله ، ولم تعد صالحة لان تكون مركزاً لانطلاق الدعوة بعد موت نصيريه ابو طالب وخديجة (ض) لان التوتر كان حاداً وعلى اشده بين رسول الله ومن معه وبين قريش المتمردة على الدعوة الاسلامية ، واذا ماظل النزاع مستحراً ولايمكن ازاحته عن طريق العقل والوعي فان قريشا لاتعي ولاتعقل وهي متنمرة في سبيل اوثانها وعقيدتها في اصنامها .

ومن ثمّ فان حل المشكلة لابد ان يكون عن طريق الهجرة ، ذلك انه باستطاعة رسول الله (ص) فيما لو خرج من مكة مهاجراً ان يضرب شبه حصار عسكري قبلي على مكة ، لان عدد المسلمين تزايد خارجها ، واخذت الدعوة الاسلامية طريقها الى مضارب القبائل ، ولاقت عطفاً واستعداداً لقبولها من الكثيرين اذ فهموا بعض اغراضها السامية بعض الفهم ، باعتبار ان هذه الاصنام خشب مسندة ، لاتمدهم بالعون على تجنب هذه الفوضى الاخلاقية ، ولاتغنيهم عن الله شيئا

ويجب ان لاننسى ان هؤلاء الناس لم تكن لديهم الجرأة الكافية على مجابهة قريش العداء ، مضافاً الى عوامل غرضية تلجىء اصحابها على المداراة ومضافاً الى فقدان التضامن الاجتماعي ما دام القائد الموجه بعيداً عنهم . واذن فالهجرة مصلحة ملحة ، ولم تكن نافلة من النوافل التى تمر على حواشى الصراع والعقيدة وانما هى الفتح الاكبر من فتوح الدعوة المحمدية ، ومن هنا نرى قريشاً ذعرت من هجرة النبى (ص) واختل توازنها ، ودب الخوف في اوساطها ، ويأست من الدفاع عن اصنامها وان تجلدت امام الحادث المفزع

ومهما يكن من شيء ، فان فكرة المؤاخاة كانت تزداد وضوحا واختماراً في نفس رسول الله صلى الله عليه اله وسلم وهناك آخى بين مسلمي مكة - المهاجرين - وبين مسلمى المدينة - الانصار - واختص ايضاً لنفسه من بيهم بوزيره وخليفته علي امير المؤمنين عليه السلام ، واعتصم المسلمون بسبب مواخاتهم بوحدة متراصه منعتهم من اى اذى يصيبهم من مشركى المدينة ومنافقيها ، ومن اليهود واستظلو بلواء الوحدة معتصمين بحبلها وحبل من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه واله وسلم .

حقاً ان هذه المؤاخات كانت الثمرة الاولى للجهاد النبوى في حقل الانتصار ، والمرحلة الاولى من مراحل سلسلة الانتصارات الاسلاميه : ، وبدأت قريش تحس بقوة هذه السياسة الرشيدة ،

وعلمته خطر أداها لامفر منه ، وحسبت له كل حساب ، ولكن الله بالغ امره

كانت المؤخات في المدينة في السنة الاولى من الهجرة وابو ذر لا يزال بين قومه غفار لم يهاجر !! ولم نعلم نصيبه من هذه المواخاة ولكن ابن سعد في طبقاته يقول قال محمد بن اسحاق اخى رسول الله « صلى الله عليه واله وسلم » بين ابى ذر والمنذر ابن عمر احد بنى ساعده ولا اريد ان انكر هذه الروايه ولكن لا اريد ان اعتمد عليها وقد ذكرنا في كتابنا ـ سلمان الفارسى ـ مانصه « . . ويلوح لنا من مصادر اخرى عثرنا عليها في مطالعتنا الطويلة ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم آخى بين ابى ذر وبين سلمان ولعلنا لانعدو الواقع اذا ذهبنا الى هذا القول ، فانا رأينا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كثيراً مايراعي المناسبة في هذه المواخاه وسلمان واوبو ذر اشد الصحابة اتصالا واكثرهم مناسبة » وعن مسعدة بن صدقه عن الصادق عليه السلام « لقد آخى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بين ابى ذر وسلمان » وفي الكافي . . . عن صالح الاحول سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: اخى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بين سلمان وابي ذر واشترط على ابى ذر ان لايعصي سلمان »

اخلاقه

« لاشرف اعلى من الاسلام ، ولا كرم اعلى من التقوى »

ولا معقل احرز من الورع ، ولاشفيع احسن من التوبة ولامال اذهب للفاقة من الرضا بالقوت »

بهذا يوصي امير المؤمنين علي عليه السلام ولده الحسين عليه السلام ، وكأن ابا ذر كان المعني بهذه الوصية ، فتلمسها بالسمع والبصر وكانت القانون الذي يسير عليه جنباً لجنب فلا يفارقها ويطبقها تطبيقاً عملياً ، وعن هذه الوصية تأخذ صورة انعكاسية تمثل لنا ابا ذر الزاهد الورع قد اختمرت في نفسه المثل العليا من الاخلاق النبوية العلوية ، وجعلت منه اخلاقياً علمياً عملياً

ولو بحثنا عن الناحية الاخلاقية في حياة ابي ذر من الوجهتين العلمية والعملية ، لرأيناه يسير علي القانون النبوي يطبقه تطبيقاً عملياً صحيحاً ، وينفذه تنفيذاً كاملا بكل دقة ، يقول صدقه : «اتيت اباذر فوجدته محتبياً بكساء اسود وحده ، فقلت يا ابا ذر ما هذه الوحدة فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول : الوحدة خير من جليس السؤ ، والجليس الصالح خير من الوحدة ، واملأ الخير خير من السكوت والسكوت خير من املأ الشر » ولقد سمعناه من قبل يقول : » اوصاني خليلي بسبع امرني بحب المساكين والدنو منهم ، وامرني ان انظر الى من هو دوني ولا انظر الى من هو فوقي ، وامرني ان لا اسأل احداً شيئاً وامرني ان اصل الرحم لو ادبرت ، وامرني ان اقول الحق ولو كان مراً وامرني ان لا اخاف في الله لومة لائم ، وامرني ان اكثر من قول لا حول ولا

قوة إلا بالله فانهن كنز تحت العرش »

ومن عرف ابا ذر عرف ان هذا هو برنامج حياته الخصبة بالاخلاق العالية ، بعث اليه الحارث القرشي - وقد بلغه ان به عوزاً - بثلاثمائه دينار فقال : ما وجد عبدا لله تعالى هو اهون عليه مني ، سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول : « من سأل وله : اربعون فقد الحف ، ولال ابي ذر اربعون درهماً واربعون شاة » وقيل له الا تتخذ ضيعة كما اتخذ فلان وفلان قال : وما اصنع بان اكون اميراً ؟ وانما يكفيني كل يوم شربة ماء ولبن وفي الجمعة قفيز من قمح

وفي هذه المثل التي ذكرناها ما يعطينا صورة عن اخلاق ابي ذر من الوجهتين العلمية والعملية ، وترضي حاجة الباحث ولا شك بان هذا الجهاد العملي له قيمته في ذلك العصر الذي تنوعت فيه الميول النفسية وهزلت فيه الاخلاق الاسلاميه ، فان الشباب الاموي في عهد عثمان احتلو المراكز الامامية في الهيئة الاسلامية وكأن الفرصة سنحت لهم فارادوا ان يشبعوا نهمتهم الملتهبة ، فعمدوا الى العمل ورأ اغراضهم وشهواتهم ، وعملوا على المكشوف فسحقوا الخلق الا سلامي ، ونسجوا لهم صورة من الاخلاق الهزيله الفاسقة فحل الخداع والمكر محل الصدق والاخلاص ، وحل الغدر والخيانة محل الامانة ، وحل الاستئثار محل المواساة ، وحلت القبلية محل سماحة الاسلام ، وتفشى النعيم والترف

بين طبقة خاصة من الاستقراطيين كادت ان تزعزع نظم الاسلام وتجلب على الخلق الاسلامي لولا هؤلاء الصفوة الصفوة ، واللباب اللباب من العباقره الذين كانوا مرتبطين بذلك الشعور النبيل ، وفي طليعة هؤلاء ابو ذر ، فانه كان يصيح على باب معاوية اتتكم القطار تحمل النار ، اللهم العن آلامرين بالمعروف التاركين له ، اللهم العن الناهين عن المنكو المرتكبين له ، ومعاوية يتطاول بعزة السلطان وجرأة المنتصر فيقول لابى ذر الصحابى الجليل الذى يحبه الله ورسوله ، ياعدوا الله وعدو رسولة تأتينا كل يوم فتصنع ماتصنع وابو ذر الذى لا يخاف في الله لومة لائم يجيبه منتصراً لله ولرسوله صلى الله عليه واله وسلم ، بل انت وابوك عدوان لله ورسوله ، اظهرتما الاسلام وابطنتما الكفر ، ولقد لعنك الله ورسوله ، ودعا عليك مرات ان لاتشبع ، وسمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول : اذا ولى الامة الاعين الواسع البلعوم ، الذى ياكل ولا يشبع ، فلتأخذ الامة حذرها منه ، فقال معاوية ماانا بذلك الرجل فقال له : بل انت ذلك الرجل اخبرني بذلك رسول الله صلى الله عليه واله وسلم

رحمك الله ياباذر فقد جاهدت في الله حق جهاده ، وعلمت بكتـابه واتبعت سنة نبيه ، وسرت بسيرة اولياء الله الصالحين ، وعباده المخلصين ، فكنت مثلا عاليا للاخلاق النبوية العلوية ، ويجب ان تكون القدوة الصالحة للعاملين في هذا الحقل الانساني

ليرفعوا الامة الى المستوى الرفيع الذى خلقت الامة له

وسلام عليك يوم ولدت يوم مت وسلام عليك يوم تبعث حيا

فضائله ومناقبه

لقد كان للاسلام اثر عميق في تجهيز النفس الانسانية بالفضائل والكمالات ، وتوجيهها الى السعادة الابدية في مدرج هذه الحياة وكلما اتسعت مدارك الانسان ومقدرته على حفظ وجوده الكمالي ازداد ما يتحلى به من فضيلة وكمال ، والفضيلة مهما اختلفت موضوعاً بنظر الفلاسفة والامم الحية فهي - علميا - تعبير صادق عن الملكات النفسيه التى تسير بالانسان نحو الخير المطلق والسعادة المطلقة ، وانبعاث النفس نحو الصفات الكمالية ، وليس هذا متاعاً يعرض في الاسواق بين تهريج البائعين ، وغوغاء المتفرجين والمشترين بالدرهم والدينار

الفضيلة اعلى من ذلك قدراً ، واغلى قيمة ، واعظم شانا من ان يزاحم عليها الغنى الفقير ، والقوى الضعيف ، وانما ثمنها جهاد النفس الامارة بالسوء ، وتطهيرها من اوساخ الحياة الماجنة ومن دنس الرذائل التى تمليها الشهوات الجامحة ، والعواطف الفاسقة ، ومراقبتها عند تجاذب القوى الفعالة الطموحة ، ومحاسبتها على اعمالها اليومية من خير او شر ، وحرام وشبهات ، لتكون صافية كزجاجة المصور نقية كقلب الطفل فتتقدم الصفات النبيلة والاخلاق الفاضلة ، لتتبوء مركزها من النفس النقية فتسمو الى

الذروة العليا من الانسانية الكاملة الى عناية الخالق الى رضى المهيمن الى قوة الحق الى سدرة المنتهى

وابوذر رسم الدائرة، وجعل نقطة الارتكاز هو الله سبحانه، ثم دارت نفسه حولها، فأهل السماء يعرفونه اكثر من اهل الارض روى الكليني عن علي بن ابراهيم بسنده عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام ان ابا ذر اتى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ومعه جبرائيل عليه السلام في صورة دحية الكلبي وقد استخلاه فلما رآهما انصرف عنهما ولم يقطع كلامهما فقال جبرائيل: يا محمد هذا ابوذر قد مر بنا ولم يسلم علينا، اما لو سلم لرددنا عليه السلام يا محمد ان له دعاء يدعو به معروفاً عند اهل السماء فاسأله عنه اذا عرجت الى السماء، فلما ارتفع جبرائيل جاء ابو ذر الى النبي صلى الله عليه واله وسلم فقال له رسول الله (ص) مامنعك يا ابا ذر ان قد سلمت علينا حين مررت بنا ؟ فقال ظننت يارسول الله ان الذي عندك دحية الكلبي وقد استخليته لبعض شأنك، فقال: ذا جبرائيل وقال لو سلم علينا لرددنا عليه فلما علم ابو ذر انه كان جبرائيل دخله من الندامة - حيث لم يسلم - ما شاء الله، فقال له رسول الله (ص): ماهذا الدعاء الذي تدعو به ؟ فقد اخبرني جبرائيل ان لك دعاء تدعو به معروفاً في السماء فقال نعم اقول « اللهم اني اسألك الامن والايمان بك والتصديق بنبيك والعافية من جميع البلاء والشكر على العافية، والغنى عن شرار الناس » وفي حديث

ابى خديجة الجمال ان جبرائيل قال : « اما انه في السماء اعرف منه في الارض ، وسأله عن كلمات يقولها اذا اصبح .

وحسب ابى ذر من المناقب والفضائل ان يعرفه اهل السماء اكثر من اهل الارض ، وان يكون له دعاء تعرفه ملائكة السماء ، وليست الفضائل دنيا تزخر بالمال والجاه وزهو الحياة ، وانما هى ذلك السمو والكبر المتجسمان في انسانية مشبوبة ارتفعت الى سدرة المنتهى

وفوق هذا انا نسمع صوتاً يرتفع فيتجاوب صداه مع الاجيال ويصعد بهذه الانسانية الى اعلى القمة الى الذروة العالية من الكمال فيخلق لها كياناً معنوياً ، ويجعل لها مركزاً يعلو ويرتفع على كل انسانية، حدثنا الثقات عن رسول الله (ص) انه قال « امرني ربى بحب أربعة واخبرني انه يحبهم ، على وابو ذر والمقداد وسلمان (١) هذه هى الفضائل التى تعنو لها الوجوه ، وتخشع لها القلوب وتطامن لها الرقاب ، وما عسى ان نقول فيها ، وما عسى ان ندرك بافهامنا وعقولنا من معانيها ، فان هنا صوتاً يرتفع فوق كل صوت ، وحكماً انفذ واقدس من كل حكم ، هما صوت

---

(١) اخرج هذا الحديث الكشى في رجاله وابو جعفر القمي فى خصائله وعبد الله بن جعفر الحميرى في قرب اسناده والمفيد فى اختصاصه والعياشي في تفسيره وفي عيون اخبار الرضا والاستيعاب واسد الغابه والطبقات وكل طرقة صحيحة

الله في انسانية مشبوبه ، انطلقت في طريقها الى الخير المطلق والطهر المحض ينبض قلبها باحاسيس التقوى والصلاح .

ولا اظن بعد هذا انا في حاجة الى نقل شيء من فضائله الكثيرة ، وان كان لابدمن نقل ما ورد فيه من الاثار فاقول . قال العلامه الحديدي المعتزلي : قد ورد في الاخبار الصحاح ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال : الجنة تشتاق الى اربعة علي وعمار وابي ذروالمقداد، وروى الصدوق في العيون وغيره ابوذر صديق هذه الامة ، والكشى في رجاله في ترجمة سلمان عن على عليه السلام انه قال ضاقت الأرض بسبعة بهم ترزقون . وبهم تنصرون وبهم تمطرون وعد منهم ابا ذر ، وعن الكاظم عليه السلام : اذا كان يوم القيامه نادى منادي اين حواري محمد بن عبدالله صلى الله عليه واله وسلم الذين لم ينقضوا العهد ومضوا عليه؟ فقام سلمان والمقداد وابوذر وفي الاستيعاب قال رسول الله «ص» في امتي ابو ذر شبيه عيسى بن مريم في زهده ، وفي رواية اسد الغابة انه قال ابو ذر يمشي على الارض في زهد عيسى بن مريم، وعن ابي هريره قال رسول الله «ص» ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء من ذي لهجة اصدق من ابي ذر ومن سره ان ينظر الى تواضع عيسى بن مريم فلينظر الى ابي ذر ،وفي رواية الترمذي ـ كما في حلية الاولياء اصدق او في من ابي ذر شبيه عيسى بن مريم ، فقال عمر بن الخطاب «ض» افنعرف ذلك له ؟ فقال نعم يعيش وحده ويموت

وحده ويبعث وحده ويدخل الجنة وحده «١»

حسبنا من النقل ما قدمناه فان فيه صورة لابي ذر تسيره الى الخلود والعظمة ولا يعترضها شيء واحسب انا اعطينا القارى صورة مجسمة تلتهب بحرارة العقيدة، وقوة اليقين، ورسوخ الايمان، وقدس النفس، وسمو المبادى وعصبية الدين وعظمة الحق، صورة مثالية متشبعة بروح المثل العليا للحياة الكريمة والمبادى الاسلامية، والاخلاق الفاضلة، وقد اتصلت بالله اتصالا وثيقاً باحاسيسها ومشاعرها ونبرات قلبها اتصلت بحبل من الولاء الخالص للنبي ولاوليائه من اهل بيته الطيبين الطاهرين، فعرف هذه النفس الزكية اهل السماء اكثر مما عرفها اهل الارض

فسلام عليك اباذر وعلى جسدك الطيب وروحك الطاهرة وسلام على مبادئك السامية وانا على تلك المبادى نحيا ونموت ونبعث ان شاء الله تعالى

كن ابا ذر

تمت كلمة ربك ودخل العرب في دين الله افواجاً، ودانت القبائل بدين محمد صلى الله عليه واله وسلم وانتشر الاسلام في شبه جزيرة العرب واستتب الأمر له في شمال المدينة الى حدود الشام استتباباً جعل الروم في اشد الوجل، واضطربت احوال

---

(١) يعيش وحده من رواية المحمودى قلت وحديث ما اظلت الخضراء من اثبت الاحاديث

الدولة الرومانيه اضطرابا جعلها تحسب الف حساب «وحاصروا حيصة الحمر» واخذوا يعدون العدة ، ويحشدون من الروم ونصارى العرب الجيوش لمهاجمة المسلمين قبل ان يستفحل الاسلام ويغزوهم في عقر دارهم ، وتتابعت الاخبار على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بان الروم جمعوا للمسلمين الجموع واعتزموا غزوهم ، وفي الوقت نفسه كان رسول الله «ص» يحاول ان يجعل من الامة العربية قوة الى جانب قوة الروم والفرس ، وسطوة الى جانب سطوتهم ، والى جانب هذا كان يحاول ان يحلل الامة العربية من تلك النظرة التى كانوا ينظرونها الى الفرس والروم ، فان العرب كانوا ينظرون اليهم كاسياد ، يبذلون لهم الطاعة ويؤدون الخراج ، وهو يريدهم فاتحين ، حاكمين ، وقد آن للنبى صلى الله عليه واله وسلم ان يبعث فيهم هذه الروح الحساسة وقد آن للعرب ان يفهموا ان الدولتين قد تقلص ظلمها ، وان الاسلام يريد ان ينشر رسالته المدنية والاخلاقية على هذا العالم المجهد، والهيكل البالى ، والاخلاق المتفسخة ليحل محلها حضارة تهذب النفوس ، وثقافة تحرر العقل ، ومدنية ترفع المستوى البشري الى الذروة العالية ، وسلطان ينشر العدل والمواسية بين الناس

لهذا وذلك دعى النبى «ص» الى الجهاد ، واعلمهم انه يريد بوجهه هذا تبوك على خلاف عادته وامرهم بالتهيؤ لغزو الروم في

زمن عسرة وشدة حر وجدب من البلاء حين طابت الثمار »
فاجفلوا من هذه المفاجئة ودهشوا من اقدامه على هذا السفر الخطير الى هرقل ملك الروم ، فان سطوة بني الاصفر تملء قلوبهم رعبا وهموا ان يقعدوا ولاينفروا في الحر ، واخذ المنافقون يخذلون الناس « وقال بعضهم لبعض انحسبون جلاد بنى الاصفر كقتال العرب بعضها بعضا ؟ والله لكأنا بكم غداً مقرنين بالحبال » وكانوا يجتمعون في بيت سويلم اليهودي يثبطون الناس وجاء جماعة من الاعراب يعتذرون من رسول الله ولكنه «ص» جمع رأيه على المسير ، ولم يقعده عن السفر الحر ولا المنافقون ، ولا الاعراب المعتذرون ، وعسكر خارج المدينة وامر الناس بالجهاز وحض اهل الغنى على النفقة وتجهز المسلمون ، وتخلف عبد الله بن ابى وجماعة من اهل الغدر والنفاق .

تخلف هؤلاء خلق للنبى مشكله تستدعى الاهتمام والتفكير ، ذلك انه لايصح سياسياً ان يترك المدينة عاصمة الاسلام وحصن المسلمين وفيها هؤلاء المنافقون ثم تخلو منه او من رجل مثله يكون عنده حزمه وعزمه ومرونته ومايمنع المنافقين ان يعيثوا فساداً ونفوسهم تمنيهم احتلال المدينه وقتل من فيها من النساء والصبيان ثم يتصلون بالروم ليتولوا المسلمين من قبلهم ، هذا ما عرض لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم ، هذه هى المشكلة ، ولا نريد ان نقف لاستعراض المشكلة من وجهها فان رسول الله بالقوة التى لا يتسنى للبشر ادراكها

حلهاسريعااذا اسند الامرة على المدينه الى وزيره واخيه على عليه السلام ولم يبق ثمة مايدعو الى التشاءم ، واصبحت المدينة في حصن حصين لا يطمع طامع في اقتحامها ، وهى الصعبة بقيادة بطل الاسلام على من يرومها ، تنقطع دونها الاسباب وتنبو العزائم وتتقاصر الاعناق ولما سار رسول الله «ص» بجيشه وعلم المنافقون انه استخلف وزيره علياً على المدينة ثقل عليهم ذلك وعلموا ان الامر افلت منهم فارجف به المنافقون وقالوا ، « ما خلفه إلا استثقالا له وتخففاً منه ولما سمع على عليه السلام بذلك اخذ سلاحه وخرج حتى لحق رسول الله وهو نازل بالجرف وقال : يانبي الله زعم المنافقون انك انما خلفتني لانك استثقلتنى وتخففت مني فابتسم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في وجهه قال : « كذبوا ولكنى خلفتك لما تركت ورائى ـ خلفتك لتحفظ المدينة وتحميها من مكر هؤلاء المنافقين ـ افلا ترضى ياعلى ان تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا انه لانبي بعدى «١»

(١) هذا الحديث نص قاطع على امامة علي امير المؤمنين عليه السلام وخلافته بعد رسول الله عليه واله وسلم وقد تكلمنا فيه منفصلاً في كتابنا « تحت رايه الحق » ولا بد لنا هنا من الامامة عجلى فيه فاقول . انه حديث متواتر فقد رواه البخاري في غزوة تبوك من صحيحة ومسلم في فضائل علي (ع) من صحيحه ، واخرجه اصحاب الصحاح والمسانيد ، وصرح السيوطي في كتابه قطف الازهار بتواتره ، وكذالك الامام النيشابوري وصاحب الفتاوي الحامدية نصا على ذلك وغيرهما ، وفي الاستيعاب . هو من اثبت الآثار واصحها ، رواه عن النبي سعد بن ابي وقاص وطرق سعد فيه كثيرة ، ورواه ابن عباس وابو-

قال : نعم رضيت ورجع .

مضى رسول الله «ص» سائراً فجعل يتخلف الرجل فيقولون يارسول الله تخلف فلان فيقول لهم » : دعوه فان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم ، وان يك غيره فقد اراحكم الله منه حتى قالوا يارسول الله :

-سعيد الخدري وام سلمة واسماء بنت عميس وجابر بن سمره وزيد بن ارقم والبراء ابن عازب ، واخرجه صاحب الجمع بين الصحاح الستة وصاحب الجمع بين الصحيحين والحاكم في مستدركه واحمد بن حنبل في مسنده والطبراني - كما نص عليه ابن حجر - واخرجه ابن ماجه في سننه في مسنده والترمذي في صحيحه

ولكن الآمدي انكر صحة الحديث، وهذا على مبني الجمهور يعتبر هفوة منه بعد ان رواه البخاري ومسلم واهل السنن وتعددت طرقه كما رأيت ومهما اعتذرنا للآمدي فلا نجد له عذراً سوي انه من جهابذة علم العربية واصول الفقه وحينما رأي ان الحديث يدل بصراحة على عموم المنزلة بلاحظة الاستثناء -الا انه لانبي بعدي -ويثبت لعلي عليه السلام جميع ما لقارون الا النبوة فيكون صريحا بثبوت الخلافة والامامة لعلي ، لان الاستثناء يأبى كل تأويل ، وفراراً من هذه الحقيقة استراح الى عدم صحة الحديث.

وهناك من قال ان الحديث لاعموم فيه وانه خاص في مورده ويمنع هذه الدعوة استثناء النبوة على انهم صرحوا ان اسم الجنس المضاف يفيد العموم بحكم الاضافة ، والمورد لايخصص الوارد .وقالوا ايضا ان العام المخصص لايكون حجة في الباقي وهذا في الحقيقة نفي لحجيه العام لانه ليس في الكتاب والسنة عام سلم من المخصص اللفظي اوالعقلي ولا سيما في ابواب المعاملات وقد شاع على لسان الاصوليين انه « مامن عام الا وقد خصص » والعلماء قديما وحديثا تمسكوا بالعمومات المخصصة

تخلف ابو ذر - وكان راكبا بعيراً هزيلا اعجف ادبر فابطأ به - فقال النبي (ص) : دعوه ان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يك غير ذلك فقد اراحكم الله منه ، واستمر الجيش في سيره وترك ابا ذر : فجلس حزينا كئيباً لايدرى ما يصنع ؟ هل يعود الى المدينة ويتخلف عن السير ؟ وهيهات من ابى ذر ذلك فانه افضل له ان يموت قبل ان يتخلف عن رسول الله «ص» ، وكلما استحث بعيره و كلما زجره لم يجده نفعاً ، ولم يربه حركة فحمل متاعه علي ظهره ثم راح يتبع اثر النبي «ص» ماشيا واخذ منه التعب والعطش ، ولكن نفسه المطمئنة وايمانه القوى يستحثانه على السير بعزيمة لاتعرف الخوار وانتهى الى صخرة فوجد عليها ماء بارداً فذاقه فوجده عذباً فقال لااشربه حتى يشرب منه حبيبي رسول الله «ص» واستأنف السير .

ونزل رسول الله في بعض منار له ، فلما ارتفع النهار نظر بعض المسلمين فقال : يارسول الله

ان هذا الرجل يمشي وحده على الطريق .

فقال النبى «ص» - كن ابا ذر - .

فتامله القوم ولما اقترب منهم صاحوا .

هو والله ابو ذر

قال رسول الله «ص» - ادركوه بالماء فانه عطشان - فادركوه به .

وتقدم ابو ذر ومعه اداة فيها ماء ، فقال رسول الله «ص» :

يا اباذر معك ماء وعطشت .

- نعم يارسول الله بابي انت وامي انتهيت الى صخرة وعليها ماء السماء فذقته فاذا هو عذب بارد فقلت لا اشربه حتى يذوقه رسول الله «ص»

فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : « ياابا ذر رحمك الله ، تعيش وحدك . وتموت وحدك . وتبعث وحدك ، وتدخل الجنة وحدك ، ويسعدبك قوم من اهل العراق يتولون غسلك وتجهيزك والصلاة عليك ودفنك » .

وكأن رسول الله يشير بذلك الى انه سينفى من بين المسلمين الى فلاة من الارض ، فيموت فيها وليس فيها من يغسله ويجهزه ويصلى عليه ويدفنه فيرسل الله جماعة من اهل العراق فيقومون بذلك ، وتنالهم هذه السعادة الكبرى .

ونحن نعلم ان بين اصحاب النبي «ص» من كان كثير الفضول يسأل عن التافه من الامور فهلا سألوه عن معنى هذا ، وكيف يموت وحده واين عنه المسلمون حتى يسعد بتجهيزه والصلاة عليه ودفنه قوم من اهل العراق ؟ والعراق يومئذ تحت سلطة الاكاسرة .

وهلا تذكر المسلمون هذا الحديث يوم اخرج ابو ذر الى ذلك المنفى الوضيع والفلاة من الارض ؟ وجاءوا الى اولياء الامر ليذكروهم بمقام ابى ذر وبما قاله رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في مسيرهم

الى تبوك ولعلهم جاءوا . ولعلم قالوا لهم . . .

المأثور من كلامه

لقد كان للخطابة في عصر ابى ذر منزلة سامية هى اسمى من منزلة الشعر ، وهى في ذلك العصر - كما هى في هذا العصر - لسان الاحزاب الناطق ، وسيفها القاطع ومجنها الحصين تلجأ اليها في ساعة العسرة ، والخطابة وسيلة الاحزاب لتفهيم العامه مقاصدها واهدافها ، فتصل بافهام عامة الناس سريعا لسهولة مأخذها فيفهم العامة الخطيب فهما صحيحا دون الشاعر لان للشعر لغة خاصة مقيدة بالاوزان والقوافي وغيرها ، والخطابة لا تريد شيئا من ذلك ويصح لنا ان نسمى الشعر لسان الادباء والخطابة لسان العامه ، وعلى مقدار قوة الخطيب وبراعته يتأثر المجتمع ويندفع مع عواطفه التى اثارها الخطيب .

وعلى الاجمال فان الخطابة هى اكبر دعامة تستند عليها الدعاية السياسية والحزبية ولسان الواعظ والمرشد ، ولسان اولئك الذين لهم اهداف ويحتاجون الى الانصار ليكونوا عونا لهم على اهدافهم .

حقاً ان الخطابة في كل عصر تعطينا مقاييس السمو في ذلك العصر ، كما وانها تعطينا فكرة عن الاوضاع السياسية في العصور المختلفة ، وايضاً تعطينا صورة عن التزلزل الدينى والاخلاقي ، وتوقفنا على مقدار قوة المعارضه في السياسة ومقدار التزلزل

الديني والتفسخ الخلقي ، فالخطابة صوت صارخ يرن صداه في الدهر فتسمعه الاجيال التالية جيلا بعد جيل .

وبعد — فمن يجهل علينا ان اباذر كان من صميم الحزب الهاشمي العلوي وانه كان منغمسا في السياسة العلوية حتى ضاق به عثمان ذرعاً فنفاه الى الشام ، فضاق به معاوية ذرعا فكتب الى عثمان : ان كان لك في الناس قبلي حاجة فاقدم ابا ذر اليك فانه افسد الشام ، ومن ينكر علينا ان ابا ذر كان واعظا ومرشدا وداعية الى الله من الطراز الاول ؟ واظن انه احداً لا ينكر ان الصراحة كانت اضخم دعامة ترتكز عليها حياته ، في عصر كان الاستبداد هي الدعامة التي ترتكز عليها السلطة والعصر يعج بالاشراف ، واصحاب الامتيازات في الدولة الاموية وهل ينكر علينا احد ان ابا ذر كان ذرب اللسان ، صلت المقول غير هياب ولا وجل ، يواجه الحوادث بقلب كزبر الحديد ؟ قال في إسد الغابة : « ... وبايع — ابو ذر — النبي (ص) على ان لا تأخذه في الله لومة لائم وعلى ان يقول الحق وان كان مرا »

واذن لابد ان يكون لابي ذر مجالس وخطب سياسية وغير سياسية ، مادام هو انغمس في السياسة ، وهل يصح في — عرف السياسيين — ان يكون تخاصم سياسي وتخاصم حزبي ولا يكون كلام ولا خطاب ؟ ؟ وقد حدثونا — ويا سوء ما حدثونا به — انه كان اشتراكيا مزدكيا وقد اجتمع عليه الفقراء والعامة من الناس

حتى شكاه الاغنياء لولاة الامر ، وحدثونا ايضاً انه كان يقراء في الشوارع والطرقات قوله تعالى : « الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم .

ومن طبائع الناس ان يتساءلو في مثل هذا عن خطبه ومجالسه وكان مثل هذا التساؤل صحيحاً وحقاً وبماذا نجيب على هذا السؤال او يجيبنا التاريخ الذى حفظ على صفحاته كثيراً من الخطابات والمراسلات الموضوعة ، فاين خطبه واين المأثور من كلامه الذى كان يلقيه على الناس الذين تابعوه ، وكانوا من الكثرة بحيث شكا منهم الاغنياء ؟ وهل من الصحيح ان هذه الاجتماعات كانت خرساً صامتة ؟ أصحيح ان ابا ذر كان يفسد الناس الفقراء على الاغنياء وهو صامت ؟.

وهل يجيبنا التاريخ ! كلا والف كلا ! !

والجواب الصحيح ان العواصف التي نزلت في الحزب العلوى هى التى مزقت هذه الثروة القيمة ، فما لنا لانتحرر من هذه القيود ويكون لكل انسان حق في ان يصور العصر الذى يريده في حدود المصادر العلمية والنصوص الصحيحة والاستنتاجات الصريحة ؟

وعلى كل حال فقد ذكر اصحابنا ان لابى ذر خطبة طويلة يشرح فيها الاحوال بعد النبى صلى الله عليه واله وسلم وكلما بحثنا عنها في مضانها فلم نعثر عليها ، وكل ما عثرنا عليه مما يتصل بذلك احتجاجه يوم بويع ابو بكر وتراه في محله من هذا الكتاب

كما ذكروا كلاماً له يوم اخرجه معاوية من الشام ولحقه الناس الى دير مران، وايضاً تراه في محله هذا كل ما عثرنا عليه على شدة ما عنينا من البحث والتنقيب ، وايضا له كلمات قالها مؤبناً ابنه وكتاب ارسله الى حذيفة بن اليمان ـ ولم نجد تاريخاً للكتاب ، ولكنى احسب انه ارسله اليه من الربذة وهناك موجزات ارشادية تتصل بالموعظة ونحن نقدمها للقارى ليتبين مركز ابى ذر الادبى قال الكلينى في الكافي : « لما مات ذر ابن ابى ذر مسح ابو ذر القبر بيده ثم قال : رحمك الله يا ذر انك كنت بى باراً ، ولقد قبضت واني عنك لراض ، اما والله ما بى من فقدك وما عليّ من غضاضة، ومالى الى سوى الله من حاجة ولولا هول المطلع لسرني ان اكون مكانك ، ولقد شغلنى الحذر لك عن الحذر عليك ، والله ما بكيت لك ولكن بكيت عليك ، فليت شعرى ماذا قلت وماذا قيل لك، اللهم اني وهبت له ما افترضت عليه من حقى ، فهب له ما افترضت عليه من حقك ، فانت احق بالحق منى .

واما كتابه الى حذيفة فذكره الشريف المرتضى في فصوله فقال بسم الله الرحمان الرحيم اما بعد يا اخى فخف الله مخافه يكثر منها بكاء عينيك، وحرر قلبك، واسهر ليلك وانصب بذلك في طاعة الله فحق لمن علم أن النار مثوى من سخط الله عليه ، ان يطول بكاؤه ونصبه وسهر ليله ، حتى يعلم انه قد رضى الله عنه ، وحق لمن علم ان الجنة مثوى من رضى الله عنه ان يستقبل الحق كى

يفوز بها ، ويستصغر في ذات الله الخروج من أهله وماله ، وقيام ليله وصيام نهاره ، وجهاد الظالمين الملحدين بيده ولسانه ، حتى يعلم ان الله اوجبها له ، وليس بعالم ذلك دون لقاء ربه ، وكذلك ينبغي لكل من رغب في جوار الله ومرافقة انبيائه ان يكون.

ياأخي انت ممن استريح الى التصريح اليه ببثي وحزني ، واشكو اليه تظاهر الظالمين عليّ اني رأيت الجور يعمل به بعيني وسمعته يقال فرددته ، فحرمت العطاء ، وسيرت الى البلاد ، وغربت عن العشيرة والاخوان وحرم الرسول صلى الله عليه واله وسلم ، واعوذ بربي العظيم ان يكون مني هذا شكوى وان ركب مني ماركب ، بل أنبأتك أني قد رضيت ما احب لي ربي وقضاه عليّ وافضيت ذلك اليك لتدعوا الله لي ولعامة المسلمين بالروح والفرج وبما هو اعم نفعاً وخيراً مغبة وعقبى والسلام .

واما ما يتصل بالموعظة فقد سأله رجل ما لنا نكره الموت ؟ فقال له : لانكم عمرتم الدنيا وخربتم الاخرة ، فتكرهون ان تنتقلوا من عمران الى خراب ، فقال له : كيف قدومنا على الله ؟ فقال ؟ اما المحسن منكم فكالغائب يقدم على اهله ؛ واما المسيء فكالآبق يرد على مولاه ، قال : فكيف ترى حالنا عند الله ، قال . اعرضوا اعمالكم على الكتاب ، ان الله يقول : « ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ، فقال الرجل فاين رحمة الله ؟ قال رحمة الله قريب من المحسنين ، وكتب اليه رجل اطرفني

بشيءمن العلم فكتب اليه ان العلم كثير ولكن ان قدرت على ان لاتسيىء الى من تحب فافعل ، فقال له الرجل : وهل رأيت احداً يسيءالى من يحبه ؟ فقال نعم نفسك احب الانفس اليك فان انت عصيت الله فقد اسأت اليها ، وقيل له كيف اصبحت ياصاحب رسول الله؟ قال : اصبحت بين ذنب مستور وثناء من اغتر به فهو مغرور ، وقال لمن اسرف من اصحاب رسول الله (ص) : يخضمون ونقضم والموعد الله ، ان الله قد فضلك فجعلك انساناً فلا تجعل نفسك بهيمة ولاسبعاً ، واحذر سرعة الكظة وسرف البطنه ، وفي « الحلية » قام ابو ذر بباب الكعبه فقال : ايها الناس اناجندب ابن جناده الغفاري هلموا الى الاخ الناصح الشفيق فاكتنفه الناس فقال : أرأيتم لو ان احدكم اراد سفراً أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه ؟ قالوا : بلى . قال : فسفر طريق القيامة ابعد ماتريدون فما بالكم لاتتزودون له مايصلحكم فيه ؟ قالوا وما يصلحنا قال : حجوا حجة لعظام الامور ، صوموا يوماً شديداً حره لطول يوم النشور ، صلوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور ، كلمة خير تقولها ، كلمة سوء تسكت عنها ، لوقوف يوم عظيم ، تصدق بمالك لعلك تنجو من عسيرها اجعل مجلسين مجلساً في طلب الاخره ، ومجلساً في طلب الحلال والثالث يضرك ولاينفعك لاتريده اجعل درهمين درهما تنفقه على عيالك من حله ودرهماً تقدمه لاخرتك ، والثالث يضرك ولا ينفعك لا تريده ،

وفي الدرجات الرفيعة واجعل الدنيا ساعة من ساعتين ساعة مضت بما فيها فلست قادراً على ردها وساعة آتية لست على ثقة من ادراكها والساعة التى انت فيها ساعة عملك ، فاجتهد فيها لنفسك ، واصبر فيها عن معاصي ربك، فان لم تفعل هلكت » ثم نادى باعلى صوته يا ايها الناس قد قتلكم حرص لا تدركونه ، قتلني هم يوم لا ادركه .

على عهد الخليفتين

«وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات اوقتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً » .

لقد مات رسول الله (ص) ، وارتجت المدينة واصيب المسلمون بدهشة وذعر ، وكان المؤمنون من الفزع والذعر كأنهم في يوم القيامة ، قد اعترتهم الحيرة والدهشة من عظم الفاجعة ، وقد تسرب الشك الى بعض اصحابه ، والح به الشك حتى راح ينكر موت النبى (ص) وكان فقده اول المصائب التى نزلت بساحة المسلمين واعقبها الانقلاب والاضطراب يقول البخارى : « ولم يخلص منهم -يعنى المسلمين - إلا مثل همل النعم واستخدمت الوسائل المتنوعة لبسط النفوذ، ولا نريد ان نتعرض لذلك الدور الذى كانت تمده العصبية، وتغذيه المطامع والانانية ، ولكن لا بد

ان نقول : ان سقيفة بني ساعده احدثت اثراً عميقاً نتلمس خطره في الوسط الاسلامي حتى الان

وكان العباس عم النبي (ص) يرى للهاشميين ان يقتحموا المعركة، ويذكروا الناس ببيعة الغدير ، فانهم قريبوا العهد بها ، ولكن عليا عليه السلام والهاشمين وشعيتهم من الصحابة كانوا حافين بجنازة النبي (ص) تضطرم قلوبهم حسرة واسى على الفقيد الغالي المدرج في كفانه المقدسة بين ايديهم والناس مشغولون عنه يشغلهم التدافع في سبيل السلطان والحكم

وكان بعضهم يتطلع الى النتيجة الحاسمة بين هذا التدافع العظيم يقول البراء بن عازب : « لم ازل لبني هاشم محباً فلما قبض رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ، خفت ان تتمالأ قريش على اخراج هذا الامر عنهم ، فاخذني ما يأخذ الواله العجول . . فكنت اتردد الى بني هاشم واتفقد وجوه قريش ، فاني كذلك اذ فقدت ابا بكر وعمر ، واذا بقائل يقول : القوم في سقيفة بني ساعدة ، واذا قائل اخر يقول بويع ابو بكر ، فلم البث واذا انا بابي بكر قد اقبل ومعه عمر وابو عبيدة وجماعة من اصحاب السقيفه . . ولا يمرون باحد الاقدموه فمدوا يده فمسحوها على يد ابى بكر يبايعه شاء ذلك اوابى ، فانكرت عقلي وخرجت اشتد حتى انتهيت الى بني هاشم والباب مغلق ، فضربت عليهم الباب ضربا عنيفا وقلت : بايع الناس لابى بكر ابن ابى قحافه ، قال العباس : تربت

ايديكم الى آخر الدهر اما اني امرتكم فعصيتموني

ومن الواضح ان مثل هذه الاجراءات تثير المعارضة ، ولا سلطان لها على العقيدة ، والعقيدة هى التى تملك القلوب ، ولا نستغرب اذن أن رأينا ابا ذر قد استولى عليه الذعر والدهشة ، اذ يشاهد هذه الاجراءات من المسلمين ، فانهم بالامس بايعوا عليا عليه السلام بالخلافه ، وقال قائلهم : بخ . بخ لك يا ابن ابي طالب . اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنه ، وبالامس سمعوا رسول الله (ص) في غدير خم يقول « انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى اهل بيتى ، ونبأني اللطيف الخبير انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ، فلا تقدموهم فتهلكوا ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا ولا تعلموهم فانهم اعلم منكم ، ثم رفع بيده عالياً (ع) حتى بان بياض ابطيه وقال الست اولى بالمؤمنين من انفسهم ؟ قالوا جميعاً بلى يارسول الله ، فقال : من كنت مولاه فهذا على مولاه ، اللهم والي من ولاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله (١) وما كان ابو ذر ليتصوران قوة تغلب قوة رسول الله ، وان صوتاً يرتفع فوق صوت رسول الله (ص) .

---

(١) هذا حديث تواتر نقله وصح سنده ، رواه الثقاة ، وتناقلته الرواة وقد نص على تواتره السيوطى وصاحب الفتاوى الحامدية وافرد له ابن جرير الطبرى كتاباً واخرجه من خمسة وسبعين طريقاً وكذلك اخرجه ابن عقده عن مئة وخمسة طرق ـ كما في غاية

فكان من الحق ان يستولى على ابي ذر الذعر والدهشة ، وتأخذه الحيرة ، وليس من الغريب اذا رأيناه يوأمر ضد السقيفة يقول البراء بن عازب « ورأيت في الليل سلمان وابا ذر وعبادة بن الصامت وابا الهيثم بن التيهان ، وحذيفة وعمار ، وهم يريدون ان يعيدوا الامر شورى بين المهاجرين » فانت تري هذه الثله من اجلة الصحابة يتحسسون ويتأمرون في هذا الحدث الخطير ، ولا احسب ان الحزبية هى التي كانت تبعثهم الى هذه المؤامرة ، ولكن هنا صوتاً مقدسا وحكماً مقدساً ، هما صوت الله وحكم الله يبلغهما رسول الله (ص) وهو على احداج الابل . مرتبة على هيئة المنبر في غدير خم وتبصر قليلا لترى ان هذا هو الذى دفع المسلمين وجعلهم يستهدفون هذه الضراوة في سبيل الحق ، ولكن مايصنع هؤلاء المؤمنون وقد تحيز الكثيرون ووجهت السقيفة المسلمين اتجاهاً سياسياً لم يكن منتظراً من بعد ذلك الموقف الذى وقفه المسلمون في غدير خم

ومع ذلك فان اباذر لايتمنع عن ان يعلن رأيه في هذا المجتمع

المرام ـ وافرد له الذهبي كتاباً وعلى شدة تعنته فقد صحح كثيراً من طرقه .

وقوله (ص) الست اولى بكم من انفسكم فقالوا بلى تفسر قوله فوراً من كنت مولاه فعلى وليه أمن كنت وليه فعلى وليه اى ان الولايه التى اهي لى عليكم هي لعلى والقرينة اكبر من جبل احد واوضح من الشمس

المتغلب ، ولا تمنعه القوة والسلطان ان يتقدم الى قريش باحتجاج صارخ فيقول : .

« يامعشر قريش اصبتم قناعة وتركتم قرابة ، والله لترتدن جماعة من العرب ولتشكن في هذا الدين ، ولو جعلتم الامر في اهل بيت نبيكم ما اختلف عليكم سيفان ، والله لقد صارت لمن غلب ، ولتطمحن اليها اعين من ليس من اهلها ، ولتسفكن في طلبها دماء كثيرة ، ولقد علمتم وعلم خياركم ان رسول الله (ص) قال : ان الامر بعدي لعلي ثم لابني الحسن والحسين ثم للطاهرين من ذريتي ، فاطرحتم قول نبيكم وتناسيتم ماعهد به اليكم . فاطعتم الدنيا الفانية . وشريتم الاخرة الباقية التي لا يهرم شبابها ، ولا يزول نعيمها ، ولا يحزن اهلها ، ولا يموت سكانها . بالحقير التافه الفاني الزائل . وكذلك الامم قبلكم كفرت بعد انبيائها ونكصت على اعقابها . وغيرت وبدلت واختلفت . فساويتموهم حذو النعل بالنعل والقذه بالقذه وعما قليل تذوقون وبال امركم ، وتجزون بما قدمت ايديكم وما الله بظلام للعبيد »

بهذا اللون من الاحتجاج يرفع عقيرته ابو ذر في مسجد رسول الله (ص) ، وبهذا الصوت المدوى مع الاجيال يعالن المسلمين وفيهم ابو بكر ووزيراه عمر وابو عبيده ، فلا يجامل ولا يماشي — وهو لا يعرف المجاملة ولا المماشات — كما عرفناه من يوم اسلم الى ان مات

وتراه في احتجاجه قد وصل الى نقطة حساسة ولما يتخذ الحيطة لنفسه ولا اعرف له حافزاً يدعوه الى الاخذ بهذا اللون من المنطق إلا انه يريد ان يرضى ضميره، وهو لا يدعوى لشيء مادام الحافز له هو الضمير المنطبع على طاعة الله

وموقف ابي ذر كان حساساً الى حد بعيد في هذا الجو المضطرب والمهب الساخن ، ولم يكن المجال له فسيحاً فان السياسية تسمح لاولياء الامر ان تحطم المعارضة مهما كانت ومهما كلفها الامر ، فان الوضع على مفترق الطرق يودع عهداً مليئاً بالجلال والجمال ، ويستقبل عهداً محفوفاً بالمخاطر، قلقا مضطرباً تزدحم فيه الاغراض السياسية المتضاربة، وبتعبير ادق يستقبل عهداً انتقالياً ونظما انتقاليه يتصلان بعهد جديد وصورة من الحكم جديدة ، يشقان طريقهما في جو متلاطم بامواج الفتن ومختلف النزعات والاحزاب والميول النفسية المتزمته، ولا نريد ان نستعرض هذه الاحزاب واسبابها ونشأتها وميولها ولكنها على الاكثر لا تعدو (آ) حزب الهاشميين (ب) حزب الخلافه (ج) حزب الامويين (د) جماعة سعد رئيس الخزرج (ه) حزب المنافقين (و) اهل الرده، ويجب ان لا نشك بان في هذه الاحزاب شخصيات لها قيمتها وهي تحافظ على مبادئها ، وتغذيها وتسبغ عليها من نعمها واغراضها بمقدار ما تسمح لها الظروف ، ومن هؤلا ابو ذر فانه كان من صميم الحزب الهاشمي .

ونحن نعلم ان رجال العهد الانتقالي لا بد لهم ان يقفوا بوجه

الاحزاب والمتزمتين من الشخصيات المؤثرة وهذا سياسياً من الحزم المعقول في عرف السياسة المتلونة ولكن سياسة العمرين كانت رشيده تجاه ابى ذر ، فقد عرفوا له زهده وورعه وتقواه ومكانته من رسول الله (ص) وسابقته ، واخلاصه للمسلمين ، فالحقه عمر باهل بدر الحاقا بالعطاء - مع انه لم يحضر بدراً - تشريفا لقدره وتقديراً لفضله واعترافا بسمو منزلته .

وكان من الممكن لابى ذر ان يطمئن الى هذه السياسة ، ويستهويه هذا الاحسان كما يطمئن الناس ، وكما يستهويهم الاصفر الرنان ، ولكن هيهات ذلك منه

فانه القوى بنفسه ، المعتز بدينه الراسخ بحب الشيخ على امير المؤمنين عليه السلام الثابت على ولائه له المجاهد بين يدي الداعى له ينشر فضائله بين الناس وفي كل مكان المنضوى تحت لوائه يهتدى بسنا نوره ، ويقتبس من مشكاة علمه ، ولكنه حيث رأى التيسير على الناس ، وصراحة في مواجهة الشؤن العامه اخلد الى السكينة ولاشك بان هذا النمط من الحكم الدستوري وسير الادارة يدفع الاحزاب الى السكوت وهضم الحكومة والتعارف بين رجال الحكم والرجال الاخرين الذين لهم مكانتهم الاجتماعية المرموقة وهكذا كان فقد اخلص على عليه السلام واخلص ابو ذر والمؤمنون حقا في الرأى للخليفتين ، حتى صح عن عمر « لابقيت لمعضلة ليس لها ابو الحسن » وصح عن عمر انه الحق ابا ذر بالعطاء باهل

بدر تشريفا له و كذلك سلمان الفارسى

على عهد عثمان

تمخضت الشورى عن خلافة عثمان، وكان من اسهل الطرق عليه ان يسلك سبيل الخليفتين من قبله في مراجهة شئون الحياة والتيسير على الناس وتدبير شئون الخلافة ، ويحذر الشباب الاموى الخليع المنهوم ، ويحول بينهم وبين اغراضهم المفضوحه ، وكان عمر «ص» قد تفرس في عثمان انه اذا ولى الخلافة سيحمل آل ابى معيط وبني امية على رقاب الناس فتثور عليه العرب ويقتلونه ولقد صدق في فراسته !! واصاب في حدسه ، فانه كان ضعيف السياسة ضعفيا لبنى اميه قومه ، وحملهم على رقاب الناس واعطى مروان ابن الحكم ـ الوزغ بن الوزغ طريد رسول الله (ص) — فدكا وهو الذى منعت منه الزهراء عليها السلام بدعوة ان الانبياء لا يورثون ذهبا ولا فضة ، وترك لمعاوية خراج الشام فاحتجبه لنفسه ومنعه عن المسلمين

انا لا اريد ان اتابع حياة ابى ذر فى عهد عثمان هذه الحياة المضطربة المعذبة لان الزمن قد لا يتحمل تتبع الحوادث بدقة فيما لو اردنا ارجاع الاسباب الى مسبباتها

واى واقف على سيرة ابى ذر في هذا العهد لا يحزن لابى ذر ؟ ولا يتلمس الاضطهاد والعسف اللذين لحقا به في تنقلاته بين المدينة والشام وبين الشام والمدينة ، وبين المدينة والربذة ـ وما ادراكم

ما الربذة - وكيف يخفى العنف والشقاء اللذان اصاباه في هذه التنقلات في ذلك العهد؟ ومهما بالغ الطبري في كتم الحقيقة وقال للامام ان يؤدب رعيته فان هذا التكتم يستلفت النظر ويسترعى الانتباه ، واعتقد ان هذه مداورة مفضوحة لا يخفى منطقها المتزمت عن القصد المكتوم ، وهل من المنطق ان يقال ابو ذر غير مؤدب ؟

ومن المستصوب ان نعرض لشيء من الخصومة بين الهاشميين وبين الامويين ، لنستطيع ان نرجع هذه الاضطهادات التى توالت على ابي ذر الى اسبابها الحقيقية ، لانا نرى ان هذه الخصومة كانت من المصادر التي تستقى منها الاضطهادات ، وتتصل بها اتصالا اكيداً ، والمرجح عندنا ان الشباب الاموى هو الذى كان يحمل عثمان على ارتكاب هذا الشذوذ مع هذا الصحابى الجليل الذى احترمه العمران مع ما رأيناه من احتجاجه الشديد تجاههما

واري من الخير ان اكون في بيان هذه الخصومة سلبيا ، وارجع الى كلمات المؤرخين واهل التحقيق من الباحثين ، وارسلها ارسالا بدون اى تعليق لتكون توطئة وتمهيداً للبحث عن حياة ابي ذر في عهد عثمان

قال الاستاذ العلائلى : « .. نعلم ان بين الاسرتين الهاشمية والاموية خلافا تاريخيا يتصل بعهد جاهلي ، ثم اخذ شكلا اكثر عنفاً بعد الدعاوة الاسلامية التى ظهر بها الرسول الهاشمى ، فجهد

الامويون بوضع الصعاب في سبيل نجاحها، بيدان صاحب الرسالة شق طريقه بين الجلامد والصخور ومتغلبا على كافة الحواجز المعترضة، ناجحا في اطراد ممهود، وبذلك غدوا فئة مستضعفة عديمة القيمة، ثم لاوزن لها سياسى، فعمدوا الى العمل سراً لكى يستعيدوا مجدهم المفقود ـ وقال الاستاذ العقاد

كانت الحوادث قد جمعت اسباب التنافس والخصومة منذ اجيال وكان هذا التنافس . . يرجع الى كل سبب يوجب التفرقة . . من العصبية الى التراث الى السياسة، الى الشخصية الى اختلاف الخليقة والنشأة والتفكير .

«تنافس هاشم وامية على الزعامه . . فخرج امية ناقماً الى الشام وبقى هاشم مفرداً بزعامة بنى عبد مناف في مكة فكان هذا اول انقسام وتقسيم بين الامويين والهاشميين . . . ثم علا نجم ابى سفيان بن حرب بن امية في الحجاز فاصبحت له زعامة مرموقة الى جانب الزعامة الهاشمية، فلما ظهرت الدعوة المحمدية اخذته الغيرة على زعامته، فكان في طليعة المحاربين للدعوة الجديدة، وندرت غزوة من الغزوات لم تكن فيها لابى سفيان اصبع ظاهرة في تأليب القبائل وجمع الاموال . . . وبلغ من تغلغل العداء في هذه الاسره للنبى علية الصلاة والسلام ان ابا لهب عمه وكان اوحد اعمامه في الكيد له والتأليب عليه، وانما جاءه هذا من بنائه بام جميل بنت حرب اخت ابى سفيان . . حمالة الحطب . . ولم

تنقطع قط سلسلة هذه المنافسة منذ اجيال وان غلبها الاسلام في عهد النبوة وفي عهد الصديق والفارق ».

وقال المقريزي في كتابه ـ النزاع والتخاصم ـ بعد ان عد رجال الامويين : ..وما احد من هؤلاء الذين تقدم ذكرهم إلا وقد بذل جهده في عداوة رسول الله (ص) ، وبالغ في اذى من اتبعه وآمن به ، ونالوا منهم من الشتم وانواع ، العذاب .. وهموا بقتل رسول الله (ص) ، وتناظروا في امره ليخرجوه من مكه .. وبالغ كل واحد منهم في ذلك بنفسه وماله واهله وعشيرته؟ ثم ان المقريزى لخص هذه الخصومة التى بين الهاشميين والامويين في هذين البيتين .

عبد شمس قد اضرمت لبنى هاشم حربا يشيب منها الوليد

فابن حرب للمصطفى ، وابن هند لعلى وللحسين يزيد

وقال المقريزي ايضا : « هذا رسول الله (ص) قد ابعد بنى اميه واخرجهم من ذوى قرباه كما اخرجه الامام ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى رح في كتاب الخمس من الجامع الصحيح فقال : «حدثنا عبد الله بن يوسف .. عن جبير ابن مطعم قال : مشيت انا وعثمان بن عفان (ض) الى رسول الله «ص» فقلنا . يارسول الله اعطيت بنى المطلب وتركتنا ونحن وهم منك بمنزلة واحدة ، فقال رسول الله «ص» انما بنوا المطلب وبنو هاشم شىء واحد .

هذا شيء من النزاع بين الهاشميين والامويين عرضناه على القارى الكريم ، ومن الضرورى ان تتولد من هذه الخصومة تيارات قوية تلعب دورها بالجماهير من الناس ، وهل يظن احد ان هذه الخصومة انقطعت بعد الاسلام ? والذي يظهر للمتتبع انها لم تنقطع بالاسلام « وان غلبها الاسلام في عهد النبوة وفي عهد العمرين » وانما ركدت كجمر تحت رماد ، وكان الامويون يعملون سراً تحت ستار صفيق « لكى يستعيدوا مجدهم المفقود ومكانتهم الضائعه » ولعله انفسح امامهم طريق العمل بما تولوه من الاعمال في عهد الخليفتين ، فكانوا يعملون لمصالحهم على مناهج خاصة يستخدمون لها نفوذ الحكومة بالرغم عن يقظة عمر ، حتى قامت خلافة عثمان بن عفان فانتصر بها الامويون ايما انتصار ، لانه رأس من رؤسهم وابن عم قريب لزعماء بيوتهم ، واصبحت الدولة الاسلامية اموية لا يطمع في خيراتها ولا ولاياتها إلا من كان من بنى امية او من حزبها ، فمروان ابن الحكم وزير الخليفة الأكبر يغدق العطاء على الاقرباء ويحبسه عن سائر الناس ، ومعاوية بن ابى سفيان والى الشام يجتذب اليه الاقرباء والاولياء . ومن يرجى منهم العون ويخشى منهم الخلاف » فان عثمان ترك لمعاوية خراج الشام فاحتجبه ولم يوزعه على المسلمين . وانما ادخره للاولياء والاقرباء يقول الاستاذ العلائلى « والذى يدل على ان الحزب الاموى كان يعمل لاهداف ثابتة . تغير السياسه دفعة

واحدة ومن اساسها ايضاً في عهد عثمان الذى ترك لهم سياسة الامور العامة ، واطلق يدهم في كل المقدرات . . فالحزب الاموى كان يعمل بوحي خاص ولمئارب خاصة على منهج مقرر . . »

وبعد الذى عرضناه عليك من هذه الخصومة فالصراع معروف الغايه ، معلوم النهاية ، فلايحتاج الى تحليل ، واذا كان القارى يحتاج الى ذلك فانا نعتذر منه فان المجال لايتسع لامثال هذه البحوث .

وهنا يجب ان لانغفل عن اعمال الاحزاب بعضها مع بعض وماتتركه من ارزاء وعواصف هوجاء ، ويتضح ذلك من النوازل التي نزلت بابى ذر في هذا العهد المملوء بالتغيرات ، ونكون من السذاجة بمكان البلهاء اذا اعتقدنا ان ابا ذر كان متأثراً : بعوامل نفسية او عوامل ثورية ضد خلافة عثمان ، او بعامل اشتراكى مزدكي جاءه من عبد الله ابن سباء ـ الرجل الخرافي المرهوم ـ كما يزعمون ، فان كل هذه العوامل ليست من المنطق الصحيح ، ولاهى من التفكير الناضج في شيء ، وانما ذلك من وحى الاغراض تصوغها العصبية في منطق معتدل ولهجة قاطعة ، بيد ان كل من تتبع هذه الحوادث علم ان هذه مداورة مفضوحة ، وان ذلك كان نتيجة للخصومة بين الهاشميين والامويين وناشيء عن ضعف عثمان في تسيير الدفة السياسية واصبحت الدولة . واعمالها بيد

بيد الشباب الاموى الطامح « والانسان اذا فقد ارادته القويه فقد وجوده المعنوى » وكان عثمان مغلوباً على امره يسيره مروان بن الحكم خصم رسول الله اللدود

وابوذر نفسه يقول لعثمان : « . . اتبع سنة صاحبيك لا يكن لأحد عليك كلام ، فقال له عثمان :

« مالك وذاك لا ام لك ؟ .

فقال ابو ذر :

ماوجدت لى عذراً إلا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر .

فغضب عليه عثمان وقال لمن حوله :

اشيروا علىّ في هذا الشيخ الكذاب ، اما ان اضربه او احبسه او اقتله ، فانه فرق جماعة المسلمين او انفيه من ارض الاسلام ! .

في المدينه .

ارجع ببصرك الى ماقدمناه في هذه الفصول لترى ادوار حياة ابى ذر كلها ، فهل تقع عينك في عهده الاسلامي على شيء تسميه الثورة اوما يشبه الثورة ؟ ؟ اوانك تقف على حياة هادئة زاهدة حافلة بالفضائل ومكارم الاخلاق ، وسامى الصفات ، وقوة الايمان والاخلاص لله ولرسوله وللاسلام والمسلمين ،

ومن تابع سيرته بدقة مجرداً عن الميول عرف انه لم يمل مع هوى ولم يستزله غرض ولم يشطط بقول بل كان يسير على هدى رسول الله «ص» هذه حياة ابى ذر منذ دخل الأسلام وعرف له ذلك سائر الصحابة ورأيناه في

عهدالعمرين كذلك؛ورأيناعمر «ض» عرف له صدقه فاكبره ، وزهده فقدمه والحقه باهل بدر ، وكانت هذه بادرة تدلنا على اتجاه عمر السياسي وعلى كفائته السياسية ، وقد عرف كيف يواجه الحياة والناس ، وكيف يسير دفة الحكم السياسي ، وكان يستمد سلطاته ونفوذه من هؤلاء النفر الذين شاركوا النبي (ص) في وضع اساس البناء الاسلامي ، وعرف لهم مكانتهم المرموقة ورأيهم الصائب ، واستطاع أن يكف يده عن مال المسلمين ، ويمنع نفسه عنه .

يقول المسعودى : « حج عمر فانفق في ذهابه ومجيئه الى المدينة ستة عشر دينارا ، وقال لولده عبد الله لقد اسرفنا في سفرنا وهذا اللون من الحياة هو الذى يجمل بسلطان المسلمين ان يصبغ به حياته » وحسن جداً ان تكتمل فيه قوة العاطفه ، وفكرة التعاون مع الجماعه والافراد ، والسواسيه بين الناس ، ومما لاسبيل الى نكرانه ان هذه الظاهره في الحاكم الفرد هى التى تجعله اداة صالحة لخدمة المجتمع واكتمال سعادته ، وتجعل منه عضواً نافعاً في جسم الانسانية ، يقول امير المؤمنين على عليه السلام : « أقنع بان يقال امير المؤمنين وحولى بطون غرثي واكباد حرى » والاستئثار والايثار والاستبداد لم يكن يوماً من خلق الاسلام ، والمسلمون عيلة وأحدة في بيت واحد لافضل لاحدهم الا بالتقوى

وبعد - فانا نرى ابا ذر اختلف حاله ، فى عهد العمرين عنهافى عهدعثمان ، وان شئنا ان نقارن بين العهدين لرأينا انفسنا امام عهدين مختلفين متناقضين لا يمت احدهما الى الاخر بصلة ابداً . بل من اللغو هذه المقارنة ، فابو ذر الهادىء الوديع في العهد الاول وابوذر الثائر في العهد الثاني ، وكم من فرق بينهما . ولماذا ؟ فهل تطور ابوذر وتغير رأيه في المبادى الاسلامية . فتحول من مظهر الى آخر ؟ او انه لم يراع التطورات الزمنية ! والزمن يحمل نصيبا كبيراً من التغيرات والاعتبارات . وفي الحق ان شيئا من ذلك لم يكن وان ابا ذر لم يتغير وانما له اتجاه عام وجهه به المبدء الاسلامى الذى جاهد في سبيله رسول الله (ص) وابو ذر لا يتقيد برأى شخصي او نظرية فردية وانما اتجاهه مشتق من جوهر الدين ومستمد من روح التعاليم الاسلامية . وقد آن للنظر الصحيح ان يرى . وللعقل ان يحكم وللمنطق ان يقول . وللباحث ان ينصف ابا ذر ليخرجه من اشتراكية مزدكية التى حكم بها عليه تجار العقيدة . وورثه الاحقاد ومتسولة العلم . ومأجوروا الضمائر وفي ذمه التاريخ والانسانيه ان يقال ان اباذر تأثر بالمزدكيه . وايضا لقد آن للنظر الصحيح والعقل الصريح ان يهزاء بقول الطبرى حول ابى ذر : وللامام ان يؤدب رعيته » فهل يصح ان يقال : ان ابا ذر غير مؤدب . وهل ترك ابو ذر ادباً اسلامياً وخلقاً اسلامياً لم يتأدب به ولم يتخلق

به ؟ فارجع البصر هل تقع عينك في كل ادوار حياته إلا على ادب رفيع ، وخلق سام ، وانسانية كاملة ادبها رسول الله (ص) و كملها الأسلام واذن فما هذا الصوت المنكر وليس لنا الآن إلا ان ننظر في حقيقة هذا التغير ومصدره بنحو تتضح للقارئ الحقيقة وينمحي ما قد يكون عالقاً باذهان البسطاء من أن ابا ذر كان اشتراكياً مزدكياً فنقول : .

انتقلت الخلافة من عمر الى عثمان فانتقلت من الشورى الى الاثرة ومن الخلافة الى الملك ، ومن السماحة الى الاستبداد يقول ابن ابي الحديد « . وعندما انقضى امر الشورى واستقر الامر لعثمان وبايعه الناس اوطأ بني امية رقاب الناس واقطعهم الاقطاعات واطلق يدهم في كل المقدرات ، وترك لهم سياسة الامور العامة واحتل الامويون المراكز الامامية في الجماعة الاسلامية ، وكان للشباب الاموي سياسة خاصة نحو الاسلام ، ونحو الهاشميين اخصامهم ، ولا شك ان لهذا الشباب الطموح شهوات منهومة وغرائز مريضة ، لا تقف عند حد مادامت القوة تواتيها والسلطان ظهيرها ، وعثمان كان ضعيفاً امام الامويين من بني عمه ، وليس له من القوة والحزم ما يملأ كرسي عمر الحازم ، اويقف به في وجه الشباب الاموى فانقلبت مظاهر الخلافة الى مظاهر الملك من نعيم وترف ومجانة ولهو الحياة ، وجمع الاموال والتزيد من العقار والضياع ، وكل ذلك من مال المسلمين ، فاعطى

مروان بن الحكم خمس غنائم أفريقيا ، واعطي الحكم — طريد رسول الله — مائة الف درهم ، واعطى الحرث بن الحكم بن العاص ثلاث مائة الف ، واعطى زيد بن ثابت مائة الف ، واعطى عبد الله بن سرح اخاه من الرضاع ما افاء الله على المسلمين من فتح افريقيا ، واعطى ابا سفيان ابن حرب مأتي الف درهم واقطع مروان فدكا ، الذى منعت منه فاطمة الزهراء بضعة الرسول (ص) .

وهكذا حول الامويون الملك ، واقتنوا الاموال والضياع والتزيد من ذلك حتى انه ليصح القول : بان الامويين نسباً وسياسية هم الذين يؤلفون الطبقة المالية في هذا العهد من تاريخ الراشدين ، وكانت هذه الفوضى الجارفة طفرة صريحة في المبدأ الاسلامى لاتتفق مع سياسة الاسلام وسياسة العمرين الذين تقدما عثمان ، وقد أثر هذا قلقاً في النفوس وخطراً على المجموعة الاسلامية ، ولعل احدا لايشك بان هذه خطط كانت تتصل بنزعة جاهلية وتنظر الى الحياة من غير الناحية التى كان ينظر اليها الاسلام ، فالنظرة العامة انحرفت الى اتجاه خاص ، وغرض خاص يرميان الى تبديل الحكم .

وجماع القول : ان الحياة العامة في هذا العهد انتقلت عن قاعدتها الى تجديد في السنن والعطاء وسائر الاوضاع وهى لاتتصل بعهد العمرين مما ادى الى تلك الثورة بشكلها المريع ، ولم يكن في

الصحابة - في اول هدا العهد - من له حنجرة ابي ذر وصوته وجرأته وتنمره في ذات الله ، ولذلك تراه وقف امام هذا الانقلاب منتقداً ، يرفع صوته بالانتقاد الصريح والقالة المرة ، فكان يقراء بين الناس وفي المناسبات وفي الطرقات والشوارع - كما يقول المؤرخون - « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم » فرفع ذلك الى عثمان وهو ساكت ، ولعل مروان هو الذى خيل له ان ابا ذر انما يرفع صوته طمعا بالمال فبعث اليه موليين ومعهما مأتا دينار ، وقال لهما انطلقا الى ابي ذر فقولا له : ان عثمان يقرئك السلام ويقول لك هذه مئتا دينار فاستعن بها على ما نابك فقال ابو ذر : هل اعطى احداً من المسلمين مثل ما اعطاني ؟ فقالا : لا . فقال انما انا رجل من المسلمين يسعني مايسع المسلمين . . . لاحاجة لي فيها ، وقد اصبحت يومي هذا وانا من اغنى الناس ، . . فان تحت هذا الاكاف الذى ترون رغيفاً من شعير . . فما اصنع بهذه الدنانير لا والله حتى يعلم الله اني لاقدر على قليل ولا كثير ، وقد اصبحت غنياً بولاية علي ابن ابي طالب عليه السلام ، وعترته الطيبين الطاهرين ، الهادين المهديين الراضين المرضيين الذين يهدون بالحق وبه يعملون

وطبيعة ابى ذر لا تتفق مع هذه المغريات ، وهذا الصوت الذى يندفع من حنجرته انما هو هو صوت اصلاحي منبعث عن نفس

زاهدة بهذه الدنيا وما فيها من زخارف ، وهو غني بنفسة عن كل ما في هذه الحياة من مظاهر ، ويكفيه في كل يوم صاع من تمر فلا يزيد عليه ، والذى عرفناه من تكوينه انه مجموعة اخلاقية يتكلم في الله ، ويقول لله ويخضع بكله للقانون الاسلامي فقط ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ، وهو ابعد ما يكون عن هذه المغريات واقرب ما يكون للحق الصريح الى ابعد حد تعرفه الصراحة

ان هذا الصوت المدوي ولد في نفس الامويين اسى مريراً والاسى في نفس الحقير يستحيل الى يأس وضرارة ، ولم يكن من السهل اخفات هذا الصوت ، واطفاء هذه الشعلة لان ابا ذر يتمتع بثقة كبيرة في نفوس المسلمين وبنصيب كبير من الاحترام والاكبار فاذا امهلوه استشرى ، وانه يضرب على وتر حساس وصوته يرتفع من وراء منهج اسلامي ضرب رسول الله (ص) عليه الرقاب حتى دانت له وها هو اليوم على مفترق الطرق تناولته فئة برء الاسلام من نزعاتها الجاهليه ، وها هو المنهج على وشك ألانحلال اذا لم ترتفع الاصوت لانجاده من هنا وهناك والموقف من الوجهة النظرية دقيق يبعث الاسى في النفوس المؤمنة .

والصوت بنظر الشباب الاموى ينذر بالخطر فلا يستطيعون سماعه ثم يتركونه وشأنه يدوى بين اصحاب رسول الله «ص» وروح النقمة قد فشت بينهم ، وعصفت زوابع الاستياء فشملت

حتى عبد الرحمان بن عوف ضجّر عثمان ، وهي شكلا وان كانت ساكنة ولكنها تنام على قلق ، ولن تلبث ان تثور ، يقول ابن ابي الحديد : «ولما تكاثرت احداث عثمان وتكاثر طمع الناس فيه ، كتب جمع من اهل المدينة من الصحابة وغيرهم الى من بالافاق ، انكم ان كنتم تريدون الجهاد فهلموا الينا فان دين محمد قد افسده خليفتكم »

فلا جرم ان كان الامويون يحوكون الغوائل لابي ذر فانه جئر بصوته وهاهو يناهضهم ؟ ولا بدان يكون مروان اعظمهم قلقاً واعجلهم لطلب الخلاص من هذا الصوت المندفع ، فان مروان ينظر الى الخلافة من وراء ستار رقيق اذا ابلغ بنو العاص ثلاثين رجلا فانهم يجعلون مال الله دولا وعباده خولا ودينه دخلا والخبر عن رسول الله «ص» صريح بان بني العاص اذا بلغوا ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله خولا فالملك مرموق لمروان وهو طامح الى الملكية الاسلاميه ، واذن فليمهد الطريق من الان مادامت الفرصة سانحة والوقت مساعداً .

والنفوس المفطورة على الغل لاتستريح من مرضها إلا حيث تنكل بفريستها بالشكل الاجرامي الممكن ، وليس من الهين قتل ابي ذر ، بل ليس من المستطاع ، واقرب وسيلة للتخلص منه والتنكيل به هو اخراجه من دار مهاجره ، ولعله حسن لعثمان ذلك ، ولعله حمله على ذلك حملا ، فان عثمان كان ضعيفاً

امام اغراض مروان وشهواته ، يقول المؤرخون : « فارسل اليه -الى ابى ذر- مولى من مواليه ان انته عما يبلغنى عنك . فقال ابو ذر : أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله تعالى ، وعيب من ترك امر الله ، فوالله لان ارضى الله بسخط عثمان احب الىّ وخير لى من ان اسخط الله برضى عثمان ، فاغضب عثمان ذلك وحفظه فتصابر له وتماسك ، وقال يوما والناس حوله : أيجوز للامام ان يأخذ من بيت المال شيئاً قرضا فاذا ايسر قضى ؟ فقال كعب الاحبار : لاباس بذلك ! ! - وكان ابو ذر حاضراً - فقال يا ابن اليهوديه أتعلمنا ديننا ؟ فقال عثمان : قد كثر اذاك وتولعك باصحابى الحق بالشام » .

في الشام

قال ابوذر : « بينا انا ذات ليله نائم في المسجد على عهد رسول الله (ص) ، اذ مر بى فضربني برجله ، وقال لا اراك نائما في المسجد . فقلت :

« بابى انت وامي غلبتنى عيني فنمت فيه قال :

« كيف تصنع اذا اخرجوك منه ؟ قلت :

اذن الحق بالشام فانها ارض مقدسة وارض الجهاد ، قال .

« كيف تصنع اذا اخرجت منها ؟ قلت .

« ارجع الى المسجد قال .

« فكيف تصنع اذا اخرجوك منه ، قلت :

« آخذ سيفي فاضربهم به فقال: ألا ادلك على شيء خير من من ذلك ؟ انسق معهم حيث ساقوك وتسمع وتطيع ، فسمعت واطعت .

« وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى »

وهكذا كان فقد اخرج من المدينة والحق بالشام ، ولم نعلم كيف كان خروجه ؟ أمتعتعا ملهوزاً بالعصا ام ذهب مستر سلا لايسوقه احد ؟ والروايات اغفلت هذه الناحية .

ولعله كان يظن ان هذا النفي سيكون سبباً قوياً لكبت جماحه ، او على الاقل ركوداً طبيعيا ، فان الشام غير المدينة ، ومعاوية غير عثمان والشاميون الفوا التربية الاموية ، فلا يعرفون من الاسلام الامايقرره لهم معاوية وما قرره لهم اخوه يزيد بن ابى سفيان من قبل ومعاوية رأس من رؤس الامويين يعمل في سبيل امويته او هو اكثر اندفاعا في التمهيد للاموية .

ونلاحظ ان هذه الحركه من عثمان كانت بعيدة عن المرونة السياسية ، واقرب للواقع ان نسميها خطة استفزازية كان لها اثرها في نقد سياسة عثمان واستفزاز المعارضة،نشأت عن ضيق النظر السياسي،وعدم فهم نفسية ابى ذر ، فان ابا ذر كان متشبعا بالمبادى الاسلامية الصحيحة ومثقلا بمتارك رسول الله (ص) ،

ونفسه تتصل بالوجود المطلق ، وهو يجاهد لاسترداد الحرية ، وليس ثمة قوة تستطيع ان تسيطر عليه او تقف في وجهه ، وان وجد الذين يقفون في وجه عقيدته فأولئك لاعهد لهم عنده ، ولاذمة لهم عليه ، فلا سلطان عليه لغير الله ، ولارقيب عليه غير ضميره المثقل بالاحاسيس ، المشبوب بمبارك النبوة

وعلى كل حال فقد دخل الشام ونزل الى جانب معاوية ، وانتقلت حركة الانتقاد من المدينة الى الشام ، واذا نظرنا الى الشام مهد الامويين ، يوم كانت البلاد الاسلامية العربية الاخرى مثقلة بمبارك رسول الله (ص) ومبارك العمرين لرأينا تلك المبارك تحتضر بين جدران الشام على اعتاب استبداد معاوية ورأينا البلاط الاموي مثقلا بالامتيازات ، ويعج باصحابها ورأينا السياسة الاموية تسيطر على العقول والافكار وعلى جميع النواحي ، والشباب الاموي يحتل المراتب العالية مستاثراً بالمال والسلطان ، ولعله كان من المحسوس ان الشام اذ ذاك ليست ملكا للاسلام الصحيح وانما هي ملك الامويين المستبدين ، واهل الشام لايعملون لحساب الاسلام ، وانما يعملون لحساب الامويين ، وابو ذر يعطينا صورة عن الشام يومئذ فيقول : « والله لقد حدثت اعمال ماأعرفها ، والله ما هي في كتاب الله ولافي سنة نبيه «ص» ، والله اني لارى حقاً يطفأ ، وباطلا يحيا ، وصادقا مكذبا واثرة بغير تقى وصالحا مستأثراً عليه » ومن الطبيعي اذن ان تزأر العدالة على لسان

ابى ذرزئيراًيقض مضجع معاوية ، وان يرتفع صوته منكرا منتقداً،وان يعودفيقرأ قوله تعالى . « والذين يكنزون الذهب والفضة،ولاينفقونهافي سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم »

يقول المؤرخون . « كان يقرا ذلك في الازقة والشوارع حتى اولع الفقراء بابي ذر وشكا منه الاغنياء ، فضاق معاوية ذرعا بابي ذر وضيق عليه وحفت به الخطوب من كل جانب ومكان ، وهددوه بالقتل فقال . يهددني بنو امية بالفقر والقتل" وللفقر احب الى من الغنى ،ولبطن الارض احب الى من ظهرها ، ولم يكن هذا بالغريب من ابي ذر الزاهد الورع ، ولكن الغريب هو تحكم النزعات الجاهلية في انبل عواطف انسانية اسلامية ، وخمود صوت الضمير الانساني ، وارتفاع صوت الماده ، والمادة هى غاية الحياة عند معاوية ، واذن من البديهى ان لايتفق ابو ذر مع هذه الحياة المادية، وايضا ليس من الغريب ان يكون شديد الانكار رفيع الصوت على معاوية ويقول له لما بنى الخضراء وانفق عليها الاموال بدون حساب «يامعاويه ان كانت هذه من مال المسلمين فهى الخيانة وان كانت من مالك فهو الاسراف ؟ »

ومعاوية داهية اراد ان يغريه بالاموال « فبعث اليه ثلاثمائة دينارا فقال ابو ذر للرسول . ان كانت من عطائى الذى حرمتمونيه عامي هذا اقبلها، وان كانت صلة فلاحاجة لى فيها وردها عليه وكأنه لم يتبين لمعاوية بعد مضاء العزم عند ابى ذر ، ورسوخ

العقيدة، وكأنه كانت تعوزه التجارب والمحاولات ليتصل بمصدر هذا الصوت المندفع من حنجرته، ويتعرف على حقيقته يقولون دعا رسولا واعطاه الف دينار وارسله بها في جنح الليل الى ابى ذر، ثم لما صلى معاوية الصبح دعا رسوله الذى ارسله اليه فقال له :

« اذهب الى ابي ذر فقل له انقذ جسدى من عذاب معاوية فانه ارسلنى الى غيرك واني اخطأت بك .

« فانطلق الرسول، وقابل اباذر بما لقنه معاوية فقال ابو ذر ؛

« يابنى قل له والله مااصبح عندنامن دنانيرك دينار . ولكن اخرنا ثلاثة ايام حتى نجمعها »

ان هذا وامثاله يكشف لنا ان طبيعة ابى ذر لم تكن واضحة جليه عندهم، فيحسبون ان لهجة الانكار ربما كانت صادرة عن نفس تنزع الى المادة، ولذلك كانوا يقومون بهذه التجارب وما اسرع ان ترجع فاشله .

ومن العبث محاولة معاوية ان يخدع ابا ذر بهذا الشكل من الخديعة، وابوذر انما يريد ان يضع حدا لهذا التدهور الاجتماعى ويحاول ان تكون المبادي الاسلامية الصحيحة هى هدف ولاة الامور والساسة من المسلمين الذين يشغلون المراكز العالية، ويتولون الشؤن العامه ولكن معاوية والامويين لا يتصلون بالمبدأ الاسلامى لاقليلا ولا كثيرا، ولعله اول مايبدو لك في العصر الاموي ان

المبادى الاسلاميه تتحول من طور الى طور ، وهى في طريقها الى التدهور ليحل محلها مبادي هدامة تعمل معارلها في تحطيم المبدأ الاسلامي ، وهدم كيان الروح الاسلامية ، ولهذا كان يندفع ابو ذر لمقاومة الحزب الاموى ويبعث هذه الروح في نفوس الناس ، وليس من العجيب ان يقف على باب معاوية ويقول صارخاً « اتتكم القطار تحمل النار ، اللهم العن الآمرين بالمعروف التاركين له اللهم العن الناهين عن المنكر المرتكبين له فاز بأر معاويه وتغير لونه وقال لجلم الغفارى :

« من عذيري من جندب بن جناده يأتينا كل يوم فيصرخ على باب قصرنا بما سمعت ؟

« ثم قال ادخلوه علي فجيء بابى ذر بين قوم يقودونه حتى وقف بين يديه فقال له .

« ياعدو الله وعدو رسولة تأتينا في كل يوم فتصنع ما تصنع اما انى لو كنت قاتل رجل من اصحاب محمد من غير اذن امير المؤمنين عثمان لقتلتك ، ولكنى استاذن فيك

ابو ذر — «ما انا بعدو لله ولا لرسوله ، بل انت وابوك عدوان لله ولرسوله ، اظهرتما الاسلام وابطنتما الكفر ، ولقد لعنك رسول الله (ص) ودعا عليك ان لا تشبع مرات ، وسمعت رسول الله (ص) يقول .

« اذ اولي الامة الاعين الواسع البلعوم الذى يأكل ولا يشبع

فلتأخذ الامة حذرها منه .

معاوية - ما انا ذاك الرجل .

ابو ذر - « بل انت ذلك الرجل اخبرني بذلك رسول الله «ص» وسمعته يقول - وقدمررت به - اللهم العنه ولاتشبعة إلا بالتراب - وامر بحبسه

قد يكون ابوذر قاسياً في هذه اللهجة ، شديداً في هذه الصرخة ، وقد يكون في ذلك شيءمن التطرف ، وقد لا يكون فيه شيء من التطرف وسواء أكان ذلك ام لم يكن ، ؟ فان الذى نلتقي به مع القارى ومع المنكرين عليه ، انه كان من الشخصيات الاسلامية الرائعة ، التى تجمعت فيها اروع الفضائل واسمي الصفات ، وقربه رسول الله «ص» من اهل بيته وقال . « اكرم بك يا ابا ذر انك منا اهل البيت » وهو في السماء اعرف منه في الارض ، واجله الصحابه وعظموه وعرفوا له سابقته ، فكان من المرونة أن يرعى عثمان فيه الحرمات الاسلامية تمام الرعاية ولم يكن من اللياقة ان يقول « اشيروا عليّ في هذا الشيخ الكذاب ثم يلقيه بين يديّ معاوية وكذلك كان من المتحتم على معاوية ان لا يلقى ابا ذر بهذه الوقاحة الشائنه ، فيقول له ياعدو الله وعدو رسوله وانه ليعلم ان رسول الله «ص» قال : « امرني ربى بحب اربعة وعدمنهم ابا ذر واخبرني انه يحبهم »

ولكن لم يكن ليراد تنفيذ كلام الله وكلام رسوله ، فان

ثة منافسة وخصومة ، وهذه الخصومة ترجع بنوع خاص الى الخصومة بين الهاشميين والامويين ، والفرصة سنحت لمعاوية ان ينكل بمن يستطيع .

٭٭٭

والذى يبحث على ضوء المصادر التاريخية موقف الامويين من ابى ذر يخرج بعقيدة ثابته انه لم يكن الباعث لهم على مطاردته هو انكاره عليهم التصرفات المالية فحسب ، ذلك لان ابا ذر لم ينفرد بهذا الانكار ، وهذا زيد بن ارقم - وكان صاحب بيت المال - جاء بالمفاتيح ووضعها بين يدى عثمان وبكى لما اعطي مروان ما اعطى فقال له عثمان .

اتبكي لاني وصلت رحمى ؟ !

قال لا ولكنى ابكى لاني اظنك اخذت هذا المال عوضا عما انفقته في سبيل الله في حياة رسول الله «ص» ولو اعطيت مروان مائة درهم لكان كثيرا ! ! !

عثمان - الق المفاتيح يا ابن ارقم فانا سنجد غيرك !

وهذه السيده عائشه رض ، كانت اشد انكارا وقولتها المشهورة هى احد الاسباب لهياج المسلمين على عثمان ، ولقد رأينا من قبل ان جمعا من اهل المدينة من الصحابة كتبوا الى الافاق كتابة اشبه بكتب الحكومات التى تعلن فيها الحروب

وهب ان ابا ذر الزاهد الورع كان منفردا ، وكان متطرفا في

افكاره وارائه ، وهب انه اساء استعمال حقه ، او اساء السير في طريق الاستنكار ، هبه اساء في كل ذلك ، أكان من الصحيح ان ينعته عثمان بالشيخ الكذاب » ويخاطبه معاوية « ياعدو الله وعدو رسوله وفي كلا القولين مخالفة صريحة لله ولرسوله

والحقيقة ان هناك من الاسباب ماهو اقرب اعتبارا وارجى للوصول الى الحقيقة من اى سبب اخر ، ولا أرى ان هذه المطاردة لابى ذر في المدينة وفي الشام ، كانت تستمد اسبابها من هذه الاشتراكيه المزعومة له ، وهل هى إلا الاشتراكية فرضها تجرة الضمائر في العصر الحاضر ، وهى لاتصح ان تتخذ سندا تترتب عليه هذه المطاردة القاسية ، ونحن آلان لانريد ان نناقش هؤلاء الخياليين المنددين لسياسته حين يفرضونه اشتراكيا مزدكيا ، وان حركته تمت بسبب قوي الى حركة مزدك الشيوعية الاباحية وان عبدالله ابن سبأ الرجل الخيالى - هو الذى حركه ، لا نريد هذا آلان وانما نريد ان نصل الى الحقيقة عن طريق النصوص التاريخية الصحيحة لا عن طريق التكهن والعقيده كما فعل تجرة الضمائر وورثه الاحقاد

وهنا نطلب من القارى ان يتذكر ماذكرناه في فصل سابق من النزاع التقليدى بين الهاشميين والامويين ، ليستطيع ان يتبين الاسباب في هذا المطاردة ، ويرجعها الى واقعها دون ان يسىء الى الحقيقة بشىء ، وكل احد يعلم ان ابا ذر كان من الحزب

العلوى ومن الدعاة الى على امير المؤمنين (ع) وابو ذر له مكانته في الاسلام ، ومكانته بين المسلمين ، فانه من بناة الهيكل الاسلامي ، وساعده على بث هذه الدعوة ضعف عثمان وسوء تصرفه ، واطماع الامويين ، والتزيد من اختزان الاموال ، وحبسها عن المسلمين ، واقتناء القصور والضياع ، مما قوى شوكة المعارضه وهيأها الظرف المناسب ، ونلاحظ ان المعارضة كان لها صوت في المدينة يمت الى الخلافة باسباب قويه .

وان في كلمة عثمان لابى ذر « لكنك تريد الفتنة وتحبها وقد انغلت « افسدت » علينا الشام ، صورة صحيحة توضح لنا السبب الحقيقي الذى ترجع اليه هذه المطاردة ، واى معنى لافساد الشام عليهم غير الدعوة الى غيرهم ؟ ؟

وليس هذا فقط ، فان في كتاب معاويه الى عثمان مايوضح الصلة بين هذه المطاردة وبين النزعة العلوية التى كان يعمل في سبيلها ابو ذر ويطارده لاجلها الامويون وهى السبب الحقيقى لمطاردته .

يقول ابو جهم الازدى : « لما سير عثمان ابا ذر من المدينة الى الشام كان يقص علينا ، فيحمد الله ويشهد شهادة الحق ويصلى على النبى واله ويقول : اما بعد فانا كنا في جاهليتنا قبل ان ينزل علينا الكتاب ويبعث فينا الرسول نوفي بالعهد ونصدق الحديث ، ونحسن الجوار ، ونقرى الضيف ، ونواسي الفقير ،

فلما بعث فينا رسول الله وانزل عليه كتابه كانت تلك الاخلاق يرضاها الله ورسوله ، وكان احق بها اهل الاسلام واولى ان يحفظوها ، فلبثوا بذلك ماشاء الله ان يلبثوا ، ثم ان الولاة قد احدثو اعمالا قباحاً لانعرفها : من سنة تطفى ، وبدعة تحيا ، وقائل بحق مكذب ، واثرة لغير تقى ، وامين مستأثر عليه من الصالحين ، اللهم ان كان ماعندك خيراً لى فاقبضنى اليك غير مبدل ولا مغير ، ويروي عن رسول الله (ص) ما سمعه في اهل بيته عليهم السلام ، ويحضهم على التمسك بعترته ، فاتى حبيب بن مسلمة معاوية فقال : ان ابا در يفسد عليك الناس ، يقول كيت وكيت . فكتب معاوية الى عثمان : اما بعد فان ابا در يصبح اذ اصبح ، ويمسي اذا امسى وجماعة من الناس كثيرة عنده ، يقول كيت وكيت ، وقد صرف قلوب اهل الشام عنك وبغضك اليهم ، فلا يستفتون غيره . ولا يقضى بينهم إلا هو . فان كان لك حاجة في الناس قبلي فاقدم ابا ذر اليك فانى اخاف ان يفسد الناس عليك والسلام .

فهل في هذه الكتاب غموض حينما نريد ان نستجليه . او فيه التواء حينما نريد ان نفهم السبب الحقيقي لمطاردة ابى ذر وما معنى افساد الناس عليه وصرف قلوبهم عنه . وهل في هذا تعقيد او التواء؟ والى من تصرف هذه القلوب عن عثمان وليقل لنا تجرة الضمائر : من اى ناحية يتصل صرف القلوب عن

عثمان وعن الامويين بالاشتراكية المزدكية .

وعلى ضوء هذا الكتاب ورواية الازدي من ان اباذر كان يقص عليهم ويحثهم على التمسك بعترة النبي (ص) يعلم ان حركته كانت تمت بسبب قوي الى الدعوة العلوية ، وان مطاردته من المدينة الى الشام ومن الشام الى المدينة ، ومن المدينة الى الربذة تتصل اتصالا اكيداً بهذه الدعوة ، وقد آن للنظر الصحيح ان يبصر وللعقل الصحيح ان يحكم وللمنطق الصحيح ان يقول

ويلوح لنا ان ابا ذر كان موفقاً في دعوته، فان على الشاطىء الغربي من البحر الابيض المتوسط قطعة من الارض عرفت باسم «جبل عامل» يقال ان معاوية نفى ابا ذر اليها وهناك بث دعوته فتقبلها اهلوه ولابى ذر هناك مسجدان مسجد في الصرفند وهى قريه تطل على البحر بين صور وصيدا ومسجد في ميس وهى قرية تطل على الحولة ولا نستعبد ذلك وهو معروف على السنة اهل تلك البلاد وعليه اعتبارات كثيرة .

الى المدينة

لما كتب معاوية الى عثمان الكتاب الذى ذكرناه ورد عليه عثمان « ان الفتنة قد اخرجت خطمها وعينيها ولم تبق إلا ان تثبت واحمل جندبا على اغلظ مركب واوعره » فبعث معاوية الى ابى ذر ودعاه واقرأه الكتاب وقال له النجاء الساعة ، فخرج ابو ذر

واجتمع الناس اليه فقالوا : « يا ابا ذر رحمك الله اين تريد ؟ قال اخرجوني اليكم غضباً عليّ واخرجوني منكم اليهم الان عبثاً بى ، ولايزال هذا الامر فيما ارى شأنهم فيما بيني وبينهم حتى يستريح بر او يستراح فاجر ومضى وسمع الناس بمخرجه فاتبعوه حتى خرج من دمشق فساروا معه حتى انتهى الى دير المران فنزل ونزل معه الناس فاستقدموه فصلى بهم ثم قال

ايها الناس انى موصيكم بما ينفعكم ، وتارك الخطب والتشقيق احمد والله عز وجل ، فقالوا : الحمد لله قال : اشهد ان لااله إلا الله وان محمداً عبده ورسوله — فاجابوه بمثل ما قال — وقال : ان البعث حق وان الجنة حق، وان النار حق واقر بما جاء من عند الله واشهدوا على بذلك ، قالوا نحن من الشاهدين ، قال ليبشر من مات منكم على هذه الخصال برحمة الله وكرامته مالم يكن للمجرمين ظهيراً ، ولا لاعمال الظلمة مصلحاً اوهم معيناً ، ايها الناس اجمعوا مع صلاتكم وصومكم غضباً لله عز وجل اذا عصي في الارض ، ولا ترضوا ائمتكم بسخط الله ، وان احدثوا ما لاتعرفون فجانبوهم وأزروا عليهم ، وان عذبتم وحرمتم وسيرتم حتى يرضى الله عز وجل ، فان الله اعلى واجل ، لا ينبغى ان يسخط برضى المخلوقين ، غفر الله لى ولكم واستودعكم الله واقراء عليكم السلام ورحمة الله ، فناداه الناس ان سلم الله عليك ورحمك يا ابا ذر ياصاحب رسول الله ، ألا نردك ان كان

هؤلاء القوم اخرجوك ، الا نمنعك ؟ فقال لهم ارجعو رحمكم الله فاني اصبر منكم على البلوي وايا كم والفرقة والاختلاف »

هذا اصدق فقه واعظم صيانة لحقوق عباد الله ، وان هذا الاسلام لاتستقيم اموره مع هذه المظالم التى عليها حكامه ، والاسلام نعى على من سبق من الامم تشويه مثالية الاديان ، وحذر اتباعه ان يميلوا عن الصراط السوى ، وكذلك حذر النبي (ص) المسلمين ان ينهجوا منهج الطغيان ، وان يندفعوا مع الغرائز الحيوانية ، فينسون العدالة الاجتماعية ، فترسل عليهم حجارة من السماء

والويل لامة تنطلق ايدي حكامها فينكرون مبدأ المساواة بينهم وبين افراد الشعب ، وكذلك الويل لامة لاتقف في وجوه حكامها الظالمين المستبدين ، فان الاغلال التي وضعها الاسلام في ايدي الحكام انما هى لاجل تحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس وتحريرهم ، ولحماية الفقير المدقع والعامل الكادح والضعيف المعوز والمحنة اتاحت للمسلمين ان يحكمهم الامويون ، وليس في تاريخ الامويين ماينفى عنهم طغيان الحاكم المستبد ، وقيصرية قيصر ، وكسروية كسرى ، والحاكم الظالم لاتقاومه إلا جماعة متماسكة كل التماسك ومن هنا نراهم ذعروا من صوت ابى ذر وهذه الاصوات من ورائه وطاردوه اشد المطاردة ومهما يكن من شيء فان ابا ذر رحمه الله رحل مع الصقالبة الخمسة .

يطيرون به في الليل والنهاره ، وكان على شارف ليس عليها إلا قتب يابس، وكانو الايدعونه يستريح في الطريق ، حتى تسلخت بواطن فخذيه وسقط لحمها ، ودخل المدينةوهو مجهد من الالم والتعب

في المدينة

وصل ابو ذر الى المدينة على اشق حال منهو كما متعباً قد سقط لحم فحذيه ، وادخل على عثمان فانشد :

لاانعم الله بقين عيناً نعم ولالقاه يوماً زينا
تحية السخط اذا التقينا

ابو ذر ـ ماعرفت اسمى قيناً قط ، انا جندب وسماني رسول الله (ص) عبد الله فاخترت اسم رسول الله (ص) الذي سماني بهعلى اسمى

ـ انت الذى تزعم انا نقول : يد الله مغلولة وان الله فقير ونحن اغنياء »

ابو ذر ـ لو كنتم لاتقولون هذا لانفقتم مال الله على عباده ولكنى اشهد اني سمعت رسول الله (ص) يقول : « اذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلا جعلوا مال الله دولا ، وعباده خولا ، ودينه دغلا ،

أزبأر عثمان وانتفض كأنه سمع عظيماً والتفت الى الجالسين

حوله وقال

اسمعتم هذا من رسول الله ؟

جميعاً ـ لا لم نسمعه !!

ـ ويلك اتكذب على رسول الله ؟

ابو ذر ـ وقد الف هذه الكلمات من عثمان ـ التفت الى الجالسين أماتدرون انى صدقت ؟

جميعاً ـ لا والله ماندرى

عثمان ـ ادعوا لي علياً

ولما جاء قال لابى ذر اقصص حديثك في بني ابى العاص قص ابو ذر الحديث بلفظه ، وكان الحرج يحيط بموقف علي (ع) لانه لم يسمع الحديث من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ، ولكنه يعلم ان اباذر صادق ، ويريد ان يعترف الجالسون لابي ذر بالصدق

على ـ لم اسمعه وقد صدق ابو ذر

عثمان ـ كيف عرفت صدقه ؟

ـ انى سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول ماظلت الخظراء ولااقلت الغبراء من ذى لهجة اصدق من ابى ذر

الجميع ـ اما هذا فقد سمعناه من النبي (ص) صدق ابوذر

ابو ذر ـ وقد اسبل دمعة حارة .. احدثكم عن رسول الله (ص) فتتهمو ننى ما كنت اظن انى اعيش حتى اسمع هذا من اصحاب محمد (ص)

وقال عثمان يوماً : انت الذى فعلت وفعلت

ابو ذر ـ نصحتك فاستغششتني ،و نصحت صاحبك فاستشغنى

ـ كذبت ولكنت تريد الفتنه وتحبها قد انغلت علينا الشام

ـ اتبع سنة صاحبك لايكن لاحد عليك كلام

ـ مالك ولهذا لاام لـك ؟

ـ والله ما وجدت لي عذراً إلا امر بالمعروف والنهى عن المنكر

ـ اشيروا عليّ في هذا الشيخ الكذاب ، اما ان اضـ ربه او احبسه او اقتله ، فأنه قد فرق جماعة المسلمين ، او انفيه من ارض الاسلام

امير المؤمنين ـ وكان حاضراً ـ إشير عليك بما قال مؤمـن آل فرعون « فان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصيبكم بعض الذى يعدكم ان الله لايهدي من هو مسرف كذاب » ثم ان عثمان حظر على الناس ان يقاعدوه اويكلموه ، فتحاماه الناس ونفوه مكرهين على ذلـك ، ولكن ابا ذر لايبالي بمثل هذه الحوادث ، وليست ذات شأن بعد ان كان يلتجأ الى الله في كل شؤنه ، ولا يبالي بعد ان كان يرضى الله في افعاله واقواله ويرضى ضميره ، وبقى اياما كذلك يدعوا الناس الى الهدى والى الحق ، حتى ضاق بـه الامويون ذرعا ، فطلبه عثمان فأتى به اليه فقال ابو ذر :

ـ ويحك ياعثمان أما رايت رسول الله (ص) ورأيت ابا بكر

وعمر هل هديك كهديهم ؟ اما انك لتبطش بى بطش جبارين

ـاخرج من بلادنا ؟

ـما ابغض الي جوارك فالى اين اخرج ؟

الى حيث شئت

ـاخرج الى الشام ارض الجهاد ؟

ـ انما جلبتك من الشام لما قدافسدتها اسأل أردك اليها ؟

ـأفا اخرج الى العراق ؟

ـلا . انك ان تخرج اليها تقدم على قوم أولى شقة وطعن على الائمةوالولاة

ـ أفا أخرج الى مصر ؟

ـ لا . .

ـ فالى اين اخرج ؟ الى مكة

ـ لاوالله ولا كرامة لك

ـ أتمنعنى من بيت ربى اعبده فيه حتى اموت ؟

ـ اي والله

ـ الى اين اخرج ؟

ـ الى البادية

ـ اخرج الى بادية تجـــد ؟

ـ بل الى الشرق الابعد امضى على وجهك هذا فلاتعدون الربذة

- الله اكبر صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد اخبرني بكل ما انا لاق

- وما قال لك ؟

- اخبرني اني امنع من المدينة ومكة واموت بالربذة ويتولى مواراتي نفر ممن يردون العراق نحو الحجاز

- اخرجوه من بين يدي حتى تركبوه ناقة بغير وطاء ، ثم نجوبة وتعتعوه حتى توصلوه الى الربذة ، فتنزلوه من غير انيس حتى يقضي الله فيه ما هو قاض ، فاخرجوه ملهوزاً بالعصا متعتعا

الى الربذة

الربذة في الجانب الشرقي من المدينة وهي ابغض ارض الى ابي ذر لانها للوطن الذي كان يسكنه وهو على غير الاسلام

ولقد انكر المسلمون على عثمان اخراجه الى الربذة ، قال الحاكم في المستدرك بسنده عن عبدالرحمن بن غنم قال : كنت مع ابي الدرداء فجاء رجل من قبل المدينة ، فسأله عن ابي ذر فاخبره ان ابا ذر مسير الى الربذة ، فقال ابو الدرداء انا لله وانا راجعون ، لو ان ابا ذر قطع لي عضواً او يداً ماهجته ، بعد ما سمعت من رسول الله (ص) يقول : ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء من رجل اصدق لهجة من ابي ذر ، وعبدالله بن مسعود

لمـــا بلغـــه نفى ابى ذرالى الربذة ـ وكان اذ ذاك بالكوفة قال في خطبة له بمحفل من اهل الكوفة. فهل سمعتم قوله تعالى؟ « ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقـــا منكم من من ديارهم » يعرض بمنفاه ، فكتب الوليد بذلك لعثمان ، فاشخصه من الكوفة فلما دخل مسجد النبى (ص) ، امر عثمان غلاما له اسود فدفع ابن مسعود واخرجه من المسجد ورمى به الى الارض ، وجعل منزله حبسه ، وحبس عنه عطاءه اربع سنين الى ان مات ، وعن موسى بن ميسرة ان ابا الاسود الدؤلي قال : كنت احب لقاء ابي ذر لاسأله عن سبب خروجه الى الربذة ، فجئته فقلت له : الا تخبرني اخرجت من المدينة طائعا ام اخرجت مكرها ؟ ؟ قال : كنت في ثغر من ثغور المسلمين اغنى عنهم فاخرجت الى المدينة فقلت دار هجرتى واصحابى فاخرجت الى ما ترى ! !

هذه امثلة من استنكار المسلمين لهذا النفى الفظيع الذى كنا ننفس بمقام الخلافة ان ترتكبه مع اقل المسلمين فضلا عن ابى ذر الصحابى الجليل ، فلم ترع فيه حرمة الاسلام ، ولا مكانته من رسول الله « ص » ، ولا سنه ولا شيخوخته ولا سابقته ، وقد رأيت من قبل ان عمر قد عرف له هذه المزايا فالحقه باهل بدر بالعطاء تشريفا لقدره واعلاء لمكانته .

وعلى كل حال فقد اخرج ابو ذر متعتعا ملهوزاً بالعصا» وامر عثمان مناديه ان ينادي في الناس «بان لا يكلم احد ابا ذر ولا يشيعه احد، وامر مروان بن الحكم ان يخرج به» فتحاماه الناس ولم يودعه إلا امير المؤمنين علي (ع) وحسن وحسين وعقيل وعمار خرجوا معه يشيعونه، فلما بصر بهم ابوذر حن اليهم وبكى وقال: «بابي وجوه اذا رأيتها ذكرت بها رسول الله (ص) وشملتني البركة برؤيتها، ثم رفع يديه الى السماء وقال اللهم اني احبهم، ولو قطعت اربا اربا في محبتهم مازلت عنها ابتغاء وجهك والدار الاخرة»

رحمك الله يا ابا ذر، ان هذه الوجوه هى سبيلك الى الله كما هى السبب في نفيك من بلد الى بلد

خرج علي وحسن وحسين وعقيل وعمار وجعل الحسن يكلم ابا ذر، فقال مروان بن الحكم:

«ايهاً يا حسن ألا تعلم ان امير المؤمنين نهى عن كلام هذا الرجل؟ فان كنت لا تعلم فاعلم ذلك» فحمل علي (ع) على مروان فضرب بالسوط بين اذنى راحلته وقال:

«تنح لحاك الله الى النار»

فرجع مروان مغضبا الى عثمان، فاخبره الخبر فتلظى غضبا على علي

ووقف ابو ذر فودعه القوم وكان معه ذكوان مولى ام هاني

بنت ابي طالب قال ذكوان : وحفظت كلام القوم = وكان حافظا= وكان علي عليه السلام اول من تقدم من جماعته لتوديعه فقال :

« يا ابا ذر انك غضبت لله ، ان القوم خافوك على دنياهم ، وخفتهم على دينك ، فاترك في ايدهم ماخافوك عليه ، واهرب منهم بما خفتهم عليه ، فما احوجهم الى مامنعتهم واغناك ، عما منعوك وستعلم من الرابح غداً ، والأكثر حسداً ، ولو ان السموات والارضين كانتا على عبد ارتقا ثم اتقى الله ليجعل الله له منها مخرجا ، يا ابا ذر لا يأنسك إلا الحق ولا يوحشك إلا الباطل »

ثم تقدم عقيل وقال

ما عسى ان نقول يا ابا ذر ، انت تعلم انا نحبك ، وانك تحبنا فاتق الله فان التقوى نجاة ، واصبر فان الصبر كرم . واعلم ان استثقالك الصبر من الجزع ، واستبطائك العافية من اليأس فدع اليأس والجزع ،

ثم تقدم الحسن (ع) فقال :

يا عماه لولا انه لا ينبغي للمودع ان يسكت ، وللمشيع ان ينصرف لقصر الكلام وان طال الاسف ، وقد اتى القوم اليك ما ترى ، فضع عنك الدنيا بتذكر فراقها ، وشدة ما اشتد منها ، برجاء ما بعدها : واصبر حتى تلقى نبيك صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنك راض »

ثم تقدم الحسين « ع » وقال :

« يا عماه ان الله قادر ان يغير ما قد ترى ، والله كل يوم في شان ، وقد منعك القوم دنياهم ومنعتهم دينك ، فما اغناك عما منعوك واحوجهم الى مامنعتهم ، فاسأل الله الصبر والنصر واستعذبه من الجشع والجزع ، فأن الصبر من الدين والكرم ، وان الجشع لا يقدم رزقا والجزع لايؤخر اجلا »

ثم تقدم عمار وقال :

ـ لا انس الله من اوحشك ، ولا آمن من اخافك ، اما والله لو اردت دنياهم لأمنوك ، ولو رضيت اعمالهم لأحبوك ، وما منع الناس ان يقولوا بقولك إلا الرضا بالدنيا والجزع من الموت ومالوا الى سلطان جماعتهم ، والملك لمن غلب فوهبوا لهم دينهم ومنحهم القوم دنياهم فخسروا الدنيا والآخرة ، الا ذلك هو الخسران المبين »

هذه هي الكلمات التى نثرها أئمة الهدى وعظماء من الصحابة على ابي ذر العظيم في الساعة الاخيرة وهو متجه الى منفاه الوضيع او بالاحرى الى مقره الاخير ، وهى ترمز الى المبدأ الذي ثبت عليه هذا البطل الجرىء ، وكافح في سبيله طوال حياته غير هياب ولا وجل لا تاخذه في ذلك لومه لائم ، حتى ذهب ضحية غالية في سبيله

بكى ابو ذر لما ودعوه وحن وقال:

رحمكم الله يا اهل بيت الرحمة ، اذا رأيتكم ذكرت بكم رسول الله (ص) مالي بالمدينة سكن ولأشجن غيركم ، اني ثقلت على عثمان بالحجاز ، كما ثقلت على معاوية بالشام ، وكره ان اجاور اخاه وابن خاله بالمصرين ، فافسد الناس عليهما فسيرني الى بلد ليس لي به ناصر ولا دافع إلا الله وما اريد إلا الله تعالى وما اخشى مع الله وحشة»

* * *

لك الله يا ابا ذر ، ان في هذه الدموع الحرار التي تسكبها في هذه البقعة المباركة من الارض صوتاً انسانياً مدوياً ، صعد فتعالى في الصعود ، وارتفع فأمعن في الارتفاع ، وجلجل في الاجواء فكان رعدة قاصفة . زعزعت الملك الاموي ، وطاف في الفضاء في طوله وعرضه ، واخترق الاسماع ، فسمعته الاجيال جيلاً بعد جيل ، وامة بعد امة

لك الخير يا ابا ذر ، دموع مالحة ارقتها فانبتت الزهر الاريج فعطر الارجاء ، وهى في حقيقتها احتجاج صارخ تقرؤه الاجيال جيلاً بعد جيل ، وقد لا يفهمه الجميع ولكن يجب ان يفهمه الجميع ، لو ساروا على المنطق المعقول ، ورجعوا الى المقاييس الصحيحة ،

وعلى كل حال فان وفاء ابي ذر لمذهبه ، وعقيدته ورأيه في اهل الحق وفي خصومهم : ليست مغـــامرة من المغامرات

السياسة ، ولا وسيلة متوسل الى التهويش والتهييج ولكن ذلك منه ثبات على الايمان الصحيح ، يؤمن به اتم الايمان ولعله في سبيل عقيدته سيان عنده الموت او النفى او الحياة فهو لا يبالي بما يقع عليه من ذلك وكلمة واحدة في هذه الساعة تعطينا صورة صادقة عن مبلغ ايمانه بالحق وقوة عقيدته وهى : « . . ما اريد إلا الله صاحباً وما اخشى مع الله وحشة »

ولا حرج على ابي ذر في هذه المداورة ، ولا حرج عليه من هذا العنت والجهد، بعد ان كان في قلبه الطاهر من العقيدة والايمان بالحق والثبات على المبدأ ما يعينه على هذا الحرمان

واذن سر في طريقك ايها القلب العامر بالايمان ، لا الى الربذة ذلك المنفى الوضيع بل الى الله تعالى ، الى الخلود الى العظمة ، الى جلال الحق والى ضمير هذا الوجود ، الي قلب الانسانية العامرة بالايمان ، ومن هناك يرتفع صوتك مدوياً يسير مع الشمس والقمر وتسمعه الاجيال ، سر الى القمة العالية من المجد المرموق ، وجدير بمن بلغ القمة ان يكون مرمق الابصار ومطمح الانظار ، ومنية النفوس ، وجدير بابي ذر ان يرتفع بنفسه عن مستوي هذا الانسان الى مستوى من نور تجسد في انسان فكان ابا ذر

ولا ارى عليك حرجاً ايها الصحابي العظيم في هذا النفي الوضيع فانك مع الله ، وانك الحديث الشهي الشيق لهذه الاجيال ، وانك النور الساطع في جو السماء ، والكلمة الخالدة في فم الدهر ، والانسانية الكاملة في تاريخ الانسان وانك لم تكن ثائراً ولكنك مصلح وطالب اصلاح ، ولست مغامرا لتقاس حركتك بمقياس المغامرين ، ولا مصافقاً ليكون مقياسها ميزان المصافقين

نعم انت مصلح تطلب الاصلاح ، وزاهد تدعوا الى الزهد ، واخلاقي تنشر مكارم الاخلاق وفي كل ذلك تطبق مناهج رسول الله (ص)

وليعلم ان روحك لم تدفن مع جسدك في تلك الفلاة ولكنها لاتزال تسير في سماء الخلود الى جانب صوتك المدوي فتسمعه الاجيال جيلاً بعد جيل

فعليك السلام حياً وميتاً وعلى روحك الطيب وجسدك الطاهر ومبدئك القويم

دفاع •

شاء المنطق الخاسر ان يوجه حملة عنيفة هوجاء على ابي ذر الزاهد الورع وصلت الى حد الجرأة في القول والتطرف في العقيدة بشخصية هي ابرز ما تكون بين اصحاب النبي (ص) فقالوا : انه كان

اشتراكيا مزدكيا اخذها عن عبد الله ابن سبأ وقالوا في عبد الله انه كان يهوديا من صنعاء ، ودخل في الاسلام على عهد عثمان ، وكان دساسا خطيرا حاك نسيجا من المبادىء الفاسدة ، وابتدع قضايا دسها بين المسلمين اذكت فيهم روح الثورة ، وكان ابو ذر اول من تأثر بعقيدته واعتنق مبادءه في الناحية المالية فقط

وانك تحس وانت تقرأ هذا قوة الهجوم على ابي ذر وشدة الاعتداء عليه ، والطعنة القاتلة والضربة القاسية ، وتحس بالعثرة التي لا تقال والزلة التي لا تغتفر

ومن الاجرام البليغ ان ينظر الى هذه الشخصية العظيمة من غير طريقها السوى ، ومن الاجرام ان يصورها للاجيال شخصية ثائرة متمردة على الدين من الناحية المالية ، ويحزننا ان تأخذ الناشئة عنه هذه الصورة المفتونة بمذهب مزدك ، وكأن الامويين انما يطاردونه لانه يريد ان يطبق نظريه مزدك الأشتراكية باسم الاسلام ، ويجعلها مادة قانونية في الدين الاسلامي ، فيكون له طابعه الاشتراكي الذي لا يوافقه عليه احد من المسلمين ، ولا يشاركه فيه احد من اصحاب النبي (ص)

ولا شك بان هذا الرأي وهذه العقيده في ابي ذر يرجعان في تكوينها ا الى مؤثرات العصر والبيئة الذى تكونا فيه ، ولا يرجعان الي الحقيقه الخالصة ، بل ولا يتصلان بها بنحو من الاتصال ، فأن ابا ذر من بناة الهيكل الاسلامي : ومن السابقين

الذين جاهدوا في سبيل انتشاره ، ومن يظن ان ابن سبأ -الخرافي - يستطيع ان يفتن ابا ذر عن دينه ، ويسلك به طريقاً وعراً الى اشتراكية هدامة ، ويقوده الى فتنة عمياء ضد الدين ؟ ! ويدور الدولاب وتمر الايام مسرعة فاذا بابي ذر الزاهد الورع الذي يحبه رسول الله تنتهي به قافلة الحياة الى هذا المصير المخذول الشاذ كما يزعمون

شوهة بوهة لهذا المنطق الخاسر ، والتفكير المضطرب والرأي المتمرد على الحقيقة ، شوهه بوهة لتجرة الضمائر كيف اباحوا لافواههم ان يملؤها بهذه الكلمة النكراء ، فيقولون « انه كان اشتراكيا مزدكيا »؟ ! ! أليس معنى هذا انه كان اشتراكيا اباحياً ؟ ! لان من رأي مزدك ان الاموال لاتجرى عليها احكام الملكية الخاصة ، وانها مشتركة بين سائر افراد الشعب اي لا ملكية خاصه ، واذن لا ارث ولا مورث ـ بفتح الراو ـ وهذا ما تطبقه الشيوعية الحمـراء ، في جمهورية الاتحـــاد السوفياتي تطبيقا كاملاً فالروسي السوفيـــاتي اليـــوم لايملك سوي ملابسه وفرش بيته واذن فابو ذر ـ بنظـــر هؤلاء ـ اشتراكي شيوعي ! !

واذا كان لايزال بين كتبه العصر الحاضر من هو مثقل الكاهل بالآراء التقليدية البالية ، ويدافع عنها بما اوتيه من علم وقوة ، واذا كان

لايزال فيهم من لايحس بالمسئولية امام الله وامام الناس وامام الحقيقة ، واذا كان لا يزال فيهم من يحمل روحا خطيرة من من الاستهتار بالحقائق وينحدرون بارائهم واقلامهم الى حد الشذوذ والتطرف في العقيدة ، ويسفون الى حد الشطط في القول ، فاقل ما يتحتم علينا ان نسجل عليهم هذه الخساسة في طباعهم وهذا الشطط في ارائهم ، وان نسجل عليهم هذا الرأى المزرى وليسمح لنا الناس اذا ما سجلنا عليهم هذا الافك المعيب والتفكير الفج ، وليسمح لنا الناس اذا ماعاملناهم معاملة الخائنين للحقيقة وازدريناهم وازدرينا اراءهم واحتقرنا ضمائرهم ، فأنهم لا ضمائر لهم ، ولا قلوب يعقلون بها

وما كنت احسب ان بين حملة الاقلام في مصر وغيرها من الجمهور من يدافع عن الامويين دفاعا يبلغ به الى اتهام ابي ذر بالأشتراكية المزدكية ، فيكون جريئاً في منطقه متطرفا في عقيدته ، وعرفنا ذلك للشام وللشاميين ، وليس في بنى امية من يستحق - اذا استثنينا عمر بن عبد العزيز - هذا الدفاع وهذا الاسفاف ، واما عثمان فالكل يعلم انه كان ضعيفاً امام مروان لايملك من امر الخلافة شيئاً ، وهذا التاريخ بيننا وهو اكبر شاهد

انالا اريد التبسط في الحديث عن الاشتراكية المزدكية ومباديها وفي مصيرها وعاقبة امرها ، وفي نتائجها السيئة على الانسانية ، والذي

يهمني الآن ان اقوله : ماالذى حملهم ان يقولوا انه كان اشتراكيا مزدكيا - وهم لايرضـون لأنفسهم هـذا المبدأ - ؟ ولم لايقول انه كـان اشتراكياً اسلاميا - ان صح التعبير - أليس في المباديء الاسلامية ما يغني اباذر عن الدعوة الى هذه الاشتراكية الهدامة ، ويكفل للامم - اذا ماطبقوها تطبيقا صحيحاً كاملاً - حياة هادئة ناعمة في ظل الملكية الخاصة

نظم الاسلام عادلة لاتفريط فيها ولا افراط وهي تجمع بين حقوق الناس في ملكيتهم الخاصة وتحفظ للفقير نصيبه في مال الغنى بما فرضه الله تعالى على الاغنياء من الزكاة في رؤس اموالهم واوجب عليهم ادائها للفقراء ، يعطون منها كل بمقدار ما يكفيه ففرض في النقدين الذهب والفضه زكاة ، وفرض في الغلاة الاربع : الحنطة والشعير والتمر والزبيب زكاة ، وفرض في الانعام البقر والأباعر والغنم والماعز زكاة ، هذا الى ما اوجبه من فطرة الصائم والكفارات فى مواردها الخاصة وما حث عليه من الصدقات فى مختلف الموارد والمقتضيات وفرض للهاشميين الخمس مما يغنمه المسلمون في الحروب والتجارة وفيما يستخرجونه من كنوز الأرض

حقاً ان محمـداً (ص) كان رسول السلام للعالم باجمعه ، تكفل دينه بالسعادتين الدنيويه والأخروية لو طبق تطبيقاً صحيحاً كما كان يطبقه رسول الله أفلم يكن في النظام الأسلامي الصحيح

ما يعنى ابا ذر عن الدعوة الى اشتراكية هادمة للنظام الأجتماعي ولا تتفق مع الدين الاسلامي كأشتراكية مزدك ؟ !

ولو ان هؤلاء القوا نظرة على الماضي الغابر عنـــدما ابتدأ الاستبداد الاموي يندو ويترعرع بشكل مخيف يهدد سماحة الاسلام ويهدد الاسلام نفسه ، ولو انهم فكروا في الاسباب التى حملت ابا ذر على هذه الحركة العنيفة ضد الامويين ، وارجعوها الى مسبباتها لعلموا يقينا ان ابا ذر لم يكن اشتراكيا ، وانما كان مسلماً فقط ، يدعو الي ما كان يدعو اليه رسول الله (ص) وايضا كان من الحسن ان يقارنوا بين عهد ابي ذر في خلافة ابي بكـــر وعمر ، وبين عهده في خلافة عثمان ، ومتى امكن معرفة العهدين بصورة واضحة جلية وتوصلوا الى معرفة ابي ذر الهاديء الوديع في خلافة العمرين ، والي ابي ذر الثائر في خلافة عثمان وتبينوا اغراضه ومراميه وتبينوا استهتار الامويين لكان من السهل عليهم ان يفهموا ان ابن سبأ لا يمكنه ان يؤثر على ابي ذر ويفتنه عن دينه ، ولعلموا انه انما كان يدافع عن المبادىء التى ضرب رسول الله (ص) عليها الرقاب وهي في العهد الاموي تحتضر سائرة في طريقها الى الموت

✡ ✡ ✡

ليس غرضنا في هذا المبحث بيان الوضع الاموي في كل اتجاهاته في ادواره المختلفة ، وكذلك ليس من غرضنا ان نتناول مقاصد

الامويين باسهاب ، وانما نقصد الى بيان السبب الحقيقي الذي دعى اباذر الى هذه الثورة الجامحة ، وفي اعتقادنا ان كل انسان يعرف معنى النظم الاسلامية معرفة صحيحة ، ولم تتسرب اليه روح الاستبداد يعرف ان ثورة ابي ذر على الامويين كان لا بد منها لئلا تتمرد فيكون من العسير مقاومتها وتلافيها بعد ، وليفهم اولئك الذين هم في اقصى حدود البلاد الاسلامية ان الاسلام سواسية لايقر الاستبداد ، وان الخليفة راع رعية يفسر لهم احكام دينهم ويحفظ ثغورهم ، واما من ناحية فيء المسلمين وخراج بلادهم فهو ملـــك لعامة المسلمين ، ولا فرق بين ابيضهم وبين اسودهم وبين الحاكم والرعية ، فهم فيه على السواء ، وعقيدتي ان ثورة ابي ذر كانت باكورة الاعمال التى تفسر مقدار تصرفاة خلفة المسلمين يحدثنا المؤرخون : انه لما انتهى امر الشورى واستقر الامر لعثمان اوطأ بني اميه رقاب الناس ، واطلق لهم التصرف في سياسة الامور العامة ، واطلق يدهم في اموال المسلمين ، واقطع واعطى وتزيد من العطاء ، وتزيد هؤلاء من خزن الاموال واقتناء الضياع والقصور والخدم والاماء كل ذلك من فىء المسلمين ، فمعاوية احتبس خراج الشام لنفسه وللامويين ومن والهم ، فدوت الاصوات وارتفعت الاحتجاجات وزيد ابن ثابت القى مفاتيح بيت المال وبكى ، بيد ان صوت ابي ذر كان اعلاها واشدها ، فلهؤلاء المعتدين على فىء المسلمين يدخرونه

في خزائنهم ولمعاوية وانصاره الذين كان يعج بهم البلاط الاموى في الشام كان يقرأ ابو ذر قوله تعالى « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم » لا للاغنياء الذين كانوا يكسبون الاموال بكد يمينهم ، وان هؤلاء كانوا موجودين قبل ان يتولى الخلافة عثمان وكان يراهم ويسمع بهم ولم يهاجمهم

ان دنيا الفتوح في عهد عمر (ض) انتجت ثروة عظيمة للمسلمين وغيرت اتجاههم في المعيشة، وان الواقف على الدراسات التي عنيت بالفتوح الاسلامية يعلم ان الانتاج المالي بلغ ذروته العليا في عهد عمر ، وان الاموال كانت ترد على المسلمين بنحو يسمح لعمر ان يضعها في المسجد اذ لا يسعها بيت المال، وتسمح له ان يقول = عندما اراد توزيعها = نكيلها كيلا او نعدها عداً ، وان هذه الاموال كانت سبباً لتسرب الثروة العظيمة الى خزائن جماعة من المسلمين ، امثال طلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف واضرابهم ، ولم نـر ولم نسمع ان ابا ذر انكر على احد ، او دعى احداً منهم او من الاغنياء غيرهم الى التنازل عن ثروته ، ولماذا اذا كان اشتراكيا مزدكيا ؟

ولعل انصار الامويين يقولون : انه لم يكن بعد قد اتصل بابن سبأ وفتنه عن دينه ، ولم يكن يعرف اشتراكية مزدك الهدامة وهنا موضع التساؤل لأنا في صدد التحدث عن رجل عظيم،

مؤمناً باسلامه نتساءل ، اين اجتمع ابو ذر بابن سبأ الدساس الخبيث ؟ وطبعاً سيقولون انه اجتمع به في الشام ، وفيها اخذ عنه مبدأ الاشتراكية الهدامة ، وعلى ضوء هذا الجواب نقول كل احد يعلم ، وهذا التاريخ يصرح ، بان ابا ذر ثار في المدينة وندد بسياسة عثمان المالية وانتقده ، وقرأ في الشوارع قوله تعالى « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم » ولم يكن احد قد سمع بابن سبأ ، ولعل ابن سبأ لم يكن مخلوقاً فاني - اظن ان السياسة خلقته - فعمن اخذ هذا المبدأ الاشتراكي الهدام؟ ؟ ومن هنا يتضح لنا تهافت اقوال هؤلاء الانصار وقيمة ارائهم

ويتضح ايضا ان ليست المسألة اشتراكية ولا هي مزدكية وانما الحقيقة : اسلام وجاهلية يتنازعان في العهد الاموي ، استبداد ونظام يتصارعان ، حق وباطل يتخاصمان ، انسانية كاملة وانسانية متمردة يتغالبان ، اموية تثأر لشيبة وعتبة والوليد من ابي ذر وامثاله من الذين آمنو واتبعوا سيرة محمد (ص) ومن يجهل ان ابا ذر كان من ارفعهم صوتا

وجماع القول ان هذه الثورة من ابى ذر لم تكن دعوة الى الاشتراكية وابو ذر لا يفتن عن دينه و هو ابعد ما يكون عن هذه الأشتراكية الهادمة للنظام الاسلامي الذى جاء به محمد « ص » ، وانما هى ثورة الحق على الباطل ، والاسلام على الجاهلية

لاشيوعية في الاسلام

تحت هذ العنوان اصدرت لجنة الفتوى في الازهر فتوى مجانبة للحق جاء فيها ما نصه « . . وذهب ابو ذر الغفاري (ض) على انه يجب على كل شخص ان يدفع ما فضل من حاجته من اى مال مجموع عنده في سبيل الله - اى في البر والخير - وانه يحرم ادخار ما زاد عن حاجته ونفقة عياله ، هذا هو مذهب ابى ذر ، ولا يعلم ان احداً من الصحابة وافقه عليه ، وقد تكفل كثيراً من علماء المسلمين برد مذهبه ، وتصويب ماذهب اليه جمهور الصحابة والتابعين ، بما لا مجال للشك معه في ان ابا ذر «ض» مخطىء في هذا الرأى ، والحق ان هذا مذهب غريب من صحابي جليل كأبي ذر ، وذلك لبعده عن مبادىء الاسلام ، وعما هو الحق الظاهر الواضح ، ولذلك استنكره الناس في زمنه واستغربوه » (١)

نعم لاشيوعية في الاسلام ، بل لا شيوعية في سائر الاديان السماوية ، لأن الشيوعية تعني انكار الدين والكفر بالله وتعني ايضا انكار التملك والتوارث ، فمن ايها ابو ذر ؟ ؟ !

شوهة بوهة لهؤلاء المفتين المتزلفين ، وما احوج هؤلاء الى عصا ابى ذر التى كان يرفعها على كعب الاحبار تلهب ظهورهم وتدمي رؤوسهم

---

(١) هذه الفتوي صدرت بعد صدور الطبعة الاولي من هذا الكتاب

وابن كانت هذه التهمة خبيثة على عهد ابي بكر وعمر ؟ ولقد كان الاغنياء كثيرون ، ولم يرمه احد بالشيوعية او بالتطرف ولم ينسب اليه ذلك إلا في العهد الاموي ! !

وابو ذر يقول لعثمان : « اتبع سنة صاحبيك لا يكن لاحد عليك كلام فقال له عثمان : مالك وذلك لا ام لك ؟ !

او لم يكن من الاهم لهذه اللجنة ان تتقي الله ، وتتنزه عن الانسياق مع العاطفة ، ولا تخضع للايحاء النفسي وكذلك كان الواجب على هذه اللجنة ان تستوحي الخطوط الكبرى لهذه الفتوى من روح الاسلام الصحيح ونصوصه ، وسيرة النبي « ص » والشيخين ابي بكر وعمر ، قبل تأخذهم العاطفة على عثمان واعمال عماله الذين يحيطون به ، ولا يخضعون للعاطفة ، فان تطبيق النصوص يرمي الى الاحتفاظ بقوة الدين وغناه

ولكن اين قوة الايمـان التي تتغلب على العاطفة ؟ ! وان اول نتائج هذه الفتوى الطعن في شخصيه من اكبر الشخصيات الاسلامية . ولا شك بانها مجانية للحق والعقل والواقع من ايمان ابي ذر . ولا بأس على ابى ذر منها فانها لا تستر نوره المشع في الافاق ، ولا تعترض صوته الاصلاحى المجاجل في الاسماع واحسب انها ادلت على شيء فانما تدل على عمق فساد الحكم

في العهد الاموي وتآمرهم على النظام المالي العادل في الاسلام ذلك ان الناظر اليها لابد ان يرجع الى التاريخ من حياة ابي ذر المشرقة ثم يخرج من تاريخ حياته ليضع اصحاب الفتيا موضع اتهام ، وليقول انها فتوى متزلفة وليست فقها اسلامياً . ومن هنا لا اريد ان اتكلف الرد عليها لانها لا تستحق النقاش العلمي ولأن زبدة هذه الصفحات التي مرت على القارىء تكشف عن حياة ابي ذر كما تكشف عن نفاق هذه الفتوى ، وانها منبعثة عن نزعات عاطفية

في الربذة

يحز في نفسي الم شديد حينما نقف مع ابي ذر في الربذة هذا المنفى الوضيع ، وليست هي المنفى الوحيد الذي يمكن ان ينفى اليه ابو ذر العظيم ، لولا ان الخلافة ابت عليه كل منفى غير الربذة وكأن المقصود ابعاده عن الناس جميعاً كيلا يرتفع له صوت ، ولا يسمع له صوت في ساحة هذه الحياة ، وبعبارة ادق ان ابا ذر ثائر ضدهم ، فلا عهد له عندهم ولا ذمة ، واحسن الاجراءات التي تتخذ ان ينفى الى مكان يفترش الارض ، ويلتحف السماء ، ويأكل من حشائش الارض ، ولا يراه احد وهكذا كان

ونحن نؤكد للامويين انهم اخطأوا في هذا التشريع القاسي ولعله لم يرجع عليهم بخير ، فأنهم وان حاربوا ابا ذر ، فان صوته

ارتفع يدوي ويجلجل في اذن الدهر يحمله الى الاجيال ليثير السخط وان ظنوا انهم نفوه الى الربذة القاحلة من كل شيء ليموت هنـــاك ويدفن هناك ، ولكن الحقيقة انهم نفوه الى قلوب الناس جميعاً ، ولم يدفن في الربذة وانما دفن في القلوب ، فهو في قلب هذا الوجود وفي ضمير الانسانية وعلى لسان كل مؤمن

على انهم لم يتمكنوا ان يقفوا في وجه صوته ، ولم يستطيعوا ان ينفوا هذا الصوت الداوي ، ولم يدفنوه معه ، فان نفيه الى الربذة احتجاج صارخ ، وقبره على قارعة الطريق احتجاج آخر يقرؤه كل من مر عليه الى آخر الدهر ، وهو خطبة خرساء بليغة تثير السخط وتستنزف الدمعة

قد يطول البحث لو اردنا ان نستقصي الاثار التى ترتبت على هذا النفي في مختلف الظروف ، او اردنا ان نبين سوء هذه السياسة ، على انه ليس هنا موضع هذا الحديث ، وجماع القول فيها انها كانت سياسة خاطئة اثارت السخط ، وسببت النقمة ، وقادت الفتنة

ومهما يكن من شيء فقد نزل ابو ذر الربذة ومعه زوجته او ابنته وقيل كلاهما ، والربذة على ثلاثة اميال من المدينة قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز اذا رحلت من فيد تريد مكـــة

وحيث وصلنا مع ابي ذر الى هنا فقد انتهينا الى الفصل الاخير من حياته المحفوفه بالمكاره ، وكنت اود قبل ان اودع القارىء ان

أعطيه صورة عن الربذة هذا المنفى الذي سيق اليه عظيم من عظماء المسلمين و شخصية بارزة من اصحاب النبي (ص)، و كل اعتقادي ان هذا كان من السهل الممكن ، ولا يستغرب القاري اذا قلت له اني كنت اخدع نفسي، وخدعته ايضا فإنا على شدة ماعنينا وقلبنا صفحات التاريخ ومعاجم البلدان باحثين عن الربذه لنعرف اى بلـــد هى من بــــلاد الحجاز ، ومقدار اهميتها فلم نعثر على شيء ، ولعله انما ذكرها صاحب كتاب « معجم البلدان » وصاحب كتاب « مراصد الاطلاع » لأن فيها قبر ابي ذر ويلوح لنا انها موضع قريب من المدينه ، ويلوح لنا ايضا انها جرداء لاشجر فيها يظلل مـن الشمس او يجلب الهواء ويلطفه غير شجرة ،وان حدثونا انها قرية من قرى المدينة او حدثونا عن ابنتـــه انهـا قالت : دخل قوم من اهل الربذة على والدي فقالوا له :

يا ابا ذر ما تشتكى ؟

قال : ذنوبي

قالوا : ماتشتهى ؟

قال : رحمة ربي

قالوا : هل لك بطبيب ؟

قال : الطبيب امرضني

وهنا موضع التساؤل اذا كانت الربذة بلداً اهلاً بالسكان كما يقولون ويودوا ابا ذر ، فما معنى هذا الاضطراب والارتباك منها والحيرة في امر تجهيزه ودفنه ؟ وما معنى قول النبي (ص) يسعد به قوم من اهل العراق ؟ الم يكن اهل الربذة مسلمين يعرفون عظمة ابى ذر ، ومكانته من المسلمين ، ومكانته من رسول الله؟ ؟ !

ولقد حدثونا بما ينافي ذلك فقالوا : بعد ان اقام ابو ذر مدة في الربذة جاءالى المدينة ودخل على عثمان و الناس عنده على سماطين فقال ياامير المؤمنين انك اخرجتني من ارضى الى ارض ليس بها زرع ولا ضرع إلا شويهات ، وليس لي خادم الا محرره ، ولا ظل يظلنى إلا ظل شجرة ، فأعطني خادما وغنيمات اعيش فيها ، فحول وجهه عنه ، فتحول الى السماط الاخر فقال مثل ذلك ، فقال له حبيب بن سلمة لك عندي يا ابا ذر الف درهم وخادم وخمسماية شاة ، فقال ، ابو ذر : اعط خادمك والفك وشويهاتك من هو احوج الى ذلك منى ، فاني انما اسأل حقى في كتاب الله

وحدثونا ايضا انه لما سيره عثمان الى الربذة كان له غنيمات يعيش هو وعياله منها ، فاصابها داء النقاب فماتت كلها فاصاب اباذر وابنتة الجوع ، وماتت اهله (١) ، قالت ابنته واصابنا

(١) هذه احدى الروايتين

الجوع وبقينا ثلاثة ايام لم نأكل شيئا ، فقال يابنيه قومي بنا الى الرمل نطلب العبب وهو ـ نبت له حب – فصرنا الى الرمل فلم نجد شيئاً

وهذه الروايات تكاد تنطق عن واقع الامر ، والمتتبع يكاد يلمس الحقيقة مكشوفة لايسترها اى ستر فان منطقها لا يكاد يخفيه شيىء

ولقد علمنا من قبل انه لم يكن عند ابي ذر سلاح يقاوم به ، وليس لديه سوى لسانه الذي بين فكيه ، وهو سلاحه الوحيد والامويون انما يخافون هذا اللسان ، ويخافون تلك القذائف التي تنطلق من هذا اللسان الصلت ، ويخافون تنمره في الحق ، فلا ينفوه الى بلد فيها قوم لهم سمع وبصر ،والسياسة لاتجيز لأى عالم يحترم فهمه وعلمه ان ينكر ذلك ،ويدلا على ذلك قول رسول الله (ص) « تموت في فلاة من الارض »وقوله(ص)« تمــوت وحدك ويسعد بك قوم من اهل العراق يتولون غسلك وتجهيزك ودفنك والصلاة عليك»

وهذه الرواية تكشف عن واقع الامر ، وتدفع غلو المغالين بحب الامويين فان كانوا يحتاجون الى اكثر من ذلك فأولئك قدران علي قلوبهم فهم لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون ولا نتكلم معهم باكثر من هذا

وهكذا كان فقد اقام في الربذة لايرى احداً من الناس

سوى المارة على الطريق ، ولا ملجأ له سوى شجرة يستظل بها ولا شيء يقوته إلا شوهيات جاءها المرض جميعها لما اراد الله سبحانه ان يقبضه اليه فجاع هو واهله وفاجأه مرض الموت

المنية

في سنة اثنتين وثلاثين او احدى وثلاثين ، في فلاة من الارض عظيم من عظماء المسلمين ومجاهداً من السابقين الاولين مطروح على الارض يجود بنفسه يعالج سكرة الموت ، وليس عنده احد يتولى شأنه غير زوجة قد الح بها السن ، واحدودب ظهرها من الهم ، لا تقدر ان تسعفه بشيء ، ولا تستطيع ان تقوم بتمريضه ، وامامها هذا الزوج العظيم يحتضر وهو في الساعة الاخيرة ، فبكت فادار بوجهه اليها وحدق ببصره فيها ، كأنه يستكشف مايجول في خاطرها من اسى مرير ووحدة قاسية فقال لها

ما يبكيك ؟ ؟

- مالي لا ابكي ؟ وانت تموت في فلاة من الارض ، وليس عندي ثوب يسعك كفناً ولا بد من القيام بجهازك

- لا تبكي اني سمعت رسول الله (ص) يقول لنفر انا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من المؤمنين ، وليس من اولئك النفر احد إلا وقد مات في قرية او بين جماعة ، ولم يبق غيري ، وقد اصبحت بالفلاة اموت فانا ذلك الرجل ، ما كذبت ولا كذبت فابصري الطريق ،

- اني وقد ذهب الحج وانقطعت الطرق ؟

- امة الله اذهبي ابصري الطريق فان رسول (ص) قال لي : « تعيش وحدك فيه وتموت وحدك وتبعث وحدك وتدخل الجنة وحدك ويسعد بك قوم من اهل العـراق يتولون ، غسلك وتجهيزك ودفنك »

وهنا موضع لوقفة الاستغراب والتعجب من هذه الزوجة ومن ارتباكها الشديد في امر زوجها ، أليس هو من عظماء المسلمين والمدينه تعج باصحاب رسول الله (ص) ، ولا تبعد عنها اكثر من ثلاثة اميال ، فلا تتجاوز مدى الصوت المرتفع وان كان السن اقعدها عن الوصول الى المدينة فليس عليها الا ان تحبو قليلاً فترفع صوتها معلنة الحدث العظيم ، فيتوارد اصحاب رسول الله لتشييع جنازته ودفنه في البقيع مقبرة المسلمين ، فاي موقف ادعى للاستغراب من موقفها هذا ؟

وانا نخدع أنفسنا ونسيء الى افهامنا اذا اعتبرنا هذا الارتباك منها ناشئاً عن ذهول او بلاهة فلا بد ان يكون في الامر سر

ونحن امام امرين اثنين اما انهم اخطأوا في تقدير المسافه بين المدينة وبين الربذة فكانت اكثر من ثلاثة اميال ! !

واما ان السلطة الحاكمة التى حكمت على ابى ذر بالنفى وسلكت به هذا السبيل الوعر ، حكمت ايضا على ان لايشيعه احد من اهل المدينة ، ولا يدفنه احد ، وغير بعيد عن الامويين

ان يقفوا من ابي ذر هذا الموقف المعادى

ومن ناحية ثانية لعلهم بهذه الاجراءات القاسية يكسرون شوكة المعارضة التى اخرجت خطمها وعينها ، واذا ساغ للسلطة ان تتخذ مثل هذا الاجراء وان ترى لها الحق في ذلك ، فماعسى ان يقف أمامها في بلوغ غاياتها ومن يستطيع ان يعارضها

واذا كان هذا فما الذي تستطيعه هذه المرأة البائسة المنكودة الحظ ؟ غير ان تسكب عبرتها بين يدي هذه الجثه المحتضرة وهل تستطيع ان تأتي المدينة وتعلن نبأ وفاة هذا العظيم ؟ وان جائت فهل يستطيع احد ان يخرج ؟

ومهما يكن من امر فان هذه البائسة كانت تشتد الى الطريق ثم ترجع الى زوجها فتمرضه ، وهكذا وبينما هى كذلك واذا برهط على رحالهم كأنهم الرخم تخب بهم رواحلهم فاشارت اليهم فأسرعوا حتى وقفوا عليها

يا امة الله مالك ؟

- رجل من المسلمين يموت تكفنونه وتصلون عليه وتدفنونه

- من هو

- ابو ذر صاحب رسول الله (ص)

- فداؤه اباؤنا وامهاتنا

ثم وضعوا اسياطهم في نحور رواحلهم واسرعوا اليه حتى دخلوا عليه فقال لهم

ابشروا : سمعت رسول الله (ص) يقول لنفر انا منهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من المؤمنين، وليس من اولئك احد الا وقدمات في قرية وبين جماعه ولم يبق غيري

ثم قال بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ثم لفظ نفسه الاخير

وهكذا انطفأ هذا المصباح ، وخفت هذا الصوت ومات هذا البطل المجاهد

واستهل القوم بالبكاء فبكوا ما شاء الله تعالى لهم ان يبكوا وقالوا صدق رسول الله (ص) تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك

ثم جهزوه وصلوا عليه ودفنوه ومسح الاشتر القبر بيده وقال اللهم هذا ابو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عبدك في العابدين وجاهد فيك المشركين ، لم يغير ولم يبدل ، ولكنه رأى منكراً فغيره بلسان وقلبه ، حتى جفي ونفي وحرم واحتقر ، ثم مات وحيداً غريباً ، اللهم فاقصم من حرمه ونفاه من مهاجره وحرم رسول الله (ص)

لست شاعراً لارثيك ، ويجب ان تكون انشودة الشاعر

لست خطيبا لاعدد صفاتك ومعانيك ، ويجب ان تكون هدف الخطيب

وان كانت صفاتك ارفع واسمى من ان يتناولها خطيب

ولكن لا بد ان اقف عند آخر فصل من فصول حياتك وانثر كلمات بعثها الحزن عليك

رحمك الله - لقد جاهدت ما وسعك الجهاد وجادلت ما وسعك الجدال ولم تفشل ولكنك ظفرت وفشل خصمك ، واخذت بيد الانسانية المعذبة ورفعتها عن مستوى النزاع المادي القذر الى مستوى روحي رفيع وثأرت للحق

سلام عليك - هذا اسمك يسجل في صفحة العظماء ، وانسانيتك تسمو على هذه الانسانية ، وصوتك يجلجل في اذان الاجيال ويرتفع على كل صوت

سلام عليك - ان روحك التي تفيض بهذا الشعور وتندفع بهذه الاحاسيس ، تستوقف الانسان طويلا مطأطأ الراس ، خاشع الطرف اكباراً واجلالا واعظاما

وسر في طريقك ايها الانسان العظيم الى البقاء والخلود ، ونم قرير العين فقد فزت وخسر عدوك ، وقد سموت وسقط عدوك ، وثبت وانهزم عدوك

سلام عليك - ما اروع مواقفك ، وما اروع دلالة قبرك على عظمتك وسموك ، ولو ان التاريخ لم ينصفك ولم يسلك في مباديك سبيل التحقيق ولم يذهب مذهب التفكير الصحيح

سلام عليك - ياصاحب المبادي الصحيحة ، والاخلاق السامية والفضائل العالية والفكر الثاقب

رحمـك الله - ولنقف امام اخر فصل من فصول حياتك ونتدبرها فان فيها صورة من جلال الحق وعظمة البطولة وروعة الايمان وقدس النفس وسمو المبدأ

وبالاخير اقف لاسكب دمعة حارة هي دمعة الأسى المرير والحزن العميق دمعة القلب الدامي والروح المألومة والنفس المحزونة

فسلام عليك حياً وميتاً، وسلام عليك مجاهداً ومنفياً، وسلام عليك يوم تبعث حيا

خاتمة

كنا وعدنا القاريء ان نقدم له وصية رسول الله (ص) لأبي ذر وبراً بوعدنا نضعها بين يديه وسوف يعلم القارىء ان هذه الوصية كانت ملء سمع ابي ذر وبصره وهي برنامج حياته

قال أبو الاسود الدؤلى: قدمت الربذة فدخلت على ابى ذر جندب بن جنادة رضى الله عنه فحدثني ابو ذر قال : دخلت ذات يوم في صدر نهاره على رسول الله (ص) في مسجده فلم ار في المسجد احداً من الناس إلا رسول الله وعلي الى جانبه فاغتنمت خلوة المسجد فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمى أوصني بوصية ينفعنى الله بها : فقال نعم واكرم بك يا اباذر انك منا اهل البيت واني موصيك بوصية فاحفظها فانها جامعة

لطرق الخير وسبله فانك ان حفظتها كان لك بها كفل : اعبد الله كأنك تراه فان كنت لاتراه فانه يراك ، واعلم ان اول عبادة الله ألمعرفة به أنه الله الاول قبل كل شيء فلا شيء قبله والفرد فلا ثاني له ، والباقي لا الى غاية فاطر السماوات و الارض وما فيهما وما بينهما من شيء وهو الله اللطيف الخبير ، وهو على كل شيء قدير ، ثم الأيمان به والاقرار بان الله تعالى ارسلني الى كافة البشر بشيرا ونذيرا و داعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، ثم حب اهل بيتي الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا

واعلم ان الله عز وجل جعل اهل بيتى في امتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن رغب عنها غرق ومثل باب حطة في بني اسرائيل من دخله كان آمنا ، احفظ ما اوصيك به تكن سعيداً في الدنيا والآخرة . نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ . اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك و اياك والتسويف بامالك فانك بيومك ، ولست بما بعده فان يكن غد لك فكن في الغد كما كنت في اليوم ، وان لم يكن غد لك لم تندم على ما فرطت في اليوم ، كم مستقبل يوما لايستكمله ، ومنتظر غدا لا يبلغه ، لو نظرت الى الاجل ومصيره لابغضت الامل وغروره ، كن كأنك في الدنيا كعابر

سبيل ، وعد نفسك من اصحاب القبور . اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمسا ، واذ امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من صحتك قبل سقمك ، ومن حياتك قبل موتك ، فانك لاتدري ما اسمك غدا ، اياك ان تدركك الصرعة عند العثره ، فلا تقال العثرة ولا تمكن من الرجعة ولا يحمدك من خلفت بما تركت ولا يعذرك من تقدم عليه بما اشتغلت به ، كن على عمرك اشح منك على درهمك وديناراك ، هل ينتظر احدكم إلا غنى مطغيا او فقرا منسياً او مرضاً مفسدا او هرماً منفذا او موتا مجيرا او الدجال ، فانه شر غائب ينتظر ، او الساعة فالساعة ادهى وأمر

ان شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة عالم لاينتفع بعلمه ، ومن طلب علما ليصرف به وجوه الناس اليه لم يجد ريح الجنة ، من ابتغى العلم ليخدع به الناس لم يجد ريح الجنة ، اذا سئلت عن علم لاتعلمه فقل لااعلمه تنج من تبعته ، ولا تفت بما لا علم لك به تنج من عذاب الله يوم القيامة ، يطلع قوم من اهل الجنة الى قوم من اهل النار فيقولون ما ادخلكم النار وقد دخلنا الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم فيقولون : اناكنا نأمر بالخير ولا نفعله

ان حقوق الله جل ثناؤه اعظم من ان يقوم بها العباد ، وان نعم الله اكثر من ان يحصيها العباد ، ولكن امسوا واصبحوا تائبين

انكم في ممر الليل والنهار في آجال منقوصة ، واعمال محفوظة ، والموت يأتي بغتة ومن يزرع خيراً يوشك ان يحصد خيرا ، ومن يزرع شرا يوشك ان يحصد ندامة ، ولكل زراع مثل ما زرع ولا يسبق بطيء في حظه ، ولا يدرك حريص مالم يقدر له ، ومن اعطي خيرا فان الله اعطاه ومن وقى شرا فان الله وقاه . المتقون سادة والفقهاء قادة ومجالسهم زيادة

ان المؤمن ليرى ذنبه كأنه تحت صخرة يخاف ان تقع عليه ، وان الكافر ليرى ذنبه كأنه ذباب مر على انفه . ان الله تبارك وتعالى اذا اراد بعبد خيرا جعل الذنوب بين عينيه ممثلة ، والاثم عليه ثقيلا وبيلا ، واذا اراد بعبد شرا انساه ذنوبه ، لاتنظر الى صغر الخطيئة ولكن انظر الى من عصيت ، ان نفس المؤمن اشد ارتكاضاً من الخطيئة من العصفور حين يقذف به في شركه

من وافق قوله فعله فذاك الذي اصاب حظه ومن خالف قوله فعله فانما يوبخ نفسه ، ان الرجل ليحرم رزقه بالذنب يصيبه . دع ما لست منه في شيء ولا تنطق فيما لا يعنيك ، واخزن لسانك كما تخزن ورقك ، ان الله جل ثناؤه ليدخل قوماً الجنة فيعطيهم حتى يملوا ، وفوقهم قوم في الدرجات العلى ، فاذا نظروا اليهم عرفوهم فيقولون ربنا اخواننا كنا معهم في الدنيا فبم فضلتهم علينا ؟ فيقال : هيهات هيهات انهم كانوا يجوعون حين تشبعون ويظمأون حين تروون ، ويقومون حين تنامون ، ويشخصون حين

تحفظون

جعل الله جل ثناؤه قرة عيني في الصــلاة وحبب الي الصلاة كما حبب الى الجائع الطعام والى الظمآن الماء ، وان الجائع اذا اكل شبع وان الظمآن اذا شرب روي وأنا لا اشبع من الصلاة . ايما رجل تطوع في يوم وليلة اثنتى عشرة ركعة سوى المكتوبة كان له حقا واجبا بيت في الجنة . مادمت في الصلاة فانك تقرع باب الملك الجبار ، ومن يكثر قرع باب الملك يفتح لــه . مامن مؤمن يقوم مصليا الا تناثر عليه البر مابينه وبين العرش ، ووكل به ملك ينادي : يابن آدم لو تعلم مالك في الصلاة ومن تناجي ما انفتلت ، طوبى لاصحاب الالوية يوم القيامة يحملونها فيسبقون الناس الى الجنة ، الا وهم السابقون الى المساجد بالاسحار وغير الاسحار الصلاة عماد الدين ، واللسان اكبر ، والصدقة تمحو الخطيئة واللسان اكبر والصوم جنة النار من والجهاد نباهة واللسان اكبر ، الدرجة في الجنة كما بين السماء والارض ، وان العبد ليرفع بصره فيلمع له نور يكاد يخطف بصره فيفزع لذلك فيقول ماهذا فيقال هذا نور اخيك ، فيقول اخي فلان كنا نعمل جميعا في الدنيا وقد فضل علي هكذا فيقال له انه كان افضل منك عملا ، ثم يجعل في قلبه الرضي حتى يرضى ، الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، وما اصبح فيها مؤمن إلا حزينا فكيف لا يحزن المؤمن وقد اوعده الله جل ثناؤه انه وارد جهنم ، ولم يعده انه صادر عنها ، وليلقين امراضا ومصيبات وامورا تغيظه ، وليظلمن

فلا ينتصر يبتغى ثوابا من الله تعالى فمايزال فيها حزيناحتى يفارقها فاذا فارقها افضى الى الراحة والكرامة. ما عبدالله عز وجل بمثل طول الحزن

من اوتي من العلم ما لا يبكيه لحقيق ان يكون قد اوتي علم مالا ينفعه ، لان الله نعت العلماء فقال عز وجل: (ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً) . من استطاع ان يبكي فليبك ، ومن لم يستطع فليشعر قلبه الحزن وليتباكى ، ان القلب القاسي بعيد من الله تعالى ولكن لا تشعرون. مامن خطيب الا عرضت عليه خطبته يوم القيامة وما اراد بها . يقول الله تبارك وتعالى : لا اجمع على عبدى خوفين ، ولا اجمع له امنين ، فاذا امنني في الدنيا اخفته يوم القيامة واذا خافنى في الدنيا امنته يوم القيامة لوان رجلا كان له كعمل سبعين نبيا في الدنيا اخفته يوم القيامة . لاحتقره وخشى ان لا ينجو من شر يوم القيامة. ان العبد عليه ذنوبه يوم القيامة فيمر بذنب من ذنوبه فيقول اما اني كنت مشفقا فيغفر له ،ان الرجل ليعمل الحسنة فيتكل عليها ، ويعمل المحقرات حتى يأتي الله وهو عليه غضبان ، وان الرجل ليعمل السيئة فيفرق منها فيأتي الله تعالى عز وجل آمنا يوم القيامة ، ان العبد ليذنب فيدخل بذنبه ذلك الجنة ، فقلت وكيف ذلك بأبي انت وأمي يارسول الله ؟ قال يكون الذنب

ذلك نصب عينيه نائيا منه فارا الى الله عز وجل حتى يدخل الجنة

ان الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد ، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله عز وجل الاماني ، اول شيء يرفع من هذه الامة الامانة والخشوع حتى لاتكاد ترى خاشعاً ، والذي نفس محمد بيده لو أن الدنيا كانت تعدل عند الله جناح بعوضة اوذباب ما سقى الكافر والفاجر منها شربة من ماء ، الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما ابتغي به وجه الله ، وما من شيء ابغض الى الله تعالى من الدنيا ، خلقها ثم اعرض عنها ، فلم ينظر اليها ولا ينظر اليها حتى تقوم الساعة ، وما من شيء احب الى الله تعالى من ايمان به وترك ما امر بتركه . ان الله تبارك وتعالى اوحى الى اخى عيسى عليه السلام يا عيسى لاتحب الدنيا فاني لست احبها وحب الاخرة فانما هى دار القرار . ان جبرائيل اتانى بخزائن الدنيا على بغلة شهباء فقال يا محمد هذه خزائن الدنيا ولا ينقصك من حظك عند ربك فقلت ياحبيبي جبرائيل لا حاجة لي فيها اذا شبعت شكرت ربي واذا جعت سألته

اذا اراد الله عز وجل بعبد خيراً فقهه في الدين وزهده في الدنيا وبصره بعيوب نفسه ، ما زهد عبد في الدنيا الا أثبت الله الحكمة في قلبه ، وانطق بها لسانه وبصره عيوب الدنيا وداءها ودواءها ،

واخرجه منها سالماً الى دار السلام . اذا رأيت اخاك قد زهد في الدنيا فاستمع منه فانه يلقي عليك الحكمة

فقلت يارسول من ازهد الناس ، قال من لم ينس المقابر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفني ، ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه من الموتى ، ان الله تبارك وتعالى لم يوح اليّ ان اجمع المال ، ولكن اوحى اليّ سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين . اني البس الغليظ واجلس على الارض والعق اصابعي ، واركب الحمار بغير سرج واردف خلفي ، فمن رغب عن سنتي فليس مني ، حب المال والشرف أذهب لدين الرجل من ذئبين ضاريين في زريبة الغنم ، فاغارا فيها حتى اصبحا فماذا ابقيا منها ؟

قلت يارسول الله الخائفون والخاضعون المتواضعون الذاكرون الله كثيرا هم يسبقون الناس الى الجنة ؟ فقال لا ولكن فقراء المسلمين فانهم يتخطون رقاب الناس فيقول لهم خزنة الجنة كما انتم تحاسبون ، فيقولون بم نحاسب فوالله ما ملكنا فنجور ونعدل ولا افيض علينا فنقبض ونبسط ، ولكنا عبدنا ربنا حتى دعانا فاجبنا ان الدنيا مشغلة للقلوب والابدان ، وان الله تبارك تعالى سائلنا عما نعمنا في حلاله فكيف بما نعمنا في حرامه ؟ اني قد دعوت الله جل ثناؤه ان يجعل رزق من يحبني الكفاف وان يعطي من يبغضني كثرة المال والولد ، طوبى للزاهدين في

الدنيا الراغبين في الآخرة الذين اتخذوا أرض الله بساطا وترابها فراشا وماءها طيبا ، واتخذوا كتاب الله شعارا ودعاه دثارا يقرضون الدنيا قرضا

حرث الآخرة العمل الصالح ، وحرث الدنيا المال والبنون

ان ربى اخبرني فقال : وعزتي وجلالي ما ادرك العابدون درك البكاء، واني لابني لهم في الرفيق الاعلى قصراً لايشاركهم فيه احد

قال قلت يارسول الله اي المؤمنين اكيس ؟ قال : اكثرهم للموت ذكرا ، واكثرهم له استعدادا . اذا دخل النور القلب انفسح القلب واستوسع ، قلت : فما علامة ذلك بأبي انت وامى يا رسول الله قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل نزوله ، اتق الله ولا تر الناس انك تخشى الله فيكرموك وقلبك فاجر ، ليكن لك في كل شيء نية حتى في النوم والاكل ، ليعظم جلال الله في صدرك فلا تذكره كما يذكره الجاهل عند الكلب اللهم اخزه وعند الخنزير اللهم اخزه ان لله ملائكة قياما من خيفته ، ما رفعوا رؤوسهم حتى ينفخ في الصور النفخة الآخرة ، فيقولون جميعا سبحانك وبحمدك ما عبدناك كما ينبغي لك ان تعبد ، ولو كان لرجل عمل سبعين نبيا لاستقل عمله من شدة مايرى يومئذ ولو ان دلوا صبت من غسلين في مطلع الشمس لغلت منه جماجم

من في مغربها ، ولو زفرت جهنم زفرة لم يبق ملك مقرب ولا نبي مرسل الا خر جاثيا لركبتيه يقول : رب نفسي نفسي ، حتى ينسى ابراهيم اسحاق عليهما السلام يقول : يارب انا خليلك ابراهيم فلا تنسني . لو ان المرأة من نساء اهل الجنة اطلعت من سماء الدنيا في ليلة ظلماء لاضاءت لها الارض افضل مما يضيء القمر ليلة البدر ولو جد ريح نشرها جميع اهل الارض ، ولو ان ثوبا من ثياب اهل الجنة نشر اليوم في الدنيا لصعق من ينظر اليه وما حملته ابصارهم

اخفض صوتك عند الجنائز وعند القتال وعند القرآن . اذا اتبعت جنازة فليكن عقلك فيها التفكر والخشوع ، واعلم أنك لاحق به

اعلم ان كل شيء اذا فسد فالملح دواؤه واذا فسد الملح فليس له دواء . (قال الشيخ هذا المثل لعلماء السوء) واعلم ان فيكم خصلتين : الضحك من غير عجب والكسل من غير سهر ، ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه . الحق ثقيل مر والباطل خفيف حلو ، ورب شهوة ساعة تورث حزنا طويلا . لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى الناس كلهم في جنب الله تبارك وتعالى امثال الاباعر ثم يرجع الى نفسه فيكون هو احقر حاقر لها . لا تصيب حقيقة الايمان حتى ترى الناس كلهم حمقى في دينهم عقلا في دنياهم

حاسب نفسك قبل ان تحاسب فهو اهون لحسابك غداً . وزن نفسك قبل أن توزن وتجهز المعرض الاكبر يوم تعرض لا تخفى على الله خافية . استح من الله فاني والذي نفسي بيده لأظل حين أذهب إلى الغائط متقنعاً بثوبي أستحي من الملكين اللذين معى أتحب أن تدخل النجة ؟ قلت نعم فداك أبي قال : فاقصر الامل اوجعل الموت نصب عينيك ، وأستح من الله حق الحيـــاء .

قال : قلت يارسول الله كلنا نستحي من الله ، فقال ليس كذلك الحياء ، ولكن الحياء أن لا تنسى المقابر والبلى والجوف وما وعى ، والرأس وما حوى ، ومن كرامة من أراد الآخرة فليدع زينة الدنيا ، فاذا كنت كذلك اصبت ولاية الله . يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح . مثل الذي يدعو بغير عمل كمثل الذي يرمي بغير وتر ، ان الله يصلح بصلاح العبد ولده وولد ولده ويحفظـــه في ذريته والـدور حوله ما دام فيهم

ان ربك عزوجل يباهي الملائكة بثلاثة نفر رجل في ارض قفر فيؤذن ثم يصلي ، فيقول ربك للملائكة ؟ انظروا الى عبدي يصلي ولا يراه أحد غيري ، فينزل سبعون الف ملك يصلون وراءه ويستغفرون له الى الغد من ذلك اليوم . ورجل قام من

الليل فصلى وحده فسجد ونام وهو ساجد فيقول الله تعالى انظروا الى عبدي روحه عندي وجسده في طاعتي ساجد . ورجل في زحف يفر اصحابه وثبت وهو يقاتل حتى يقتل

مامن رجل يجعل جبهته في بقعة من بقاع الارض إلا شهدت له بها في يوم القيامة ، وما من منزل ينزله قوم إلا واصبح ذلك المنزل يصلي عليهم او يلعنهم . ما من صباح ولا رواح إلا وبقاع الارض ينادي بعضها بعضا : يا جارتي هل مر بك ذاكر الله تعالى ، او عبد وضع جبهته عليك ساجداً لله ، فمن قائلة لا ومن قائلة نعم ، فاذا قالت نعم اهتزت وانشرحت وترى ان لها الفضل على جارتها . ان الله جل ثناؤه لما خلق الارض وخلق مافيها من الشجر لم يكن في الارض شجرة يأتيها بنو آدم إلا اصابوا منها منفعة ، فلم تزل الارض والشجر كذلك حتى تكلم فجرة بني آدم بالكلمة العظيمة قولهم اتخذ الله ولداً ، فلما قالوها اقشعرت الارض وذهب منفعة الاشجار . ان الارض لتبكي على المؤمن اذا مات اربعين صباحاً . اذا كان العبد في الارض قي -يعني قفر- فتوضأ او تيمم ثم اذن واقام وصلى امر الله عز وجل الملائكة فصفوا خلفه صفاً لا يرى طرفاه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده ويؤمنون على دعائه . من اقام ولا يؤذن لم يصل معه الا ملكاه الذان معه

مامن مؤمن شاب يدع لله الدنيا ولهوها واهرم شبابه في طاعة الله إلا اعطاه الله اجر اثنين وسبعين صديقا . الذاكر في الغافلين كالمقاتل في الفارين ، الجليس الصالح خير من الوحدة والوحدة خير من جليس السوء واملاء الخير خير من السكوت والسكوت خير من املاء الشر . لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك الاتقي ولا تأكل طعام الفاسقين اطعم طعامك من تحبه في الله وكل طعام من يحبك في الله عز وجل ان الله عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ وليعلم مايقول اترك فضول الكلام وحسبك من الكلام ماتبلغ به حاجتك كفى بالمرء كذباً ان يحدث بكل ما يسمع ما من شيء احق بطول السجن من اللسان . ان من اجلال الله تعالى اكرام ذي الشيبة المسلم ، واكرام حملة القرآن العاملين ، واكرام السلطان المقسط ماعمل من لم يحفظ لسانه . لايزال العبد يزداد من الله بعداً ما سيء خلقه

الكلمة الطيبة صدقة وكل خطوة تخطوها الى الصلاة صدقة من اجاب داعي الله واحسن عمارة مساجد الله كان ثوابه من الله الجنة

فقلت بابي انت وامي يارسول الله كيف تعمر مساجد الله ؟ قال : لاترفع فيها الاصوات ولا يخاض فيها بالباطل ولا يشترى فيها ولا يباع ، واترك اللغو ما دمت فيها ، فان لم تفعل

فلا تلومن يوم القيامة الا نفسك ان الله تعالى يعطيك مادمت جالسا في المسجد بكل نفس تتنفس فيه درجة في الجنة وتصلي عليك الملائكة وتكتب لك بكل نفس تنفست فيه عشر حسنات ويمحي عنك عشر سيئات . اتعلم في اي شيء انزلت هذه الآية « اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » ؟ قلت لا فداك ابي وأمي ! قال في انتظار الصلاة خلف صلاة (كذا) اسباغ الوضوء في المكاره من الكفارات و كثرة الاختلاف الى المساجد فذلكم الرباط . يقول الله تبارك وتعالى الي المتحابون بجلالي المتعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالاسحار اولئك اذا اردت بأهل الارض عقوبة ذكرتهم فصرفت العقوبة

كل جلوس في المسجد لغو الا ثلاثة : قراءة مصل اوذاكر لله او سائل عن علم

كن بالعمل بالتقوى اشد اهتماماً منك بالعمل ، فانه لا يقبل عمل الا بالتقوى ، و كيف يقبل عمل بقول الله عز وجل انما يتقبل الله من المتقين لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه اشد من محاسبة الشريك شريكه فيعلم من اين مطعمه ، ومن اين مشربه ، ومن اين ملبسه ، أمن حل ذلك ام من حرام . من لم يبال من اين اكتسب المال لم يبال الله عز وجل من اين ادخله النار من اسره ان يكون اكرم الناس فليتق الله عزوجل . ان احبكم الى الله جل ثناؤه اكثركم ذكراً له ، واكرمكم عند الله

عز وجل اتقاكم له وانجاكم من عذاب الله اشدكم له خوفا ان المتقين الذين يتقون الله عز وجل من الشيء الذي لا يتقى منه خوفا من الدخول في الشبهة. من اطاع الله عز وجل فقد ذكر الله وان قلت صلاته وصيامه وتلاوة القرآن. اصل الدين لورع ورأسه الطاعة

كن ورعا تكن اعبد الناس وخير دينكم الورع ، فضل العلم خير من فضل العبادة واعلم انكم لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار ماينفعكم الا بورع. ان اهل الورع والزهد في الدنياهم اولياء الله حقا. من لم يأت يوم القيامة بثلاث فقد خسر قلت وما الثلاث فداك ابي وامي قال: ورع يحجبه عن ما حرم الله عز وجل عليه وحلم يرد به جهل السفيه وخلق يداري به الناس . ان سرك ان تكون اقوى الناس فاتق الله، وان سرك ان تكون اغنى الناس فكن بما في يد الله عز وجل اوثق منك بما في يديك ، لو ان الناس كلهم اخذوا بهذه الآية لكفتهم ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره يقول الله جل ثناؤه وعزتي وجلالي لا يؤثر عبدي هواي على هواه الا جعلت غناه في نفسه وهمومه في آخرته وضمنت السماوات والارض رزقه وكففت عليه ضيعة (كذا) وكنت له من وراء تجارة كل تاجر .لو ان ابن آدم فر من رزقه كما يفر من الموت

لادركه رزقه كما يدركه الموت

الا اعلمك كلمات ينفعك الله عزوجل بهن ؟ قلت بلى يارسول الله ! قال احفظ : الله تجده امامك تعرف الى الله في الرضاء يعرفك في الشدة ، واذا سألت فاسأل الله عزوجل واذا استعنت فاستعن بالله فقد جرى القلم بما هو كائن الى يوم القيامة ، فلو ان الخلق كلهم جهدوا ان ينفعوك بشيء لم يكتب لك ما قدروا عليه ، ولـــو جهدوا ان يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك ما قدروا عليه فان استطعت ان تعمل لله عز وجل بالرضى واليقين فافعل ، وان لم تستطع فان في الصبر على ماتكره خيراً كثيراً ، وان النصر مع الصبر ، والفرج مع الكرب ، وان مع العسر يسراً ، استغن بغنى الله يغنك الله ، قلت ماهو يارسول الله ! قال غداء يوم وعشاء ليلة فمن قنع بما رزقه الله فهو اغنى الناس ، ان الله عزوجل يقول : اني لست كلام الحكيم أتقبل ولكن همـه وهواه ، فان كان همه وهواه فيما احب وارضى جعلت صمته حمداً لي ووقاراً وان لم يتكلم . ان الله تبارك وتعالى لاينظر الى صوركم ولا الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم ، التقوى ههنا التقوى ههنا - واشار الى صدره . اربع لا يصيبهن إلا مؤمن : الصمت وهو اول العبادة ، والتواضع لله سبحانه ، وذكر الله تعالى على كل حال ، وقلة الشيء - يعني قلة المـال - هم بالحسنة وان لم تعملها لكي لا تكتب من الغافلين

من ملك ما بين فخذيه وبين لحييه دخل الجنة، قلت : يارسول الله انا لنؤخذ بما تنطق به السنتنا ! فقال وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الاحصايد السنتهم ، انك لاتزال سالماً ماسكت فاذا تكلمت كتب لك اوعليك . ان الرجل يتكلم بالكلمة في المجلس ليضحكهم بها فيهوي في جهنم مابين السماء والارض . ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له من صمت نجا فعليك بالصدق ولا تخرجن من فيك كذبة ابداً قلت يا رسول الله فما توبة الرجل الذي يكذب متعمدا ؟فقال : الاستغفار وصلاة الخمس تغسل ذلك . اياك والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ، قلت يارسول الله ولم ذاك بأبي انت وأمي؟ قال لان الرجل يزني فيتوب الى الله فيتوب الله عليه ، والغيبة لاتغفر حتى يغفرها صاحبها سباب المسلم فسوق وقتاله كفر واكل لحمه من معاصي الله وحرمة ماله كحرمة دمه ، قلت يارسول وما الغيبة ؟ قال ذكرك اخاك بمايكره ! قلت يارسول الله فان كان فيه ذاك الذي يذكر به ؟ قال اعلم انك اذا ذكرته بماهو فيه فقد اغتبته واذا ذكرته بما ليس فيه بهتة من ذب عن اخيه المسلم الغيبة كان حقاً على الله عزوجل ان يعتقه من النار .من اغتيب عنده اخوه المسلم وهو يستطيع نصره فنصره نصره الله عز وجل في الدنيا والاخرة ، فان خذله - وهو يستطيع نصره - خذله الله في الدنيا والاخرة لا يدخل الجنة قتات ، قلت وما القتات ؟ قال النمام . صاحب النميمة لا

يستريح من عـــذاب الله عز وجل في الآخرة . من كان ذا وجهـــين ولســانين في الدنيـــا فهـــو ذو لســانين في النار

المجالس بالامانة وافشاء سر اخيك خيانة فاجتنب ذلك واجتنب مجالس (العشيرة) تعرض اعمال اهل الدنيا على الله من الجمعة في يوم الاثنين والخميس فيغفر لكل عبد مؤمن الا عبداً كان بينه وبين اخيه شحناء ، فيقال اتركوا عمـــل هذين حتى يصطلحا اياك وهجران لخيك فان العمل لا يتقبل مع الهجران . أنهاك عن الهجران وان كنت لابد فاعلا فلا تهجره ثلاثة ايام كملا فمن مات فيها مهاجرا لاخيه كانت النار اولى به . من احب ان يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار . من مات وفي قلبه مثقال ذرة من كبر لم يجد رائحة الجنة الا ان يتوب قبل ذلك . فقال رجل : يارسول الله اني ليعجبني الجمال حتى وددت ان علاقة سوطي وقبال نعلي حسن فهل يرهب علي ذلك ؟ قال كيف تجـــد قلبك ؟ قال اجده عارفا للحق مطمئنا اليه ، قال : ليس ذلك بالكبر ، ولكن الكبر ان تترك الحق وتتجاوزه الى غـــيره ، وتنظر الى الناس ولا ترى ان احداً عرضه كعرضك ولا دمه كدمك ، اكثر من يدخل النار المتكبرون ، فقال رجل وهل ينجو من الكبر احد يا رسول الله ؟ قال نعم من لبس الصوف ، وركب الحمار ، وحلب العنز وجالس المساكين . من

حمل بضاعته فقد برىء من الكبر - يعني ما يشتري من السوق - من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله عزوجل اليه يوم القيامة . من رقع ذيله وخصف نعله وعفر وجهه فقد برىء من الكبر ، من كان له قميصان فليلبس احدهما وليكس الآخر اخاه . سيكون ناس من امتي يولدون في النعيم ويغذون به همتهم الوان الطعام والشراب ويمدحون بالقول اولئك شرار امتي . من ترك لبس الجمال - وهو يقدر عليه - تواضعاً لله عز وجل فقد لبس حلة الكرامه طوبي لمن تواضع لله تعالى في غير منقصه ، واذل نفسه في غير مسكنة ، وانفق مالا جمعه في غير معصية ، ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة ، طوبي لمن صلحت سريرته وحسنة علانيته وعزل عن الناس شره ، طوبي لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله ألبس الخشن من الباس والصفيق من الثياب لئلا يجد الفخر فيك مسلكا ، يكون في آخر الزمان قوم يلبسون الصوف صيفهم وشتاءهم يرون ان لهم الفضل بذلك على غيرهم اولئك يلعنهم ملائكة السماء والارض . الا اخبرك باهل الجنة ؟ قلت بلى يارسول الله قال كل اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه به لو اقسم على الله لابره

عبد الله السبيتي

الفهرس

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٦	١٤	ويظعمونها	ويعظونهما
٨	١٢	وصفة	وصفته
١٠	١٧	تظيف	نظيف
١١	٠٢	نيصران	ينصران
١٢	١١	بارلتيها	بازليتها
٦٥	٠٩	وجه	وجهه
٧٠	٠٨	ونشرد	ونشر
١٠٧	٢١	يوم	ويوم
١١٥	١٥	لقارون	لهارون
١٢٨	٠٤	جعلتهم	جعلتم
١٢٩	٠١	يتحد	يتخذ
١٢٩	٠٦	السياسية	السياسه
١٣١	١٠	ضعفيا	ضعيفا
١٤١	١٠	وسياسية	وسياسة
١٤٤	٠٥	كتم	كنتم
١٤٤	١٠	ابلمغ	بلغ
١٥٦	٦	اتصلا	اتصالاً
١٦١	٢	فاستشغنى	فاستغشنى
١٦١	١١	يصيبكم	يصبكم
١٦٦	٧	ارتقا	رتقا

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٩٦	١٤	العبد عليها	ليعرض عليه
٢٠١	٢	المعرض	للعرض
٢٠١	٦	او جعل	واجعل
٣٠٥	٥	لورع	الورع